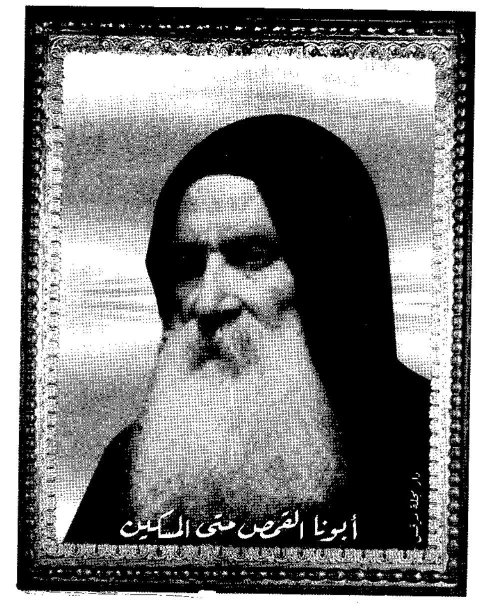
دير القديس أنبا مقار





عزيزي القارئ ...

يعزُّ علينا أن ننعي لكم ولكل عضو في كنيسة المسيح المجاهدة على الأرض انتقال أبينا الطوباوي المثلث الرحمات القمص متى المسكين أب رهبان دير القديس أنبا مقار ببرية شيهيت.

لقد تركَنَا بجسده لكي ينضمَّ إلى خورس المنتصرين في السماء، ولكن روحه ما زالت حاضرة في وسطنا بحياته الطاهرة وقدوته المقدسة وتعاليمه وكتاباته وعظاته التي أنارت طريق البر والقداسة والحياة الأبدية للكثيرين.

نعاهدك، أيها القارئ العزيز، أن نداوم كل شهر على تقديم جزء من تراثه الزاخر بالتعزيات على صفحات هذه المجلة، لأننا نؤمن أن رسالته لن تتوقف، وصوته لن يكفَّ عن النداء بالمحبة والمصالحة. فلقد ظل يكتب ويُعلِّم من فيض النعمة المنسكبة من فمه حتى آخر نسمة في حياته، لأنه أحب المسيح من كل القلب والفكر والقدرة.

فسلامٌ لروحه التي انطلقت إلى حبيبها، وسلامٌ لكل مَن يقتدي به ويمشي على دربه.

"وطوبى لكل مَن عمل وعلم لأن أجره عظيم في ملكوت السموات" (مت ٥: ١٩).

رئيس التحرير

الأب يوحنا المقاري

كتاب: أبونا القمص متى المسكين رقم الإيداع ١٥١٣٣/٢٠٠٦.

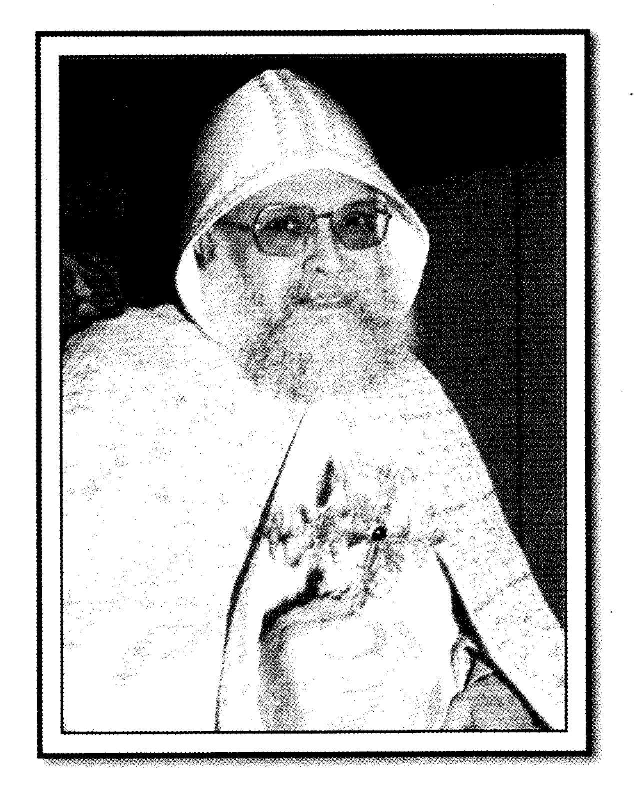
ISBN 977-240-251-3

يُطلب من: دار مجلة مرقس القاهرة: ٢٨ شارع شبرا – تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين – محرم بك – تليفون: ٤٩٥٢٧٤٠

أو من مكتبة الدير بمقر الدير – وادي النطرون

أو عن طريق موقع الدير على الإنترنت: www.stmacariusmonastery.org



كلمة نيافة أنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس دير أنبا مقار

(١٩٤٦ – ٢٠٠٩ تاريخ الاستقالة من رئاسة الدير)

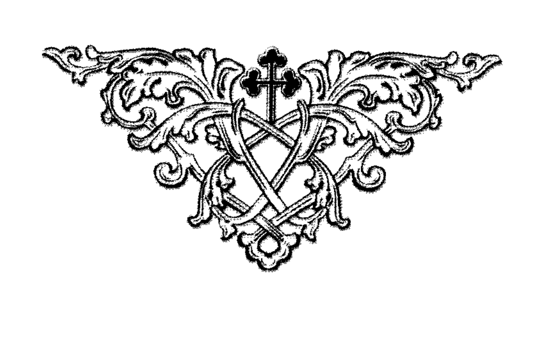
الأب متى المسكين

من مواليد سنة ١٩١٩م. عاش راهباً ديرياً وناسكاً فاضلاً حتى السابعة والثمانين من عمره الأرضي. وانتقل إلى الأبدية السعيدة فجر الخميس الثامن من يونية الجاري، بعد أن قاوم الكثير من الأمراض الجسدية خلال السنوات العشر الأخيرة. ولقد نشأ محباً لكنيسته الخالدة منذ طفولته وحداثته الباكرة، وكان موهوباً بالكتابة المسيحية، ومتميزاً بأسلوبه الروحي منذ شبابه، وهكذا نما وسمت عباراته البليغة وارتقت في مفهومها وجوهرها واستمرت حتى النهاية

وإذ أحس في أعماقه بحلاوة تكريس الحياة بجملتها للملك المسيح، شقّ طريقه الرهباني وصار باكورة للمتعلمين وذوي الشهادات العليا ليلتحقوا بالأديــرة، وتتلمــذ علي يديه الكثيرون. وبعد رحلته الطويلة والشــاقة انطلق هذا الراهب المثالي نحو الملكوت السمائي بعد عيد الصعود الإلهي بأسبوع، وقبل عيد العنصرة وحلول الروح القدس الذي أفاض في الكتابة عنه عدة مرات وكان موضــوعاً رئيسياً لتأمــلاته التي انفرد بها وثارت حــولها مناقشات وتســاؤلات وأيضاً كانت عُرضَة لكثير من التعليقــــات. ومع ذلك لا يقدر أحد أن ينــزّه نفسه عن الأخطاء والهفوات ولو كانت حياته يوماً واحداً، وكما يقول البعض لكل عالم هفوة.

ولكن للحق والتاريخ أقول بأن الأب القمص متى المسكين كان علامة مضيئة، ونقطة فاصلة، ومرحلة جديدة للكتــابة والتصنيف مُلازمة لحقبــة رهبانيته، ومازالت ممتدة بعد أن جاهد كثيراً وصــارع كفارس مناضل مُسرعاً صوب هدفــه المنشود وهو محمول علي الأذرع الأبدية، ومستودعاً رسالته التي بذل غاية جهده لأجلها، واضعاً إياها بين يديّ المسيح المخلّص الذي يدين الأحياء والأموات، فاحصاً أعماق كل إنسان. وما أصدق وعده القائل:

«ها أنا آتي سريعاً وأُجرتي معي لأُجازي كل واحد كما يكون عمله». فمجداً لاسمه القدوس إلي الأبد. آمين



دير القديس أنبا مقار
ببرية شيهيت

أبونا القمص
متى المسكين

السيرة الذاتية

(الطبعة الثالثة ٨ يونيه ٢٠١١ تذكار السنة الخامسة لنياحة الأب القمص متى المسكين)

الأب متى المسكين

المحتويات

صفحة

سيرة حياة
الأب متى المسكين

التي كتبها بقلمه سنة ١٩٧٨ وطلب عدم نشرها في حياته. (وقد أضفنا عليها بعض المستندات المكتوبة بقلمه بعد هذا التاريخ والشهادات من مصادر أخرى).

الحياة العائلية



عام ١٩٢٥م (عمره ٦ سنين)

الطفولة (١٩١٩ - ١٩٢٩):

هذه أول مرَّة أكتب فيها شيئاً عن حياتي:

مواليد ٢٠ سبتمبر عام ١٩١٩، أسرة كبيرة عدداً فقيرة معيشة، مُحبَّة للعلم، خمسة أخوة تَخرَّجوا من الجامعة، الأكبر تخرَّج عام ١٩٣٣ والأصغر عام ١٩٥٥.

كنتُ طفلاً صامتاً، أعي نفسي منذ سن أربع سنوات، لا أسأل بالمرة، وأحاول أن أعرف كل شئ بنفسي وأحلِّل مواقف الآخرين منذ أن كنتُ طفلاً.

أعجب شئ أذكره هو أني كنتُ أتأمَّل

في الحياة فيما فوق الحوادث اليومية وهموم الأسرة منذ أن كنتُ ابن عشر سنوات. كنتُ أصل إلى حلول لِمشاكل الحياة ترضيني وتقنعني. كنتُ أستصغر أعمال مَنْ هم أكبَر منِّى حينما تأتى خارجة عن أصول اللياقة ولكن دون أن أتكلَّم أو أُظهر نقدي.

انتقلت إلى الإسكندرية لأعيش مع أخي الأكبر نجيب، وكانت والدتي قد توفيت سنة ١٩٣٤ بعد مرض طويل مضني.

قدوة الأم المنحنية الساجدة بالصلاة!

كانت والدتي متدينة جداً بصورة لا يصدقها عقل، فكانت وقبل أن تمرض تدخل غرفة خاصة، وكنت أتمسك بملابسها بإصرار حتى تسمح لي بالدخول معها. وكانت تظل واقفة لعدة ساعات تصلِّي وتسجد، ولا تكفُّ عن السجود مئات المرات، وكنت أحاول أن أسجد معها تقليداً، بل العجيب أني كنت أحس أن هذا ضروري طالما أمي تسجد فيلزم أن أسجد معها، ولكن قواي كانت تخونني فأقف صامتاً أتأملها وهي تقوم وتسجد كالساقية دون أن تكل، لعدة ساعات، وفي يدها سِبْحة وصليب. وما هي الصلاة؟ كان أمراً يحير عقلي، ولكن كان يملأني شعور عجيب بالرغبة الملحة كل مرة لأصلي معها، فكنت أترقبها بانتباه شديد حتى تدخل الغرفة، فيطير قلبي من الفرح حينما تسمح لي بالدخول معها، وأبدأ أسجد!!

ماتت والدتي سنة ١٩٣٤ بعد سفري إلى الإسكندرية بعد مرض عضال ''فالج'' = ''شلل نصفي'' دام معها ٧ سنوات طوال وصرنا نخدمها أثناءها. ولم تتوقف في هذه السنوات عن الصلاة، فكانت بالرغم من ذلك تقوم في نصف الليل تصلي وهي جالسة لأنها كانت لا تستطيع أن تقف أو تتحرك ولا حتى تنطق بأية كلمة إلا كلمة واحدة هي أقدس كلمة عَرَفها لسان بشري وهي كلمة ''كيرياليصون''، فكانت ترددها مئات المرات، وكانت تصلي السبع السواعي التي للنهار والليل في مواعيدها بهدوء، لم تشكو ولم تتذمر، وكنا نحترمها أشد الاحترام ونثق في صلواتها التي نطلبها جداً أيام الامتحانات، كما أَضْفَت على الأسرة كلها التقوى وروح الصلاة.

وفي يوم من الأيام، عاد والدي إلى البيت. وكان يعمل في ورديات ليلية، ثم يعود للبيت في منتصف الليل لينام. أما هي فكانت تقوم الساعة ١٢ منتصف الليل أو الساعة الواحدة وتصلي صلاة نصف الليل وهي على السرير. فكانت تمسك المسبحة فتقع منها أحياناً فيُصدر صوت وقوعها صدى على الأرض مما يزعج والدي بينما هو يريد أن ينام. ففي مرة قام لكي يزعق لها أن تنام، وإذا به يرى الصليب في يدها منوَّراً بصورة مشعَّة جداً، ففزع وسكت.

وفي الصباح نادى علينا وقال لنا: شوفوا أمكم، ماحدش يكلمها أبداً. اتركوها تصلي كما تريد. وخصَّص لها غرفة لتصلي فيها كما تريد. ودخلته مخافة، فاشترى أجبية (كتاب الصلوات وبه صلوات الليل والنهار جميعاً) وبدأ هو الآخر يصلي صلوات الساعات مثل أي شاب في مدارس الأحد. هذا حدث حوالي عام ١٩٢٨ أو ١٩٢٩.

رؤيا السوَّاح (عام ١٩٢٦)

في إحدى الليالي وكان الزمن شتاءً وكان والدي في وردية ليلية، والكل آوى إلى فراشه، وكان عمري وقتئذ سبع سنوات، لأن في هذه السنة أخذوا لي صورة، وفي الصورة نفسها وضعوا بجواري لوحة بها تاريخ اليوم والسنة ١٩٢٦، وهي باقية حتى اليوم، وبعد منتصف الليل، قمت من فراشي وكانت أختي بجواري وهي تكبرني، فرأيت أمامي في الصالة الوسطى وعلى المائدة يقف ثلاثة رجال بذقون طويلة ويرتدون ملابس حمراء وعباءة بشكل لم أرَه أبداً، وهم يتحدثون معاً وأمامهم أكلٌ (خبز وصحن جبن) وشمعة موقدة، ولم نكن نستخدم الشمع قط، ولا كنت قد رأيته. حاولت إيقاظ أختي فانتهرتني، وقالت إنها لا ترى أحداً. فلما ترجيتها كثيراً قامت ورأتهم، ولكنها قالت إنهم "أصدقاء أبوك" ونامت. وعبثاً حاولت أن أقنعها لنذهب إليهم معاً فانتهرتني. وظللت جالساً أتأمل فيهم فرحاً ومذهولاً وهم ينظرون نحوي أكثر من ساعة حتى غلبني النعاس. وفي الفجر قمت وأيقظت أمي وإخوتي، فرأوا فعلاً بقايا الخبز والجبن والشمع، فانذهلوا جداً من القصة، وخاصة أنه لا يوجد بالبيت شمع. ولأول مرة أسمع من أمي تقول عنهم إنهم "السواح المجاهدون"، وهم بركة عظيمة أن يزوروا البيت لأننا فقراء.

مَنْ هؤلاء السواح؟ أمر زادني رهبة في هذا السن، فقد ظللت منشغلاً جداً بهذا الأمر إنما في صمت، أبحث الأمر بنفسي وبعقلي ووجداني، هل لأننا فقراء - كما تقول أمي - جاءوا وأخذوا من خبزنا وخزين جبننا حتى يباركوا البيت؟ ولكن لماذا لم يَرَهُم أحد أو يشعر بهم أحد غيري؟ هل أنا أختلف عن بقية إخوتي؟ هل مطلوب مني شيء ما؟ لقد زاد هذا الحادث من رهبة الصلاة عندي منذ ذلك اليوم وحتى هذه الساعة، فلا أستطيع أن أصلي إلا وأنا مُغمَض العينين والدموع تسيل بلا كيل! حتى ولو كانت الصلاة صلاة على الطعام، أي على المائدة!

الصبوَّة:

كنت طفلاً محروماً من كماليات الحياة، أو قُل من جوهريات الطفولة، فلا أملك مصروفاً أبداً، ولا أملك أي شيء مما يملك جميع الأطفال من لعب أو ملابس خاصة أو أطعمة حلوة، ولكن لم أكن أشعر بالحرمان أبداً، بل كنت راضياً به تمام الرضا ولا اشتهيتها، خصوصاً بعد أن دخلت المدرسة. فكنت أمضي فترات "الفُسحة" وحدي بينما يذهب الأطفال إلى الكانتين لشراء الحلويات والساندوتشات، لأن مستوى معيشة أهل الطلبة في مدرسة المنصورة الأميرية كان عالياً جداً. وحينما يعزم عليَّ الأطفال مما معهم، كنت أرفض وأعود بقلبي متعطفاً جداً على والدي الفقير مصمماً أن أعيش هذا الفقر راضياً.


صورة شهادة الإبتدائية عام ١٩٣٣م

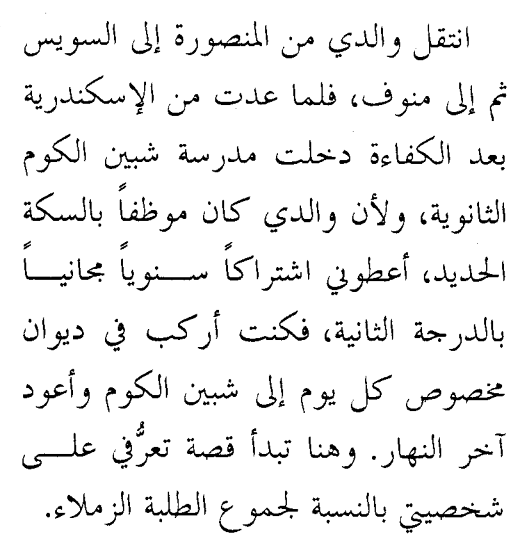
ولكن العجيب أن يرتبط في أعماقي شعور هذا الفقر الاختياري قليلاً قليلاً بشعور دخولي مع أمي للصلاة في غرفتها الخاصة، فأحس بأن الصلاة يناسبها جداً أن أعيش راضياً بالحرمان، وأن الشعور بالحرمان لا يطيِّبه ويجعله مقبولاً بل محبوباً مثل الشعور

بالدخول في غرفة الصلاة!

ولكن العجيب حقاً أني كنت أربط بين ما تقوله أمي في صلواتها وتكرره مئات المرات "اجعلني فِداء أولادي، لا تمسَّهم بسوء. أنا فِداهم" وبين السُّخْرة التي كان يُسَخِّرني بها إخوتي، كَنت أقبلها بدون تذمر بل وبرضا، إذ كان ينعكس على فكر صلاة أمي "أنــا فداهم"!

الحياة المدرسية

مع الطلبة (١٩٣٥ – ١٩٤٤):



انتقل والدي من المنصورة إلى السويس ثم إلى منوف، فلما عدت من الإسكندرية بعد الكفاءة دخلت مدرسة شبين الكوم الثانوية، ولأن والدي كان موظفاً بالسكة الحديد، أعطوني اشتراكاً سـنوياً مجانيـاً بالدرجة الثانية، فكنت أركب في ديوان مخصوص كل يوم إلى شبين الكوم وأعود آخر النهار. وهنا تبدأ قصة تعرُّفي علـى شخصيتي بالنسبة لجموع الطلبة الزملاء.

كان مجرَّد جلوسي في الديوان صباحاً في الذهاب أو مساءً في العودة إشارة إلى انقسام مجموعة الطلبة المسافرة على نفس القطار إلى قسمين قسم يمرح ويهـرج ويجري ويستعرض نشاطه، وقسم يلتف حولي داخل الديوان إلى أن يمتلئ على آخره وبعضٌ في الطُرْقة، لسماع حديثي كسـؤال وجواب، فقد وجد فيَّ الطلبة مَعيناً لا ينضب من الرد على أسئلتهم الحائرة في كل الأمور



صورة شهادة الثانوية – القسم العام (١٩٣٧م)

بلا استثناء. ولأني لا أحب الجدال ولا أتعالى في حديثي، لذلك لم يجد في المبارزون بالكلام أي مدخل، وظللت لمدة سنتين الصديق النصوح للطلبة وربما المثال الهادئ للسلوك والتفتُّح.

كنتُ موضع ثقة كبيرة لدى جميع مدرسي في الثانوية والجامعة، وكنتُ صديقاً لجميع الطلبة وبالأخص ذوى الاتجاهات السياسية، فكنتُ مشيراً ونصوحاً وأحياناً قائداً ورائداً. ساعدتُ المعيدين الذين كانوا مدرسين عليَّ في نوالهم الماجستراه والدكتوراه في اتضاع وبساطة شجَّعَتْ المدرسين على الانتفاع بي دون تحرُّج. اكتشفت أني على مستوى يختلف عن جميع الطلبة في العمق والفهم وفي إدراك بواطن الأمور وفي نسق التفكير وفي خصب المعرفة. ولا أدري كيف صرت ولا زلت أحمل هذا القدر الهائل من التنوع في الموضوعات، وليس عن مجرَّد معرفة بل أن أكتشف كل يوم أني على مستوى الاختصاص، مع أن قراءاتي قليلة، ولكن ملاحظاتي حساسة وعميقة وأستبطن الحوادث فأدرك منها أشياءَ.



بدء الاتصال بمدارس الأحد (١٩٤٠ – ١٩٤٣)

ساقتني قدماي مرة - وكنت أقطن وقتها بمنيل الروضة في شقة صغيرة في حارة قرب النيل (حوالي سنة ١٩٤٠ - ١٩٤٣) ناحية الكنيسة بالجيزة لكي أقابل زميلاً لي (اسمه عوض باسيليوس وهو الآن صيدلي بالإسكندرية)، قيل لي في المنزل أنه موجود الآن في الكنيسة بالجيزة. وهناك في الكنيسة كان يحضر اجتماعاً للصلاة، فحضرته، وفي نهاية الاجتماع طلبوا مني أن أصلي، وكانت أول مرة في حياتي وأنا في القاهرة أن أُدعى للصلاة في وسط الكنيسة، فصلَّيت بدون

تردد، وكنت متحمساً جداً في صلاتي لأني عندما أُصلّي أكون صادقاً مع نفسي وأحس بوجودي في حضرة الله. والذي أذهلني أنه بعد الصلاة التفت الجماعة كلها حولي وكانوا نخبة من طلبة الجامعة يدمنون الصلاة والوعظ والخدمة منذ مدة طويلة. وأنا أول مرة أُصلّي وأسمع عن الخدمة، وبدأوا يسألونني عن اسمي وظروفي وما الذي أتى بي إلى الكنيسة، ففهمت في الحال أن صلاتي كانت مؤثرة، طلبوا مني كلمة وعظ فاندهشت لأنهم غير محتاجين إلى وعظ، ولكني فهمت أنهم يريدون أن يكتشفوني، فتكلّمت كما طلبوا مني.

(وفي هذه المناسبة نذكر العلاقة بين قدس أبونا متى المسكين وزملائه في مدارس الأحد بالجيزة حيث كانوا أربعة شبان علمانيين جامعيين قرَّروا أن يُكرسوا نفوسهم للرب، وهم: سعد عزيز (أنبا صموئيل)، ويوسف إسكندر (أبونا متى المسكين)، وظريف عبد الله (القمص بولس بولس)، ووهيب زكي (القمص صليب سوريال). وكانوا يسهرون معاً في الصلاة في بيت سعد عزيز، كما ذكر الأب متى المسكين في كلمته بمناسبة نياحة الأنبا صموئيل في (مجلة مرقس - أكتوبر ١٩٨١ - ص ٣): "كان بيته مرتع شبابنا مع زمرة من أقدس الشبان الذين عرفهم هذا الجيل، حيث كانت تُعقد السهرات الروحية والصلاة لتمتد حتى الصباح. وفي بيته انسكبت على جميعنا روح التكريس، ودعانا الرب لخدمته، فخرج كل منا منطلقاً في دعوته").

وجدت في الحياة الدينية عزاءً عن السياسة، وخصوصاً إني وجدت مجموعة تتقبل مني وأتقبل منها - ببساطة - المعرفة الروحية. ولكني شعرت أو بالحري أشعروني هم أني أعمق جداً من مستواهم الروحي والفكري وحتى الإنجيلي.

خبرة أليمة عن روح الانحصار والتعصب:

ولكن كانت الصدمة الكبرى في مساء يوم كنا مجتمعين فيه في منزل الأستاذ سعد عزيز بالجيزة (فيما بعد المتنيح الأنبا صموئيل أسقف الخدمات) في اجتماع محبة. وطرح أحد الإخوة سؤالاً عن علاقتنا بالبروتستانت. فتبرع أحد المسئولين بالرد الذي يُفهم منه أن لا نتعامل معهم، بدأت أنا أتساءل لماذا؟ فتطور الرد إلى الأمر (وكان المتكلّم هنا هو

المرحوم المهندس يسى حنا مدير شركة ماركوني اللاسلكية سابقاً) أن لا نضع يدنا إلا في يد مَنْ يؤمن بمبادئنا! فاعترضت وقلت إن هذه عزلة وليست بحسب الإنجيل. وهنا طرحتُ أنا سؤالاً محرجاً - ولكن يقطع في الأمر - هل لن يدخل الملكوت البروتستانت والكاثوليك؟ وكان رئيس الجماعة جالساً يسمع واسمه ظريف عبد الله (فيما بعد المتنيح القمص بولس بولس راعي كنيسة دمنهور)، فأخذ السؤال من فمي وطرحه للاستفتاء العام للجماعة الجالسة وكانوا نحو ٢٠ شاباً، فكان الرد بالإجماع أنَّ لا بروتستانتي ولا كاثوليكي سيدخل الملكوت طبعاً! وإلا فما قيمة الأرثوذكسية؟ وهنا فهمت أني أمام كارثة إيمانية بل كارثة وطنية وشعبية معاً، ولكن على ضوء هذا الاستفتاء بدأت أفهم الأمور من حولي.

لقد عانى العالم كله من صراع العقائد الدينية تماماً كما عانى من صراع الأحزاب السياسية، بل لا أخرج عن الواقع كثيراً حينما أقول إن منشأ الصراع العقائدي الديني هو منشأ سياسي دولي. ولكن مصر بنوع ممتاز عانت من كلا الصراعين ولا تزال تعاني.

إنها عتمة العقول وضيقها وانحصارها في أفق شخصي ورؤيا ضيقة.

إنها عزلة فُرِضَت علينا نحن الأرثوذكس المصريين منذ مجمع خلقيدونية (سنة ٤٥١م.) بحصار ثقافي ولغوي وحضاري. فقد فقدنا نحن الأرثوذكس المصريين منذ مجمع خلقيدونية كل صلة بالعالم الخارجي، فقدنا اللغة اليونانية وهي لغة اللاهوت والفلسفة والعلم، وفقدنا معها كل امتداد في الماضي والمستقبل، وفقدنا معها تراثنا الآبائي كله، ثم فرضنا على أنفسنا هذه العزلة بأيدينا وأحكمناها كلما شاء الله ليُخرجنا من هذا المأزق بتعصُّبنا، نتيجة الخوف والوحدة والعزلة الطائفية. ثم جاء غزو العرب ودخل الإسلام بعد مجمع خلقيدونية بمائتي عام ليُحكِم هذه العزلة ويُفقدنا اللغة الثانية، لغة الأم، اللغة القبطية. إذ خرج أمر من الخليفة بأن كل مَنْ يتكلم القبطية يُقطع لسانه، فانقطع لساننا بدون قطع وانتهت اللغة القبطية، لغة الوطن والحضارة الأُولى. واستيقظ الأقباط وإذا هم قد نسوا لغتهم الأصلية - فباتت كل مخطوطاهم التي ملأت خزانات الكتب في البيوت والكنائس والأديرة مئات الألوف المكتوبة باليونانية والقبطية بلا أي قيمة ولا معنى ولا أثر، كحجر

رشيد المُلقى على شاطئ البحر ينتظر مَنْ يترجمه لأولادها ولهذا كانوا يُفرِّطون في بيعها لسارقي المخطوطات من الأجانب.

بلغ الأقباط أقصى غاية الضعف منذ القرن السابع فما بعده وحتى اليوم. فلا تعجب أيها القارئ حينما تسمع بأننا متعصبون، إنما العزلة والخوف والجهل معاً فرضت علينا هذا التعصب الفكري والإيماني الذميم، وطغى علينا التعصب - الذي هو في حقيقته عتمة رؤيا وانحصار فكري - ليشمل ويحكم كل علاقاتنا.

تفتَّح إحساسي بخطورة الشعور بالتعصب منذ تلك الأمسية الخطيرة التي اجتمعنا فيها في منزل سعد عزيز (المتنيح الأنبا صموئيل). كانوا خيرة الشباب الذي بدأ يتحرك على كل المستويات وأخصها المستوى الديني، ويدخل الكنيسة بعد هجران مئات السنين - ولكن للأسف كانوا في أشد الحاجة إلى مَنْ يُخرجهم من ذواقم وينير طريق حرية الروح أمامهم - طريق المسيح نفسه!

بدأت العلاقات بيني وبينهم تكون على حذر، لأني كنت أعلّم بغير ما يعلّمون، إنما دون أي تفريط مني في عقيدتي، ولكن كان عليَّ أن أدفع الضريبة، لأن التعايش الحر مع الذين يخالفوننا في عقائدنا يحتاج إلى سعة قلب وفكر. ومن أين هذه السعة وكل شخص محصور في نفسه وفي مدرسته وفي عقلية زعيمه يتحرك بين خطين مرسومين له: الأول من أسرته لكي ينجح في الامتحان، والثاني من الزعيم الديني أو كما يسمونه أمين مدارس الأحد، لكي يضمن خلاصه (الأرثوذكسي).

وأدركت أن لا فرق بين العلم والسياسة والدين، فالكل يحتاج إلى قائد أمين جداً ومتفتح جداً وحر جداً، كما يحتاج إلى تلميذ لا يبيع عقله لكل منادٍ أو يجري وراء القطيع ليدخل أية حظيرة. وكان ألعن ما واجهت في اختباراتي ومشاهداتي في أيام شبابي هو رؤيتي كيف يعرض الزعيم رأيه (مدرساً كان أو زعيماً دينياً أو أمين مدارس الأحد) على مَنْ يتبعه فيستعبده، وكيف يبيع الشباب عقولهم ونفوسهم بسذاجة عن حماس وإخلاص وثقة لمن هم ليسوا أبداً أهلاً لهذه الثقة، وبمضي الأيام تكتشف الأجيال أنه قد غُرِّر بها وأنها سارت وراء شخصيات تافهة أضلّتهم الطريق وأفقدتهم الرؤيا الصحيحة،

هذه هي مصيبة هذا الجيل.

القدوة المسيحية أمام غير المسيحيين

كانت سمعتي في الحي الذي أسكن فيه في منيل الروضة سمعة طيبة. فكانت صاحبة المنزل (التي تسكن في الدور الرابع وأنا أسكن في الدور الثالث) تتبرع لتحكي للجيران عن سلوكي وأخلاقي، فكانوا يزدادون احتراماً لي، وكنت في الحقيقة أحرص على هذه السمعة لأن الطلبة في هذا الحي كانت لهم سمعة في غاية الرداءة. وكانت عادتي أن أخرج للتمشي على شاطئ النيل بين الساعة الرابعة والساعة الخامسة والنصف يومياً. ويأتي النيل مرة أخرى بعظمته وجبروته وجريه المتجدد الذي لم يستهلكه الزمن قط، كنت أتأمله أثناء سيري وأذهب إلى كوبري عباس، وأقف في منتصفه، وأعود إلى نفس المشاعر الأولى أيام كنت في المنصورة ابن سبع سنوات، والماضي يتجسم أمامي حقيقة واقعة، ثم فجأة يتلاشى الفارق الزمني من إحساسي وأقف بنفس مشاعري الأولى، وحينئذ أدرك في أعماقي شعوراً آخر هو امتدادي في عمق الزمن السحيق بقوة وامتداد واحتواء، ثم استقرار لذيذ مذهل، وكأني أصبحت ولست من هذا الزمن أو هذا الجيل، فأشعر بالغربة تضغط على صدري والدموع تسيل من عيني، وأقفل راجعاً إلى المنزل بخطى سريعة جداً لعلي أتخلّص من هذا الانخطاف الذي استسلمت إليه والذي خفت أن يبتلعني. وكأني لازلت أرضع بشدة من روح أسلافي.

وذات يوم لم أخرج، وكان باب الفرندة مغلقاً بالشيش فقط، فكنت أسمع وأنا نائم على سريري ما يدور بين صاحبة المنزل (مسلمة) فوقي وبين الجيران أمامي، وبدأوا يتكلّمون عن سلوكي وكيف أني لم أجرح شعور أحد من الجيران قط (كانوا مسلمين أتراكاً وابنهم معيد في كلية الزراعة)، فردَّت صاحبة المنزل على استفسارهم منها عن سبب اختلافي عن باقي الطلبة (القاطنين في نفس المنزل) فقالت لهم **لأنه مسيحي!!** أثّرت فيَّ هذه الكلمة وأدركت قيمة الشهادة للمسيح بالسلوك. وكان هذا مصدر سعادة وتعويض لنفسي لأني لم أُبِحْ لنفسي أي سلوك يخرج عن اللياقة كل أيام حياتي بدافع شعوري أني لست محتاجاً لشيء، وأني لا أستطيع أن أخالف ضميري الذي كان ملتصقاً

بالله أشد الالتصاق في إخلاص وصدق.

كان زملائي الطلبة على علاقة ممتازة بي، لأني كنت أحترم الجميع وأحب الجميع ولا أرفض مجاملة المشاركة معهم في ضحكهم ومزاحهم في حدود اللياقة وكانوا هم يعملون حسابي في هذا، فكانوا يستحون جداً أن يتكلّموا بالقباحة المكشوفة أمامي قط، وكنت صديقاً للمسلمين والمسيحيين على السواء، وعُرف عني هذا فزاد من تقدير الكلية كلها لي.

والعجيب أن صداقتي وحبي للمسلمين كان موضع تساؤل مستمر من المسيحيين وكأنه أمر يؤذيهم، فكنت أزداد عجباً وغيرة فأُحدِّثهم عن أصالة الوعي المسيحي أنه وعي إنساني قبل كل شيء.

ولكني كنت أبذل جهداً في إزاحة الحواجز التي تحجزني عن المسلمين لأنها حواجز موروثة ومتبادلة، غير أني كنت أكتشف يوماً بعد يوم أنها حواجز مصطنعة وليست أصيلة، فليس لها أصل عِرقي عنصري قط، ولكن تحفُّظ المسيحيين وتكتلهم وسرية حياتهم وممارساتهم الدينية أنشأت لدى المسلمين نوعاً من الشعور بالمفارقة ثم خوفاً منهم ومن التعامل معهم مما أنشأ عندهم نوعاً من الاضطهاد حسب المبدأ القائل إن كل هارب ينشي له مُطارِداً، وهو صحيح هنا.

ولكني شعرت أيضاً بأن الإيمان المسيحي بالغفران بدم المسيح كضحية وذبيحة دائمة ينشي في اللاشعور الإسلامي نوعاً من الشعور بالنقص لعدم توفر هذه الوسيلة القوية الفعالة عندهم، وبمضي الوقت انقلب هذا الشعور بالنقص إلى شعور بالتحدي والمهاجمة، كل هذا كان يجري في العقل الباطن ولا يظهر لنا منه إلا ما يطفو على السطح من غيرة واضطهاد بآن واحد؛ ولكن بشيء من التمعُّن والتأمل نرى أننا نحن السبب في كل هذا، فلا لوم عليهم حتى نبادلهم - عن غباوة وضيق عقل - حقداً بحقد أو نستمر في عزلتنا وسرية حياتنا، لأنه كلما اقتربنا منهم ضاع منهم النزوع إلى التعصُّب، وكلما كشفنا لهم إيماننا وعقيدتنا - دون رغبة في التبشير - كلما ارتاحوا إلى قُربنا وإلى عقيدتنا.

ولقد كان هذا الأمر من أخطر مشاغل تفكيري بعد الرهبنة، وبعد أن صرت مسئولاً

أو في الحقيقة كأب، فكتبت كتاباً عن التعصب الديني والسلوك المسيحي في المجتمع[1]. وكتاباً آخر عن علاقة المسيحي بالدولة في الأمور السياسية[2]، مع مقالات عديدة ظهرت في مجلة مرقس أعالج بها المشاكل السياسية، كلما ظهر منها - هذا كله وأنا راهب.

في الجامعة:

لم أدرس سوى علوم الكيمياء والصيدلة والفارماكولوجى، و لم يسعدني الحظ قط أن وقعت عيني أو يدي على أى كتاب في الأدب أو الفلسفة. وهذا أمر يذهلني ويذهل كل مَنْ يعرف هذه الحقيقة! فمنزلنا كان فقيراً للغاية وإخوتي درسوا جميعاً في كليات عملية، فلم أسمع حتى عن اسم أديب حديث أو فيلسوف مع أنى كنتُ في غاية التعطُّش للأدب والفلسفة، ولكن مصاريفي التي كنتُ أحصل عليها من والدي لكي أعيش في القاهرة وأدرس وأسكن وأشترى الكتب وآكل طوال الشهر كانت ٥ جنيهات من عام ١٩٣٨ إلى عام ١٩٤٣ (طبعاً غير مصاريف الكلية)، فلم يكن يتوفَّر لديَّ مليمٌ واحدٌ.

في وسط العمل الناجح (١٩٤٤ - ١٩٤٨)

ولّما عملت بعد تخرجي في قسم المستشفيات كانت ماهيتي (أثناء الحرب بالأمر العسكري) ١٢ جنيهاً. فلم تكن تكفى أكلي وسكني. ولّما انشغلت بشراء وإدارة أجزخانة بدمنهور لم يكن لديَّ دقيقة واحدة أقرأ فيها. ولّما تركتُ العالم ودخلتُ دير الأنبا صموئيل لم يكن في هذا الدير مكتبة ولا كتاب واحد ولا حتى مجلة قديمة أو حديثة ولا أى أثر للعلم كنسي أو مدني.

عُدتُ بعد ذلك لأعمل حُرّاً في الإسكندرية في أجزخانة الدكتور عبد الله الكبرى بالمنشية، ثم فتحت أجزخانة بدمنهور لحسابي، وكنتُ ناجحاً جداً.

ولكن ازداد حنيني جداً للحرية في الله التي سبق وأن حاولت أن أجدها في العلم والسياسة والدين، وأنَّى لي أن أجد هذه الحرية في عالم مستعبَد، خصوصاً في مصر التي

(١) كتاب "المسيحي في المجتمع".
(٢) كتاب "الكنيسة والدولة".

كانت قد قيَّدت العلم بسلاسل التعصُّب والاضطهاد والفكر الضيق، وقيدت السياسة بأصنام الزعامة التي فرضت نفسها على الشعب حتى اعتاد عليها الشعب ثم عبدها عن طواعية منهزمة، وقيَّدت الدين حتى جعلته تحت الوصاية، وسلسلت الإنجيل بسلسلة وربطته في ركن الكنيسة، تحلُّه عندما تشاء وتربطه عندما تشاء، وتُلبسه الثوب الذي تريد: ثوباً أرثوذكسياً أو كاثوليكياً أو بروتستانتياً.

ازداد حنيني لله جداً، وازداد حُبي له. فكنتُ بعد أن أنتهي من عملي بالأجزخانة، أذهب إلى منزلي بدمنهور في الساعة ١١ مساءً، وأبدأ أُصلِّي وأنا راكع حتى أفرغ من الأجبية (كتاب الصلوات وبه صلوات الليل والنهار جميعاً)، وأُبلل فراشي بدموعي. أين أجدك يا الله؟ لقد بحثتُ عنك في كل مكان فما وجدتك: لا في العلم، ولا في السياسة، ولا في تعصُّبات رجال الدين، ولا في المال الذي بدأ يملأ خزانتي. فأين أجدك؟ سؤال ظل هو موضوع صلاتي ودموعي بالنهار أثناء العمل وبالليل أثناء هذه الصلاة.



صورة بعد التخرج وقبل الرهبنة

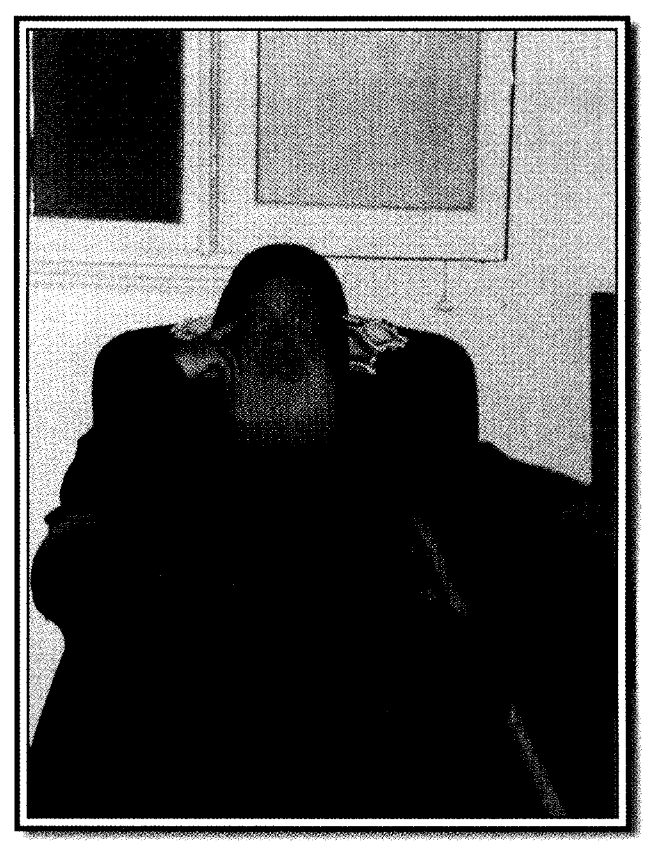
كانت أدق وأخطر مرحلة في حياتي، وأخصب وأعمق إدراك لله والحق والحرية والحب قد بدأ يسكن قلبي كردٍّ فعل لتوسلي ودموعي. بدأتُ أحس بسلطان يفوق إرادتي يعمل داخل كياني.

طلبتُ من الله بلجاجة أن يُسهِّل خروجي من العالم لكي أعيش حرّاً من بني الإنسان، أو بالحري لأعيش منتهي حريتي في الله، أو على الإطلاق أعيش في الله. كان هذا أمراً غير مُصدَّق لي ولجميع أقاربي وأصدقائي، وفي ذهني أنا أيضاً. فقد بلغتُ درجة من النجاح في

المدينة جعلت جميع الأجزخانات يعملون لي ألف حساب. فقد كان ترتيب أجزخانتي التي اشتريتها (بعد غلق دام أربعة سنوات لأن صاحبها لم يكن صيدلياً)، بحسب ترتيب القدرة الشرائية والمبيعات رقم ٦ بين الأجزخانات التي عددها ٦، ولكن بعد سنة واحدة بعد شرائي لها ارتفع الترتيب ليكون الثاني.

هذا بالإضافة إلى أن الأجزخانة اشتهرت بالأمانة والدقة، وبأني رجل اجتماعي أحب الناس والناس يحبونني إلى درجة أن بلاد الأرياف التي حول دمنهور المدينة كانوا يتزاحمون في أيام أسواقهم حول الأجزخانة بدرجة مثيرة، ولا يعرفون اسمي بل يقولون "القبطي". بالإضافة إلى أن شخصيات المدينة الكبيرة بدأت تجد راحتها ومستقرها في الأجزخانة في كل مساء مثل: حكمدار المدينة ومساعده، وكبار موظفي المديرية والبوليس. والأكثر من هذا - وهو بحد ذاته له معنى كبير وصِلَة بكل ما سبقتُ وكتبته عن إدراكي الروحي عن الله وعن علاقتي بالمسلمين؛ أن رئيس الإخوان المسلمين كان صديقاً لي وكان يُجاهر بهذا، وعندما قامت مظاهرة تعصُّبيَّة في المدينة من الرعاع (إذ أن مدينة دمنهور كانت مدينة متعصبة)، عَلِمَ رئيس الإخوان المسلمين بأن هناك تحريضاً من بعض الأجزخانات والشخصيات الإسلامية بتحطيم أجزخانتي، فما كان من الرجل إلاَّ أنه جاء وجلس على باب الأجزخانة في ذلك اليوم من الصباح الباكر دون أن يُخبرني بالأمر. وأنا اندهشتُ حينما اقتربتْ المظاهرة نحو الأجزخانة، فوقف الرجل في منتصف باب الأجزخانة وأشار إليهم بالعبور؛ فوقفوا متردِّدين كثيراً ثم رحلوا، وأخيراً علمتُ بالأمر. وقد صار ابن رئيس جماعة الإخوان هذا مأموراً لبوليس وادي النطرون سنة ١٩٧٦ وأنا راهب بدير أنبا مقار، وجاء وزارني وعرَّفني بنفسه، وذكَّرني بمحبة والده لي، وهو الآن مساعد مدير الأمن العام.

كذلك فإن علاقاتي بأسرتي وأصدقائي كانت تتسم بالمرح وليس فيها ما كان يشير إلى أني أعتزم ترك العالم. كل هذا جعل خروجي وبيعي للأجزخانة أمراً شاقاً جداً على الناس وعليَّ، لأنه كان يتحتَّم أن أُقابل يومياً مئات من الشخصيات تأتي خصيصاً لتقنعني بالعدول عن رأيي، وبالأخص موظفو المديرية لأني كنت أُعطيهم سُلفاً مالية تتراوح ما



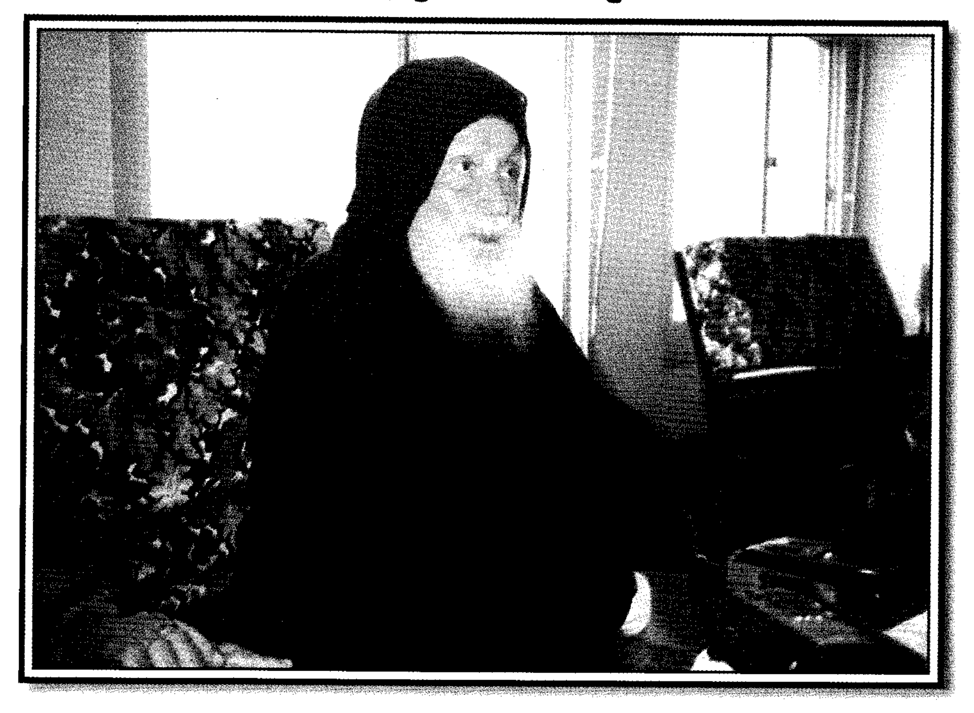
يرد على أسئلة الزوار



مع بعض زوار الدير
أمام الكنيسة الكبرى قبل تجديدها



المسيح يدعو الجميع إلى التوبة



أثناء حديثه مع بعض الضيوف



حوار مع بعض المثقفين والأدباء في استراحة الدير بالساحل الشمالي.

من اليمين: د. زكي سالم "باحث في الفلسفة الإسلامية بالجامعة"، أ. فايز فرح "نائب رئيس الإذاعة المصرية سابقاً ووكيل وزارة الإعلام سابقاً"، د. عاطف العراقي "أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة"، الأستاذة منى الملاخ "الكاتبة الصحفية بدار الهلال".

حديث جانبي مع الدكتور زكي سالم



يسجلون الحوار كتابة وتسجيلاً

بين ١٠ - ٢٠ جنيهاً يُسدِّدونها على أقساط شهرية بدون فوائد، حتى يصرفوا منها في وقت ضيقهم خصوصاً أيام أقساط المدارس، وكان معظمهم من المسلمين، هؤلاء كانوا أكثر الفئات تأثُّراً، وحاولوا بكل الطرق أن يثنوني عن مسيرتي.

العمل الروحي الداخلي:

كانت هناك حركات روحية تَجيش في أعماقي منذ طفولتي وأنا ابن أربع سنوات، كنتُ أحس بأني غريب عن إخوتي وأصدقائي وكأني من عالم ولعالم آخر حتى أن أسرتي لاحظت ذلك، وكانت تقدمني في اجتماع الصلاة وأنا طفل لكي أبدأ وأختم الصلاة، ولم أكن أتمنَّع قط لأني كنتُ أشعر أني طبيعي، وحتى إلى الآن لا أحاول أن أظهر تواضعي أو تمنعي إذا طُلِبَ منِّي الصلاة أو إبداء الرأي في الروحيات، وأعتبر أن التواضع الحقيقي هو أن يظهر الإنسان على حقيقته الطبيعية. حينما صرتُ شاباً أحسستُ بجوع شديد إلى الإنجيل والمعرفة الروحية فكنتُ أقرأ بدون أية معونة من أحد واكتشفتُ أخيراً أن معرفتي للكتاب المقدس وإدراكي لحقائق الإيمان والله كانت أعلى بكثير جداً من كل مَنْ عرفتهم، وذلك بدخولي مع الآخرين في حديث أو أسئلة أو حوار أو حينما كان يُطلَب منِّي الوعظ. لم أخدم في مدارس الأحد بالرغم من صداقتي لجميع خدامها في شبابي، لأني كنتُ أحس بعقم طريقتهم واصطناع الوسائل التعليمية في الدين على نمط التعليم المدني، وهذا لا أزال أرفضه حتى اليوم. ظلَّ الضغط الروحي في أعماقي يزداد ووعيي للحياة الأبدية يتعمَّق حتى حدثت المفاضلة الفاصلة: بين أن أبقى في العالم أبيع وأشترى وأغتني وأعول أسرة، وبين أن أنطلق في رحاب الله أحب وأفرح وأعرف وأنمو بلا قيود، فلم تستطع جميع المعوقات وكانت هائلة ومُخيفة أن تمنعني عن الانطلاق، فانطلقتُ إلى الدير وكنتُ أول شاب متعلِّم ولج طريق الرهبنة في جيلي، وكان خروجي للرهبنة في مايو عام ١٩٤٨.

الطريق إلى الرهبنة (عام ١٩٤٨)

ولكني كنتُ قد حددتُ في ضميري فترة ستة شهور منذ أول لحظة عزمتُ فيها على ذلك في قلبي، وطلبتُ من الله أن يُطلقني دون خسارات كبيرة، لأن أموالاً كثيرة جداً

كانت طرف المتعاملين معي. والله تحنن، وفي الميعاد تماماً وجدتُ كل شيء مُعدّاً، فانطلقتُ وتركتُ ورائي منزلي بأثاثاته، وكتبي وملابسي وحقائبي، وكل أموالي وزَّعتُها، وخرجتُ من دمنهور الساعة العاشرة مساءً، ومعي جنيهان أجرة المواصلات حتى الدير.

كان خروجاً بكل معنى الكلمة، كنتُ كطائر ينطلق في الأجواء العُليا بفرح لا تُعيقه الجاذبية الأرضية، لأنه قد فرد جناحيه لتحمله قوة أخرى، ومن فوق كان ينظر إلى كل شيء فيراه صغيراً وصغيراً جداً أصغر من جناحيه الطويلتين حينما يلمحهما بعينيه فيمتلئ زهواً بأنه قد صار حُرّاً والدنيا كلها تفرُّ من تحت بصره.

- هذا المال الجبَّار الذي يستعبد كل قُوَى الإنسان الفكرية والعاطفية والجسدية لم يَعُد يُحسب له حساب، فكان كمارد جبَّار سقط من وعيي وكياني مرة واحدة وتلاشى و لم يَعُد يوجد قط!

- هذا الشعور الجنسي الذي يغطِّي كيان الإنسان كمظلة، والإنسان لا يطيق الخروج من تحت سلطانها إلى أن تتكاتف وتتكاثف حتى تُكوِّن حلقة وهمية تحيط برقبة الإنسان لتجذبه حيث لا يشاء لترميه تحت أقدام امرأة تسوقه منها بحبل المحبة كيفما تشاء، بحجة أن هذه سُنَّة الحياة، وبمغريات تتجاوز حدود الإرادة والفهم والحكمة وكل شيء كالتفاحة الجميلة على غصن شجرة في متناول يد طفل، أو كوردة جميلة حمراء تميل نحو اليد التي تريد قطفها!!

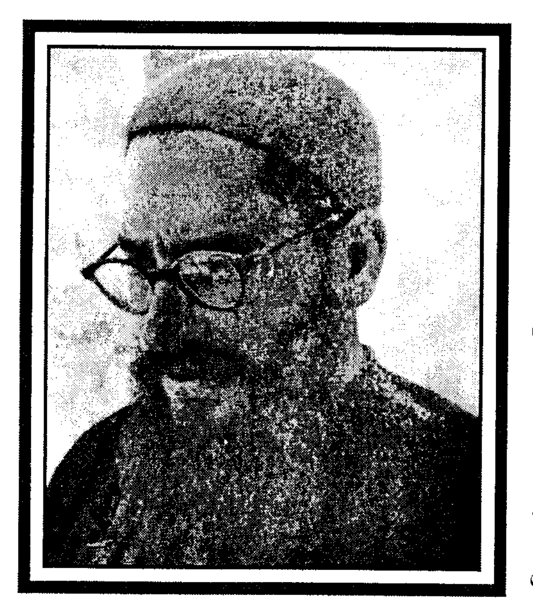
نعم هذه هي حكمة الخالق في الخليقة جميعها سواء بسواء، فلولا أكل التفاحة ما سقطت البذرة على الأرض، وما خرجت لنا شجرة أخرى لأطفال الغد. هكذا عبَّق الله الزهور بروائح تُخرِج الإنسان عن رزانته، وصبغ التفاحة بألوانها لكي تتجاوز بإغرائها كل رصانة، وجمَّل الطيور للطيور والإنسان للإنسان حتى تسير الحياة نحو البقاء ما شاء الله لها البقاء. ولكن كان هذا كله مُدرَكاً لي، وكنت أستبطن مشيئة التفاحة والزهرة، كما أستبطن مشيئة المرأة؛ فلا أجد فيها جميعاً إلاَّ مشيئة البقاء على الأرض، وأنا لي بقاء آخر انفتح في أعماقي لحياة ليست من الأرض ولا على الأرض، ولها هي الأخرى جمالها

الفاتن وإغراؤها الذي استبدَّ جداً بإرادتي وتجاوز كل تعقُّلي وصبري. فبمجرد أن فردتُ جناحيَّ وانطلقت في هذه الأجواء العُليا، خرجتُ سرّاً وخلسة من تحت هــذه المظلــة وضمنتُ فكاك رقبتي.

لم يسقط مني العلم أبداً، فكلما هممتُ عالياً وأجهدتُ نفسي للتحليق في أجواء الحق الأعلى، حق الله المطلق بالروح بعيداً عن كل ما هو أرضي أو زمني؛ كلمــا أضــاءت الأرض أمامي بنور فائق، وازدادت حقائق العلم حقاً، وازدادت الخليقة كرامــة ومجــداً سواء في ضعفها أو في قوتها. فكل ما احتقرتُه سابقاً في ضعف الإنسان من جهة فكره أو سيرته أو إيمانه، عدتُ فحملته على نفسي وعلى جناحي لأطير بضعف الخليقة كلــها في أجواء حرية الروح دون أن أستثقل ذلك، كما كنتُ أصنع سابقاً، أو أشعر بثقله. فأنــا أنا، هو ذلك الضعف عينه والعجز والتفاهة والضيق والعمى وكل قصور، ولكني طــائر وما زلتُ أطير بهذا الضعف والعجز والضيق والعمى وبهذه التفاهة وكل قصــور، لأن في الوجود الذي انفتح لي، وفي أجواء الحق والنور، وفي مجال الحب الإلهي، لا يصير وزن ولا ثقل ولا معيار قط لهذا الضعف وكل هذا القصور. إن ضعف الإنســان لا يــوزن ولا يُستثقل إلاَّ في غيبة الحب الإلهي أي في غيبة الوجود الحقيقي الأعظم!!

الدخول في الرهبنة

ذهبتُ إلى الدير مفعماً بمشاعر وقوة لا أستطيع قط أن أُعبِّر عنها. لم تكن الرهبنة هدفاً لي، ولكن التحرُّر من الناس، وما يربط الناس بتراب الأرض حتى يطويهم تحت هذا التراب عينه. هذا كان هدفي. كنتُ أحب الناس جداً، كما سبق أن قلت، وكان الناس حتى هذه اللحظة يحبونني ويلاحقونني أينما كنتُ. وهذه هي إحدى مُعطِّلات حياتي في تكميل مسيرتي نحو الحرية والتحرُّر من ذاتي؛ ولكني طلبت الرهبنة كأفضل حياة أستطيع فيها أن أعيش حريتي مع الله، وأتحرر من ذاتي وكل ما يربطني بالأرض عَبْرَ الناس.



في بداية الرهبنة

لقد ذهبتُ إلى الدير ظناً مني أنني هناك سأبلغ في نهاية المطاف أمنية حياتي، ولم أكن أدري أني قد بلغتها قبل أن تطأ قدماي عتبة الدير!!

الاختبار الرهباني

ومنذ أول يوم دخلتُ فيه الدير دخلتُ الحياة مع الله بقوة وبساطة وعمق وهدوء. كنتُ أمضى الليل كله في الصلاة – لمدة ثلاث سنوات – لأني كنتُ لا أستطيع النوم وقلبي يدق بشدة بلذة حب وفرح لا يعرفها إلاَّ العُشَّاق (لم أختبر حب المرأة عن وعى وتمنُّع). كنتُ أنام وأقوم في الحال، لذلك انحصر النوم كحالة إنهاك تُحتِّم علىَّ أن أقع وأستسلم للنوم عن انغلاب. أحببتُ الله حباً لا مثيل له، حبّاً سرِّياً بكل ما أملك، عن وعى وأصالة، ومقارنةً بعمالقة الآباء في العهدين القديم والجديد. فقد عشتُ مع شخصيات الكتاب المقدَّس معيشة العشرة الروحية التي أنا مُتيقِّن أنها أعمق وأقوى وأكثر

واقعية مما لو كنتُ عشتُ معهم جسدياً. عشتُ مع آدم وأحسستُ بكل ما كان يتجاذبه من تيارات وعلاقات بالله وحواء والشيطان، وأدركتُ معنى سقوطه لا كأنه خبرة خارجة عن كياني بل في كياني، ومن كياني كونتُ علاقاتي مع آدم. ومع إبراهيم عشتُ طويلاً طويلاً حتى وصلتُ إلى الإحساس به عن قرب وأحسستُ وشاركتُ في إيمان هذا البطل، ثم مع كل شخصية. وأثناء خبرة تأملي وعندما وصلتُ إلى العهد الجديد وبالذات في موسم الميلاد، وفى تأملي مع العذراء مريم (التأمل مع الشخصية كان يستمر من أسبوع ويصل أحياناً إلى ٣ شهور)، وبينما أنا أرافقها في رحلتها السريعة لأليصابات انفتحت بصيرتي فجأة، ومنذ ذلك الحين (عام ١٩٤٩) وابتدأ التأمل يُخالطه نوع من الرؤيا العقلية.

أول امتحان رهباني

ولم يكن ينتظرني في الدير وفي الحياة الرهبانية إلاَّ امتحان عسير لأُمنية حياتي، هذه التي كنتُ قد بلغْتُها، وأقسى وأعنف ما يمكن أن يكون الاختبار أو الامتحان بمفهوم المحبة!! لم تكن الحياة الرهبانية بالنسبة لي حتى هذه اللحظة التي أعيشها الآن إلاَّ فحصاً وتمحيصاً لِمَا كنتُ قد بلغته تماماً قبل دخولي إلى هذه الحياة.

رؤية للرهبنة في العصر الذي دخل فيه الدير:

ولكن الرهبنة كانت عند الرهبان (في منتصف القرن الماضي)، سواء الصغار أو الكبار، تسير مغمضة في العبودية الإنسانية الجديدة للإنسان، بلا مقابل إلهي يعكس ما كان لها من ماضٍ مُشرق في مفهوم الحرية الروحية، حتى صارت الرهبنة نوعاً من الخضوع الخانع والتقيُّد بمفاهيم الرؤساء وطاعة ميولهم الشخصية حتى غير الإنجيلية، وأوامرهم التعسفية بدون نقاش مستغلين المقولة المتوارثة: "إن الرهبنة طاعة". وهذه المقولة صحيحة وحقيقة لا تُناقَش. ولكن أصل الطاعة في الرهبنة أنها كانت للأب الروحي المختبر والمطيع لله، وعلى أساس أن الطاعة ستُوصِّله إلى الحرية. وهكذا كانت الطاعة عندي في حدود الإنجيل والحق، ودون أن تؤذي حريتي في الصلاة والعبادة.

الامتحان الرهباني الأول:

اصطدمت منذ أول دخولي أثناء الاختبار الرهباني عند رئيس الدير بمحاولة إبقائي في القاهرة، فكان يستدعيني بكثرة ليراني الناس من جميع الطبقات والأجناس، ويريد أن أبقى معه لأخدم معه، ويكون ذهابنا إلى الدير للبركة فقط. رفضتُ ذلك بشدة وقلت: أريد أن أُرسَم في الدير وعلى الدير، ولا أنزل من الدير. فكانت هذه بداية النزاع الذي زاد وتفرَّع بعد ذلك. ولكن من جهتي كان ذلك من أجل سلامة حياتي ورهبانيتي، ومن أجل الحق والمسيح نفسه. والزمن أثبت صحة ذلك.

الحياة الرهبانية كما اختبرتُها:

كانت الإضافة العظمى لرصيد حياتي الروحية هي المعرفة بدقائق العهدين القديم والجديد، في تأملات عميقة وواعية وصلاة عشت مع جميع شخصيات الكتاب ودخلت في سر العلاقة الحية التي كانت تربطهم بالله، فكان هذا ينبوعاً أشرب منه وأرتوي وأمتلئ بالمعرفة والحق والنور كل يوم بلا شبع، مما جعل معرفتي بالروحيات تترسخ على أساس معاملات الله الحية، وازدادت علاقة الحب بيني وبين الله في شخص الرب يسوع إلى درجة فوق الشبع، ومن خلالها دخلت في أسرار المسيح، واقتربت جداً من الحق الذي كنت أسعى إليه وأشتاق للدخول فيه، وسمعت ورأيت بالروح وبالعقل أجوبة لكل استفساراتي.

فأنا لم يكن لي أب روحي بجانبي، فرئيس الدير في مصر لم يزر الدير (دير الأنبا صموئيل) إلا مرة واحدة في حياته وقبل أن نترهب نحن، ولا كان لي زميل أتعزى معه، فرهبان الدير كلهم أُمِّيون. وزميلي الوحيد - الأب مكاري - نزل والتحق بدير آخر - دير السريان - وصار قساً ثم عاش في مصر بقية أيامه ورُسم أسقفاً باسم الأنبا صموئيل أسقفاً للخدمات).

إلى دير السيدة العذراء بالسريان
(مارس ١٩٥١ - ٢٠ يولية ١٩٥٦)

قضيت في ديري الأول - دير الأنبا صموئيل بجبل القلمون، مديرية بني سويف - ثلاث سنين تقريباً كانوا ملء الشبع، وألَّفت فيها كتابي الأول "*حياة الصلاة الأرثوذكسية*".

نزلت من الدير إثر مرض أصاب عيني (بمبادرة من المتنيح الأرشيدياكون راغب مفتاح)، واتصل بي أبي الروحي القمص مينا المتوحد في كنيسته بمصر القديمة (قبل أن يصير بطرِيَركاً) وطلب مقابلتي للمصالحة، لأنه كان قد طلب مني أن أنزل من الدير وأتركه لألتحق بدير آخر - السريان - فلم أوافق.

قابلتُه وتصافحنا. ذهبت لزيارة أديرة وادي النطرون بنصيحة من الأب الروحي نفسه، ولكن أسقف دير السريان أمسكني عند دخولي الدير ورسمني كاهناً (١٩ مارس ١٩٥١ - عيد الصليب) باسم "متى المسكين" على اسم القديس متى المسكين مؤسس دير بأسوان في أوائل القرن الثامن، وذلك بسبب وجود راهب آخر في الدير بنفس اسم الراهب متى: "متاؤس".

أول تلاقي مع الناس بعد عزلة تامة:

حينما نزلتُ إلى العالم من الدير بعد ثلاث سنوات مروراً إلى دير السريان، اكتشفتُ بعد حديثي مع بعض الشخصيات أن مُدْرَكاتي الروحية والإنجيلية صارت من نوع آخر تماماً وبعمق آخر، وحاولتُ أن أختصر في علاقاتي حتى لا أثير حولي حركة لأني لا أطيق استعراض الفكر ولا أحتمل كثرة الكلام والأسئلة.

لم أَطِق حياة المجمع بالدير - دير السريان - لأنها كانت حياة مصطنعة يستحيل أن يتحملها إنسان يريد أن ينطلق في العبادة بالروح والحق (لم يكن في الدير أب روحي بعد، يضبط حياة المجمع لحساب العبادة بالروح والحق).

(فأخذ إذناً من نيافة الأسقف رئيس الدير بالتوحُّد، فوافق) وخرجتُ وحفرتُ لنفسي

بيدي مغارة تبعد عن الدير حوالي ٤٠ دقيقة مشياً على الأقدام، في الصحراء التي لا يحدُّها البصر، وكنت أعول نفسي ولا أذهب للدير إلا للتناول كل شهرين تقريباً.

(قبل حفره المغارة لنفسه استقبله الأب المتوحد عبد المسيح الحبشي في مغارتـــه لمـــدة أسبوعين لحين قيامه بحفر المغارة، حيث كان يخدمه فيها ويستلم منه حياة التوحُّد).

الاختبارات الباطنية الأولى:

كانت هذه الفترة مكمِّلة لحياة الرهبنة الأُولى، ففي الوحدة المطلقة انطلقت روحي من كل قيود الجدران العالية والأمان المصطنع، فكانت الذئاب تزور مغارتي في الليالي القمرية وتأتي على بابي وتلعب أمام المغارة طوال الليل، كما نـــزل بالوادي ضبع وكان يطوف حول المغارة، كانت الثعابين تتعايش من فضلات أكلي - كل هذا جعلني أحس بالخليقة عن قرب وأمتد في تأملاتي، لأني كنت أحبها وهي لم تؤذِني قط.

ازداد تعمقي جداً وأدركتُ علاقة الله بالكون، وأحسست بالأبديـــة - اللازمـــن - واستنشقتُ روح الله، وذُقْتُ السرور المفرط، وفهمت معنى أن الله واحد، وأنه بســـيط، وأنه كلي القدرة وكلي الوجود، وأنه واجب الوجود بذاته، كل هذه المعتبرة أنها عوائص اللاهوت، عشتُها وأحسستُها ووثقتُ منها أكثر من وثوقي بذاتي وبهذه الدنيا، لأن حقيقة الله ليست مجزَّأة فإذا انكشفت أي صفة من صفات الله لروح الإنسان - ليس بالعقل - ولكن بالرؤيا التي هي بعينها الدخول الفعلي في الحق كخبرة، فإن هذا يشير إلى انفتـــاح بصيرة الإنسان لإدراك الله في ذاته - قليلاً قليلاً - وأقول قليلاً ولـــيس جزئيـــاً، لأن أي طمع في الامتداد في التعرُّف على الله في ذاته كفيل بأن يشلّ كل مَلَكات التأمل، والروح والعقل معاً، ويُدخل الإنسان في اضطراب وتشويش وشكٍّ.

كنت أقضي الليل كله ساهراً متأملاً، وكل ومضة جديدة من المعرفة كانت تشـــعل روحي وتُلهب كل مَلَكاتي، فأقوم وأُصلّي كثيراً وأسجد وأشكر بدموع معترفـــاً بـــأني لست كفؤاً لأكثر من هذا، ولكن خوفي من الامتداد أكثر في الدخول في أسرار الله كان هو هو بذاته المؤشر الصحيح الذي كان يصرِّح لي بالدخول، فكنت أتعجب من قـــول

بولس الرسول: «أفتخر بالحري بضعفاتي لكي تحل عليَّ قوَّة المسيح ... حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي» (٢كو ١٢: ٩ و١٠)

هذه هي إحدى متناقضات Paradox السعي في معرفة الحق وهي تختلف جذرياً عن أصول المعرفة الزمانية في أمور العالم المادي.

كنت أُدقق - بالرغم من هذا - في صلواتي الطقسية وفروض السواعي بالليل والنهار بكتاب "الأجبية" وحفظت مزاميره كلها عن ظهر قلب، وكانت لي معيناً عظيماً في عدم توقف التأمل، أو برودة النفس.

وبالرغم من توحدي المطلق الذي لم أكن أرى فيه إنساناً أو أتكلم مع أحد، كنت في ذات الوقت مُتعايشاً مع العالم، مع الخليقة كلها وعلاقتها بالخالق. ودونما أي سعي من جهتي، وجدتُني أتأمل في تدبير الله في الخليقة وفي الأسس التي تقوم عليها نواميس هذا التدبير، فبدأت أتكشَّف أنواع النواميس التي تسير عليها الخليقة وتحفظ كيانها.

وهكذا صرت أمزج عبادتي برؤية هذا الكون من داخل نواميسه وأسراره، فوجدت أشياء عجيبة حقاً وممتعة حقاً، نعيشها ونستمتع بها، ونستخدمها، ولكن دون أن نعيها أو نفهم مصدرها مع أنها هي بعينها جوهر الحياة والعبادة.

وأثناء وجودي بالمغارة، كان يستحيل على أي راهب أن يقترب من مكان سكناي، لأن علاقتي بالرهبان دائماً كانت على مستوى احترام الحرية والتدقيق في ذلك من جهتي إلى أقصى حد، وكانت شخصيتي ذات مهابة لدى الرئيس، فكانت بالتالي لدى كافة الزملاء الرهبان.

كانت أول خبرة لي هي التجنُّب والابتعاد عن الزملاء مما أثار حفيظة البعض، فازددتُ بُعداً واعتكافاً. وهكذا صرتُ رغماً عني مركزاً آخر معاكساً، بسبب طبيعة محبتي للهدوء والتأمل والابتعاد عن الوظائف الكنسية. ولكن بقدر بُعدي وتمنُّعي عن المقابلات وعن الرئاسات، بقدر انجذاب العالم إليَّ وجَرْي الفضوليين ورائي، ومنهم مَن أجبرني على أن يترهَّب بجواري في الدير الذي أنا فيه.

الانتداب وكيلاً للبابا في الإسكندرية

(مارس ١٩٥٤ - مايو ١٩٥٥)



القمص متى المسكين وكيل البطريركية يستقبل البكباشي حسن إبراهيم نائب رئيس الجمهورية (١٩٥٤م)

دُعيت بعد مضي ثلاث سنوات في الوحدة في المغارة للذهاب إلى الإسكندرية سنة ١٩٥٤ لأعمل وكيلاً للبطريرك أنبا يوساب الثاني، فرفضت وأُعيدت إليَّ الدعوة برجاء من البطريرك ومن أسقف دير السريان الذي حضر بنفسه للمغارة، وبعد رفضي لثاني مرة عاد البطريرك يطلب بإلحاح، وعاد الأسقف يترجى، وبإلحاح، فلم أستطع الرفض لشعوري بالخجل، ولإحساسي بأن الله معي، ولأنه لن يضيرني شيئاً أن أكون في المغارة أو في الإسكندرية.

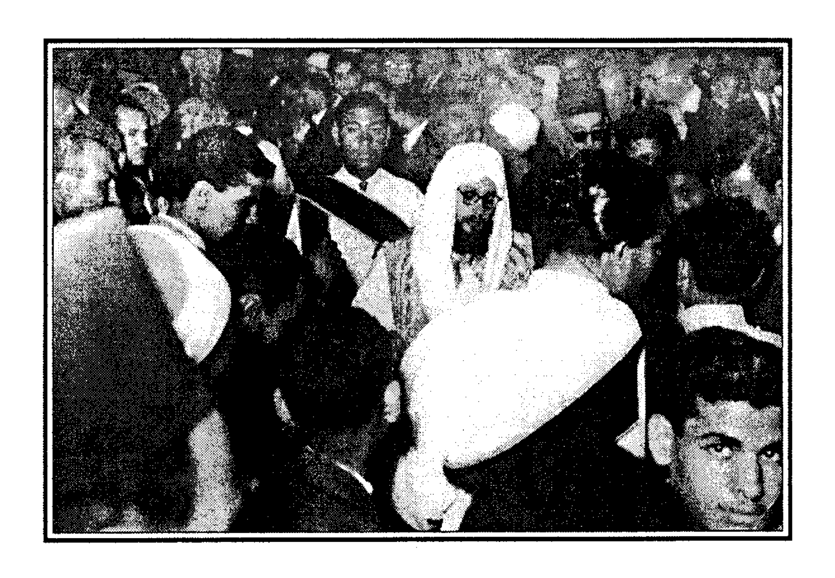
عملت منذ أول لحظة بعقلية منظمة وتخطيط لإعادة أوضاع البطريركية المنهارة، فديون البطريركية كانت تزيد على ٥ آلاف جنيه، وماهيات الموظفين غير مدفوعة منذ ثلاثة أشهر.

كان لابد من حصر الموارد وتدبير الدخول، فأنشأت دفاتر تسجيل لأول مرة وسجَّلتها بوزارة الداخلية وختمت صفحاتها، دفاتر لكل شيء، ورتبت ماهيات ثابتة للكهنة لأول مرة في القطر المصري، وكانت الماهيات عالية جداً وقتها: يبدأ الكاهن بـ ٢٥ جنيها مرتب (علماً بأن خريج الجامعة كان يتقاضى ١٢ جنيهاً) - مع علاوات سنوية بدون توقف، مع أثر رجعي جعل أكبر كاهن يتقاضى ٥٥ جنيهاً.

وبدأت أعيِّن المسئولين في كل كنيسة لحصر الدخول في الخدمات فـارتفع الـدخل سريعاً، مما غطَّى الديون في ثلاثة أشهر، ولكن يظهر من هذا أن الكهنة كانوا يتقاضـون من هذه الدخول لأنفسهم ما يزيد على ثلاثمائة جنيهاً شهرياً للواحد!

وهنا بدأ تكتل الكهنة للتخلُّص مني بأية وسيلة، حاولوا كثيراً وكثيراً لدى البطريرك، واستخدموا وكيل المجلس الملي.

وبعد أن كنت قد بدأت بترتيب الخدمة ورسامة أول كاهنين جامعيين (مينا اسكندر، ويوحنا حنين) في الإسكندرية، وهذا أيضاً بدوره أثار حفيظة الكهنة، وجعلهم يستميتون في السعي للتخلُّص مني. وأخيراً استطاعوا بمعاونة مطرانين أفلحوا في إقنـاع البطريـرك بتعيين وكيل غيري.



في الكنيسة المرقسية أثناء القداس الإلهي

وهذا أثار ضجة الشعب وبقية أعضاء المجلس الملي، فالتجأوا إلى المجلس الملي بالقاهرة، ودبَّروا معاً مع وزير التموين جندي عبد الملك - وكان هو المسيحي الوحيد في الوزارة، لخلع البطريرك من كرسيه ونفيه بدير المحرق، وتم ذلك بأسرع ما يمكن.

ثم حوَّل إليَّ المجلس الملِّي رسالة من اللجنة الثلاثية التي تقوم بإدارة شئون البطريرك، مع خطاب من وزير الداخلية (زكريا محيي الدين) برجاء العودة إلى الإسـكندرية، ولكـني

كنت قد فرحت جداً بعودتي إلى مغارتي، بالإضافة إلى علمي أن الكهنة لن يهدأ لهم بال إذا أنا عُدتُ إليهم، فلم أكن أحس في نفسي أني أقوى من ''إخناتون'' (الذي هاجمه كهنة الأوثان لما أعلن عقيدة الإله الواحد). وهذا (عدم عودتي) ما لم يكن يريده الشعب إطلاقاً. ففضَّلتُ البُعْد عن الصراع الذي لن ينتهي.

ولكن بعملي في الإسكندرية لمدة سنة ونصف ظهرت الإصلاحات في الإدارة والتنظيم والضبط وإحياء الخدمة الروحية والخدمة الاجتماعية التي عملتُ لها مكتباً خاصاً بالبطريركية، وعيَّنتُ عليها أول كاهن متعلِّم (خريج كلية الهندسة، والكلية الإكليريكية ودبلوم الخدمة الاجتماعية من الجامعة الإمريكية). وكان أول مكتب خدمة اجتماعية رسمي في الكنيسة القبطية.

من أعمال الأب القمص متى المسكين: (مصالحة حالات الطلاق)



الشعب يحيط به عند عودته للبطريركية

وما سرده لنا قدس أبينا الروحي، أنه أثناء خدمته كوكيل للبابا البطريرك ورئيس للمجلس الملي، عُرضت عليه أحكام بالطلاق، لأن المجلس الملي كان هو الذي يحكم بالطلاق (قبل إلغاء هذا الاختصاص وتحويله عام ١٩٥٥ إلى محاكم الأحوال الشخصية)، عُرضت عليه هذه الأحكام للموافقة عليها باعتباره رئيس المجلس الملي. لكنه تريَّث في التصديق على الأحكام وطلب أن يؤتى بهذه الحالات أمامه ليحاول مصالحة الأطراف الطالبة الطلاق. وبنعمة الله وبالحكمة الروحية ونعمة الله التي فيه، استطاع الأب القمص متى المسكين بمعالجته لكل حالة من الحالات على حدة أن يُصالح الأزواج المختلفين

بعضهم مع البعض وإعادة وحدتهم في المسيح وإلغاء أحكام الطلاق. وخرج الجميع من عنده بفرح المصالحة وسعادة التوافق والاتفاق.

شهادات:

١. يشهد لهذه المرحلة من السيرة الذاتية ما سجَّلته **مجلة مدارس الأحد** في ذلك الحين عام ١٩٥٥ في مقال بعنوان: ***"القمص متى المسكين"*** بقلم رئيس التحرير **الدكتور وليم سليمان**، يونيه ١٩٥٥، من صفحة ٣-١٥.

ونلخِّص هذا المقال (الذي يقع في ١٣ صفحة) في الأسطر القليلة الآتية:

- في أوائل عام ١٩٥٤ تقدَّم الشعب القبطي بالإسكندرية بطلب إلى البابا يوساب الثاني لتعيين وكيل للبطريركية هناك. وكذلك تقدَّم المجلس الملي بالإسكندرية بطلب لقداسة البابا لاختيار راهب من بين ٤ رهبان تقدَّموا إليه بأسمائهم، فوقع اختيار البابا على الراهب القس متى المسكين بدير السيدة العذراء بالسريان.

- لكن الأب متى المسكين تمنَّع من مغادرة ديره. أما البابا يوساب الثاني فقد أصرَّ أن يأتي الراهب متى من الدير إليه أو أن يذهب إلى الإسكندرية. وهكذا أمر البابا رئيس الدير الأسقف الأنبا ثاوفيلس أن يُحضِر الراهب الممتنع. وهنا رضخ الراهب متى المسكين لتنفيذ الأمر.

- وجد القمص متى المسكين الأحوال في الإسكندرية غير مستقرة، إذ كان هناك معسكران يتشاحنان معاً حتى وصل الأمر أن يُرابط جنود البوليس في ساحة الكنيسة المرقسية بصفة دائمة.

- **ملخَّص الإصلاحات التي أتمَّها القمص متى المسكين في الإسكندرية (في ١٤ شهراً):**

١. **تنظيم الإدارة البطريركية** بعمل سجلاَّت للزواج والعماد، مع استحداث نظام لاستخراج الشهادات الرسمية.

٢. **ضبط الخدمات الدينية:** فحددت البطريركية لكل كاهن مرتَّباً محدداً على أن يُسلِّم ما يقدِّمه الشعب مقابل الخدمات الطقسية.

٣. **الشروع في إحصاء عام لأقباط الإسكندرية لتنظيم الافتقاد والخدمة الصحيحة المجدية للشعب.**

٤. **تنظيم الإحسان** بحيث لا يأخذ محتاج نصيباً مرتين أو أكثر بل ينال كل واحد حسب

احتياجه.

٥. **إنشاء المدرسة الإكليريكية.**

٦. **الإشراف على تعليم الدين بالمدارس.**

٧. **إنشاء المدرسة الصناعية** لتخريج أجيال من الشباب تصلح للعمل في المصانع.

٨. **تنمية موارد البطريركية** مما أدَّى إلى سداد الديون المستحقة على البطريركية، وإيداع مبلغ في البنوك يُدرُّ إيراداً لمصاريف الكنيسة.

٩. **تدعيم الكهنوت:** وقد قام برسامة كاهنين جامعيين (القس مينا إسكندر وكان حاصلاً على الماجستير في العلوم، والقس يوحنا حنين وكان مهندساً).

- **يقول تقرير مجلة مدارس الأحد:** إن أروع أعماله كان تأثيره الشخصي وقوته الروحية وعمله من أجل كسب النفوس وخلاصها. وقد التفَّ حوله أساتذة الجامعة والأطباء والمهندسون والمحامون ورجال الأعمال وأقطاب المدينة، حيث كانوا يجتمعون به ويتحادثون معه ويسألونه وهو يُجيبهم. وكان الجميع يتحدثون عن كيف عرَّفنا بالله وجعل لنا معه صلة ورابطة.

أما إنكاره لذاته فحديثه يطول: كان يُقابل الإساءة بالإحسان، والاعتداء بالصفح، ومحاولات إبعاده كي يتخلَّى عن العمل - فيعود أصحاب المنفعة الشخصية إلى مكانهم القديم - فلا يتأثر أو يثور، بل في صمت وهدوء يُسجِّل ما يحدث، تاركاً لله أن يُدافع عنه. من أجل ذلك أحبه الجميع، بل نظروا إليه كمَثَل رائع حي للمسيحية في أرقى صورها، وتكاتف الكل يؤيِّدونه ويتمسكون به.

- **اعتفى القمص متى المسكين مرتين من عمله** وعاد إلى الدير لأنه كان لا يحب التصادم مع المعارضين. وهنا ظهر تقدير الشعب وتمسُّكهم به، ومباركة البابا يوساب الثاني للقمص متى المسكين. فكتب إلى القمص متى المسكين خطابين: الأول في ١٣ يناير ١٩٥٥ قائلاً:

- **خطاب تقدير من البابا يوساب الثاني للقمص متى المسكين ليُعيده إلى مركزه (المرة الأولى):**

"لقد عُرض علينا القرار الذي أصدره مجلس ملي الإسكندرية بالإجماع، والذي يتضمن ما يحمله المجلس لابننا المبارك القمص متى من تقدير لإخلاصه وصلاحه، وما كان من أثر خدماته لمدينة الإسكندرية من فضل وأفضال يستحيل على غيره القيام بها. فكان لهذا الاعتراف من صفوة أبنائنا الأثر البالغ في نفسنا. وإن كنا نُهنِّئ ولدنا القمص متى بهذه المحبة التي تمكَّنت من قلوب الجميع بدليل ما لمسناه في وفد الإسكندرية الذي حضر إلينا اليوم من كهنة ومجلس ملي وشعب وجمعيات، وما

يصل دائماً إلى علمنا من استقرار المحبة والسلام في الإسكندرية.

لذلك فإننا ننتهز هذه الفرصة كي نُعلن لحضراتكم ولأبنائنا الشعب المبارك المحبوب ما نُكنُّه لولدنا القمص متى من حب وتقدير ورضاء، وإن ما يصلنا عن أعماله بالتضامن مع المجلس يجعلنا راغبين دائماً أبداً في الإبقاء على الأوضاع الحالية ببطريركية الإسكندرية والبلاد التابعة لها... وإننا ندعو لابننا القمص متى بدوام التوفيق في خدمة الإسكندرية كوكيل للبطريركية ورئيس المجلس".

– وتكرر هذا الموقف مرة أخرى بعد شهرين أي في مارس ١٩٥٥. ومرة أخرى آثر القمص متى المسكين عدم التصادم مع المحاولات والصعوبات التي توضع في طريقه. وقدَّم استقالته إلى البابا البطريرك في مارس ١٩٥٥.

– ولكن الشعب كله قام يطلب عودته، واجتمع بالمجلس الملي مصمِّماً على وجوب رفض الاستقالة وعلى إزالة أسبابها، وأرسل يطلب إلى البطريرك عدم قبول الاستقالة وإقناع القمص متى بالعودة إلى عمله بالإسكندرية، واحتفظوا بمكتب القمص متى المسكين وغرفته الخاصة بالدار البطريركية مغلقتَيْن لحين عودته.

– وحقَّق البابا البطريرك طلب الشعب الإسكندري وأرسل في ٢١ مارس ١٩٥٥ للقمص متى المسكين يقول:

– **الخطاب الثاني من البابا البطريرك يوساب الثاني إلى الأب القمص متى المسكين ليُعيده للمرة الثانية):** "لِمَا نحفظه لكم في قلبنا من محبة وعطف وتقدير، وما رأيناه في مدة خدمتكم الماضية من خير أبنائنا الشعب المبارك الذي يُسرُّ كما يسرُّ أبناءنا وكيل وأعضاء المجلس الملي الفرعي عودتكم لعملكم، وبما أنكم كوكيل لنا في الإسكندرية تُباشرون بالنيابة عنا شئونها؛ فإننا نعتمد على غيرتكم وإخلاصكم كما نعتمد على ما منحكم الله من حكمة أن تقوموا بعملكم مؤيَّدين بنعمة الله وتعضيدنا الكلِّي".

– كما أرسل في نفس التاريخ إلى المجلس الملي يقول:

– **الخطاب إلى المجلس الملي بالإسكندرية:** "نحيط بنوَّتكم أننا قد وافقنا على إعادة ولدنا إلى عمله كما كان – ولما كان ولدنا القمص متى المسكين يحوز رضاءنا وتأييدنا التام، بل إننا راضون عنه كل الرضا – لذلك نأمل أن تعملوا من جهتكم على إزالة كل سبب قد يكون مدعاة لِمَا لا نرضاه له أو لعمله وخدمته".

الرجوع النهائي من الإسكندرية إلى ديره:

– في ٤ مايو ١٩٥٥، استؤنفت المحاولات لإقصاء القمص متى المسكين ووزّعوا نشرة ضده تضمنت افتراءات متعددة و لم يكن بالنشرة توقيع.

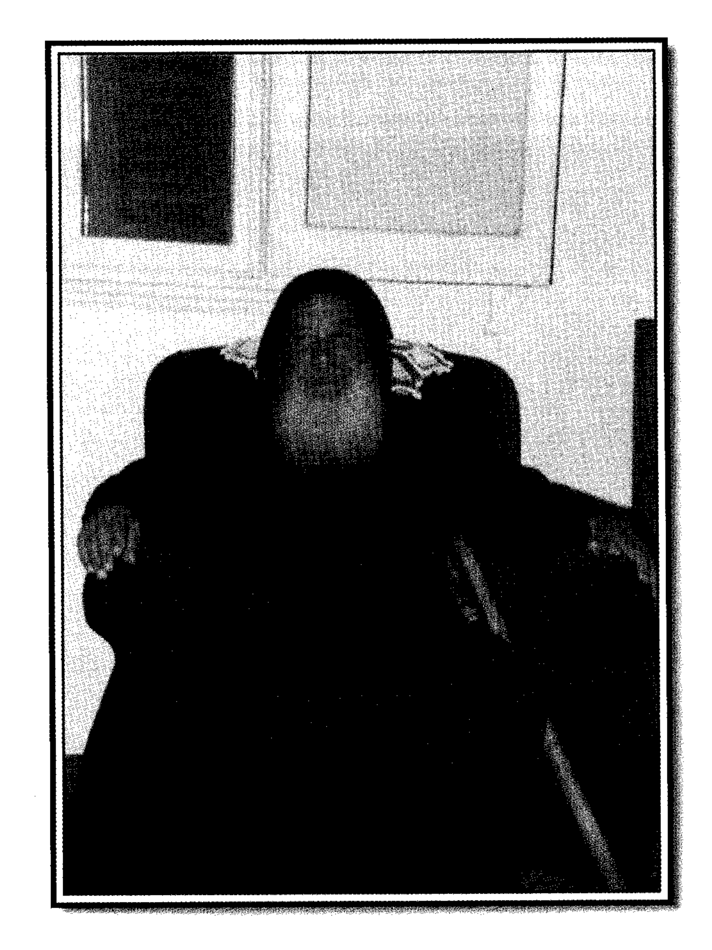
– و لم يشأ القمص متى المسكين أن يردَّ على التجنّي بشيء ضارباً أروع الأمثلة على خُلُق الراعي الوديع ومُثُله العُليا، إنه لا يبغي لأحد أذى، ولا يردُّ الشر بالشر. مما ضاعف محبة الشعب له وتقديره لحكمته واستحقاقه للثقة الموضوعة فيه.

– وفي ١١ مايو ١٩٥٥ أعلن المجلس الملي قطعاً لدابر المفتريات وتقديراً لموقف رئيسه القمص متى المسكين وكيل البطريركية "استنكار الحملة المُغرضة التي تهدف للنَيْل عبثاً من قداسة القمص متى المسكين وكيل البطريركية ورئيس المجلس... والمجلس يعلن أنه كان يُصدر في تصرفاته متضامناً مع رئيسه، مُستهدفين معاً الخير والسلام والإصلاح ويُحيِّي تلك الروح التي انطبعت بهذه المُثُل وسادت تصرفات وكيل البطريركية وأعماله".

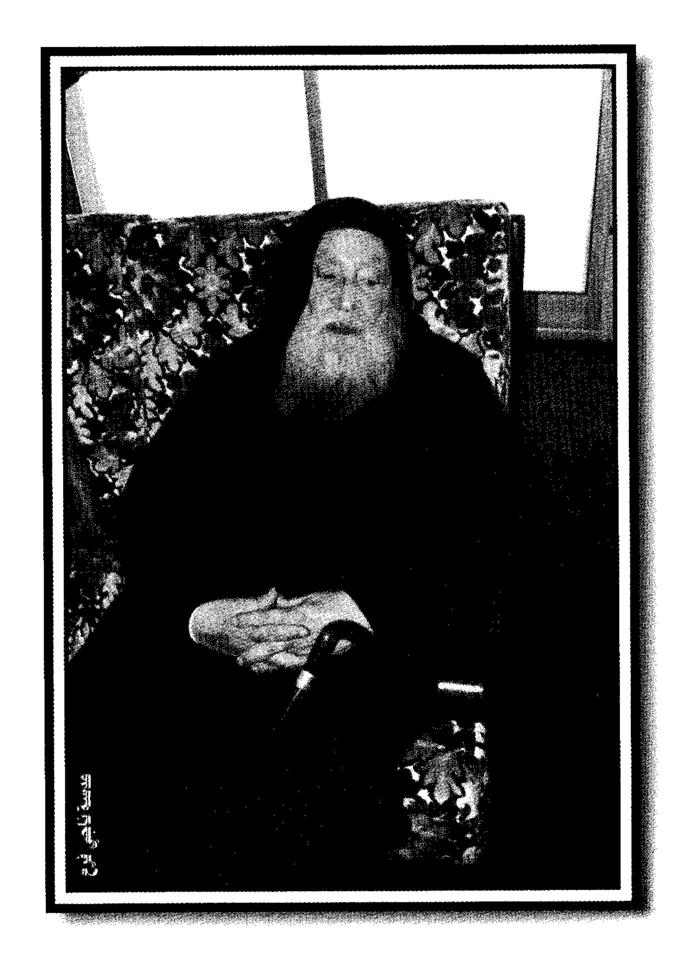
يقول الدكتور وليم سليمان رئيس تحرير مجلة مدارس الأحد كاتب هذا المقال (يونية ١٩٥٥): "إن مأساة الكنيسة الآن هي أن غير العلماء وغير الثابتين أصبحوا هم المعلِّمين والقادة الذين ائتمنوا على التعليم وعلى العقيدة والإيمان المستقيم" صفحة ١٤. وهكذا نجح هذه المرة مَنْ أسماهُم كاتب المقال "أنصار التأخر والجهل" في إبعاد القمص متى المسكين، فصدر قرار بإعفاء القمص متى المسكين من عمله.

– وجَمَعَ القمص متى المسكين حاجياته القليلة: الصليب والإنجيل والشال، وخرج بسيارة تاكسي إلى موقف أتوبيسات الطريق الصحراوي ليُسافر إلى ديره ومنه إلى مغارته ليتفادى التصادم مع أي أحد.

– وهاج الشعب وعقد المظاهرات والاجتماعات، وأعلنوا بكافة فئاتهم وجمعياتهم (٢٣ جمعية) تمسُّكهم بالقمص متى المسكين، ووجد المجلس الملي بالإسكندرية أن وراء إبعاد أبيهم هو وكيل المجلس الملي فأصدر قراراً بتنحيته من وكالة المجلس، وأقره المجلس الملي العام بالقاهرة على ذلك، ثم قرر التمسك بالقمص متى المسكين رئيساً للمجلس ووكيلاً للبطريركية وبطلان تعيين غيره لهذا المنصب. وأحسَّت الدولة بخطورة الوضع على الأمن العام. فأرسل وزير الداخلية (زكريا محيي الدين) الوزير القبطي جندي عبد الملك ليُقابل القمص متى المسكين في دير السريان ليُثنيه عن الرفض النهائي للعودة ، (بعد أن اجتمع بالشعب وبمندوبي الجمعيات على انفراد وذكر كل هذا في بياناته). وفي دير السريان ملأ الشعب الإسكندري ردهات الدير مُصلياً "كيرياليسون"، بينما اجتمع الوزير الموفَد مع الأب



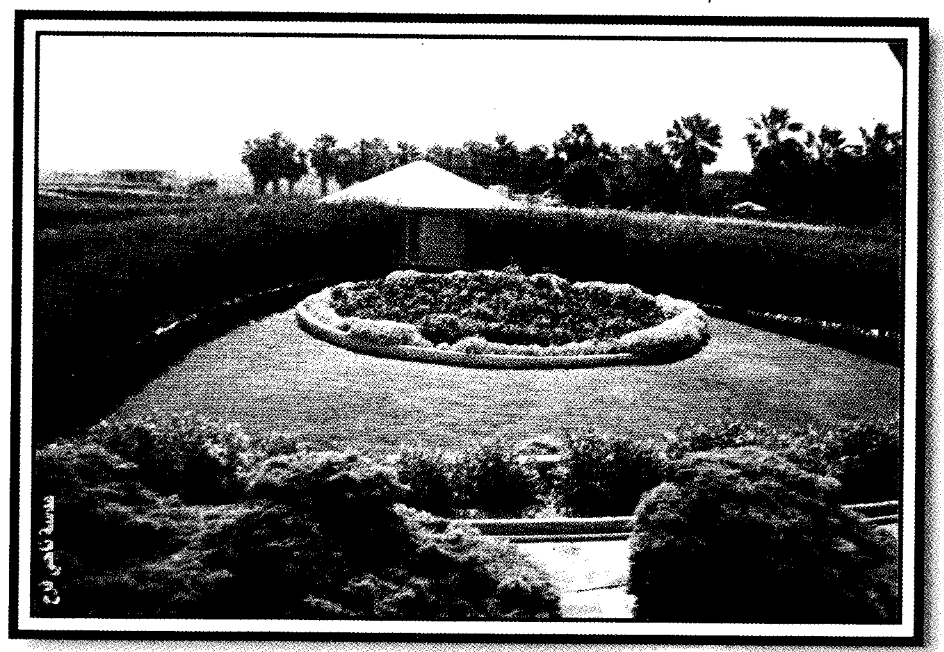
في حديث روحي مع بعض الزوار



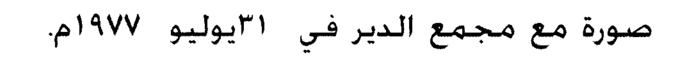
مع بعض الزوار عام ٢٠٠٥م.



على المائدة في استراحة الساحل الشمالي يُرحب بالزوار وهم يتناولون الطعام – يقرأ لهم من كتاب: "بستان الرهبان".



حديقة استراحة الدير - الساحل الشمالي.



صورة مع مجمع الدير في ٣١يوليو ١٩٧٧م.



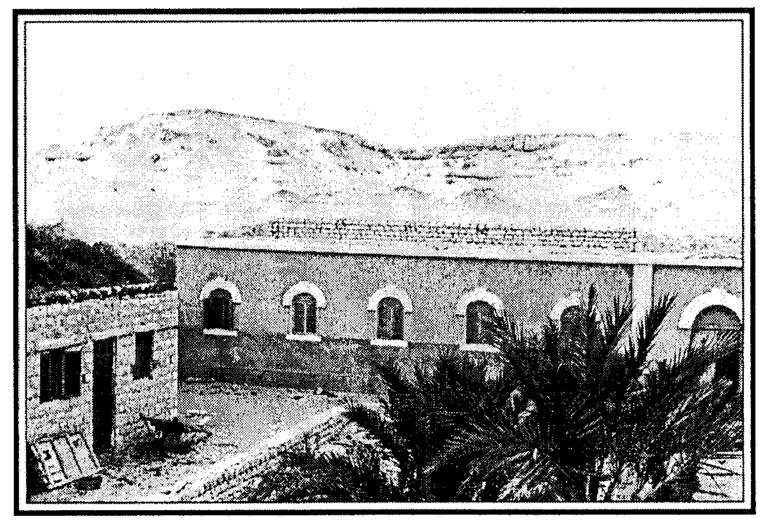
مع قداسة البابا شنودة الثالث في زيارة قداسته للدير يوم ٣ نوفمبر ١٩٩٦م.

القمص متى المسكين الذي أفهم الوزير أنه لا يتصرَّف بمشورة ذاتية بل باستلهام مشيئة الله، وأن أمر استعفائه من العمل أصبح نهائياً لأن هذه هي مشيئة الله من جهة حياته وسلامة نفسه.

(عن مجلة مدارس الأحد، يونيه ١٩٥٥، ص ٣-١٥ ومصادر أخرى)

إلى دير أنبا صموئيل، والخروج الأول منه (٢٠ يوليو ١٩٥٦)

هذه الخبرات نبَّهت المطارنة بخطر إمكان ترشيحي بطريركاً خلفاً للأنبا يوساب، فما أدري إلا والأمور تتغير وتنقلب بسرعة في وجهي، (فمع أني كنت لا أزال في مغارتي فإنه بناءً على طلب الأسقف كنت قد بدأت منذ ثلاث سنوات أن آخذ اعتراف رهبان جدد جاءوا للرهبنة تحت إشرافي. أي أنهم ترهبنوا بناءً على علاقتهم الشخصية بي واطمئنانهم أني سأكون مسئولاً عن حياتهم الروحية). لكن جاء الرهبان إليَّ في المغارة واشتكوا أن الأب الأسقف بدأ يهاجمني عندهم ويغريهم ضد اعترافهم لديَّ وباتخاذهم أباً آخر غيري للاعتراف



الجناح الأيمن من مجموعة القلالي الجديدة - دير الأنبا صموئيل

ففهمت كل شيء!

وتفادياً لصراع أعلم أنه سيُخرجني حتماً عن رسالتي الروحية قررت مغادرة الدير لرجوعي إلى الدير الذي ترهبنتُ فيه أولاً وهو دير الأنبا صموئيل.

وأخذت عصاتي وإنجيلي الصغير وصليبي، وتركتُ جميع مكتبتي (حوالي ٢٠٠ كتاباً من أثمن الكتب الفريدة)، وسلَّمتُ على الأسقف، وطلبت منه الحِلَّ، وكنتُ أنا أفعل

ذلك في كل مناسبة مُشابهة. وغادرت الدير بعد أن قطعت على الرهبان حرماً أن لا يأتي أحد خلفي.

وركبت الأتوبيس الصحراوي إلى القاهرة، بشعور عصفور انفكَّ من الفخ وخرج يرفرف بجناحيه في سماء الحرية، وذلك بقصد التوجه لدير أنبا صموئيل مرة أخرى.

ولكن لأن رئيس دير أنبا صموئيل هو القمص مينا المتوحد (قداسة البطريرك أنبا كيرلس السادس بعد ذلك)، فقد نزلت أولاً عنده في كنيسته بمصر القديمة. ولكن وبعد ساعتين وجدت الباب ينفتح ويدخل عليَّ ١٢ راهباً من أولادي، فتضايقت جداً وحاولت العودة بهم إلى الدير الذي رُسموا عليه. فأخبرتهم أني أود أن أعيش وحدي، وأن دير الأنبا صموئيل دير فقير، ويستحيل عليه إعالة هذا العدد، ولكن كل إقناعاتي ذهبت هباءً أمام حماس الرهبان قائلين: "نعيش معك ونموت معك". كان ذلك سنة ١٩٥٦م.



الأب متى المسكين (الثاني من اليسار) مع رهبان دير الأنبا صموئيل ومن بينهم أبونا أندراوس الصموئيلي (الثالث من اليمين)

ذهبنا جميعاً إلى دير الأنبا صموئيل، وبدأت في الحال بتعميره، لأنه كان مهدَّماً تماماً ولا توجد به قلاية واحدة، وأصدقائي من الإسكندرية لما سمعوا بالخبر بدأوا يرسلون أموالاً كثيرة سنة ١٩٥٦.

كلَّفتني العمارة ٣٥٠٠ جنيها في سنتين ونصف، وبنيت ٣٠ قلاية ودورة مياه بالحجر المنحوت والأسمنت - جهد شاق ومتواصل.

وبعد مضي حوالي ٣ شهور من وجودنا بالدير تنيح البابا الأنبا يوساب الثاني البطريرك[٣].

الخروج الثاني من دير الأنبا صموئيل (٢٧ يناير ١٩٦٠)

وبعد أن انتهيت من البناء وقبل أن نسكن في القلالي، كان القمص مينا المتوحد قد انتُخب بطريركاً، لأن المطارنة رفضوا ترشيح الراهب مكاري (الأنبا صموئيل) والراهب أنطونيوس (أنبا شنودة الثالث) وكانوا قد أضافوا اسمي إلى هذين الاسمين في قائمة مَن أطلقوا عليهم اسم "الرهبان الجامعيين".

وفوجئنا بأن البابا الجديد أرسل تلغرافاً إلى المسئول عن دير أنبا صموئيل بضرورة مغادرتنا الدير.

وفي ٢٧ يناير ١٩٦٠ نزلنا جميعاً في الحال وتركنا وراءنا كل شيء وكنا كأننا سنترهب من جديد - إنه خروج جديد - قابلت البطريرك بكل احترام واستفسرت منه لماذا أخذ هذا الإجراء؟ فقال: "لكي تعيشوا في دير السريان". فطلبت منه خطاباً بذلك، ولكنه أرسل معي مندوباً للدير.

وذهبنا إلى دير السريان مرة أخرى في يوم ٢٨ يناير ١٩٦٠، ولكني ومن أول يوم أدركت أن هناك رغبة لعدم الترحيب بنا.

فلم تطُل بنا الإقامة أكثر من ٧٠ يوماً، تركنا بعدها الدير جميعاً - في شعور غامر بالفرح والحرية - بعد أن أخذنا الحِلّ من نيافة الأسقف رئيس الدير، ونزلنا إلى القاهرة (سبت لعازر ٩ أبريل ١٩٦٠).

---

(٣) كان قد صدر قرار بطريركي سنة ١٩٤٩ (السنة التالية لرهبنة الأب متى المسكين) أثناء حبرية البابا يوساب الثاني بعدم الاعتراف بدير الأنبا صموئيل ضمن الأديرة القانونية التي يُختار منها البطريرك، عن كتاب: "***تاريخ بابوات الكرسي الإسكندري من ١٨٠٩ إلى ١٩٧١***"، تأليف القمص صموئيل تاوضروس السرياني، ١٩٧٧، ص ١٨٠.

في القاهرة

وكنت قد أنشأت سابقاً سنة ١٩٥٨ بيتاً لتكريس الشباب للخدمة في حلوان (في أحد قصور الخديوي عباس القديمة)، فنزلنا فيه[٤]. وإذا بالبطريرك يرسل لي إلى بيت التكريس بحلوان (١٠ أغسطس ١٩٦٠) اثنين من المطارنة في الساعة الثانية بعد منتصف الليل وهما: الأنبا بنيامين أسقف المنوفية والأنبا مينا أسقف جرجا ومعهما خطاب بالتهديد بالحرم إذا لم نترك القاهرة في ظرف ٢٤ ساعة.

نوال الحِل من نفس المطران الذي أبلغنا بالطرد:

وفي فجر نفس اليوم وقبل سفرنا، حضر إلينا أنبا بنيامين مطران المنوفية، وطلب مقابلتي وأخبرني أنه غير راضٍ عن تصرُّف البطريرك، وقال: "**أنا مطران في الكنيسة وأعرف قوانينها. أنتم في حلٍّ وبركة جميعكم. ابنوا مذبحاً وصلُّوا وأقيموا القداسات، وأنا المسئول أمام الله والكنيسة**". وطلب نيافة المطران أن نتواجد كلنا أمامه، ورفع الصليب الذي في يده وصلَّى التحليل على رؤوسنا واحداً فواحداً، وأعطاني صليبه وملابسه الكهنوتية ولوحاً مكرساً لرفع الذبيحة عليه، وخمسين جنيهاً، وشيَّعنا بالبركة والدعاء. وكان هو آخر مَنْ ودَّعنا ودعا لنا بالبركة. وذهب في نفس اليوم وأخبر البطريرك بذلك، وصار بينهما نزاع وقطيعة لمدة طويلة بسبب هذا.

إلى وادي الريان

(١١ أغسطس ١٩٦٠- ٩ مايو ١٩٦٩)

ففرحت للغاية - إنه خروج جديد. وأخذت الرهبان صبيحة اليوم التالي في عربتين جيب واتجهنا إلى وادي الريان، (كنت قد اكتشفتُه في رحلاتي المتعددة وأنا بدير الأنبا

---

(٤) وأقاموا فى بيت التكريس بحلوان الذى كان الأب متى المسكين قد أنشأه سنة ١٩٥٨ للشباب المكرَّس للخدمة والكرازة، وكان نزولهم فى ذلك البيت برأى البابا وموافقته لحين حل مشكلتهم. ولكن البابا كان قد صمَّم فى نفسه على تفتيت هذه الجماعة المتماسكة وتوزيع الرهبان على كافة الأديرة، واختيارهم للخدمات المختلفة فى الكنيسة. وبدأ بالفعل فى تنفيذ فكرته إذ اختار اثنين منهم فى سكرتاريته، ولكنه وجد أن صلابتهم وتمسُّكهم بأبيهم الروحي لم تتأثَّر بكل ذلك، بل أظهروا عدم رغبتهم فى شئ، فتركوا البطريركية وعادوا إلى الريان.

صموئيل، وهو يبعد عنه ٥٠ كيلومتراً شمالاً ويبعد عن الفيوم ٥٠ كيلومتراً جنوباً.

وهو وادٍ ليس به ساكن - ومساحته ٧ كيلومترات عرضاً، و٣٠ كيلومتراً طولاً، وفيه عيون ماء مالحة، ولكن يمكن الشرب منها، وفيه أشجار نخيل متباعدة. فحفرنا لأنفسنا مغائر متباعدة تبعد الواحدة عن الأخرى حوالي نصف كيلومتر، وعشنا كلنا حياة التوحد والصلاة. وكان الله يرسل لنا طعامنا كل شهرين في قوافل جمال بواسطة أحبائنا في القاهرة. كانت تسع سنوات كاملات، ولكن في حياة صعبة. لقد كانت أصعب وأشق فترة عشتها في حياتي، بحسب إمكانياتي الجسدية:

١ - فقد ظهر إعلان عنا في جريدة الأهرام (يوم ١٧ أكتوبر ١٩٦٠) يُعلن فيه **أسقف دير السريان** أننا مجرَّدون ومشلوحون من رُتبنا الكهنوتية والرهبانية، طبعاً بدون إجراءات المحاكمات الكنسية القانونية[٥] (وهذا ضد القانون الكنسي - وضد الإنسانية).

٢ - اثنا عشر راهباً بدون موارد وعلى بُعْد هائل من العمران. ولا يوجد أي طريق مطروق، وأية قافلة تسير بدون مرشد عربي فمآلها إلى التيه والهلاك، لأن الصحراء هناك مضللة وموحشة، ولا توجد أي جبال أو علامات أو دروب.

٣ - مسئولية مرض الآباء الرهبان وإعالة صحتهم والمياه مالحة وغير نقية، والأرض لا تخرج أي نوع من المزروعات إلا النخيل وبعض الحشائش مثل الجرجير والبصل.

٤ - وادي يطرقه مهربون للمخدرات والبضائع المهربة من ليبيا عبر الواحة، وكنا نُحسب عليهم خطراً، وأرادوا بالفعل ثلاث مرات التخلُّص منا بإطلاق الرصاص علينا صفاً واحداً لولا تحنن رئيس القافلة في آخر لحظة وأَمْره بعدم إطلاق النار.

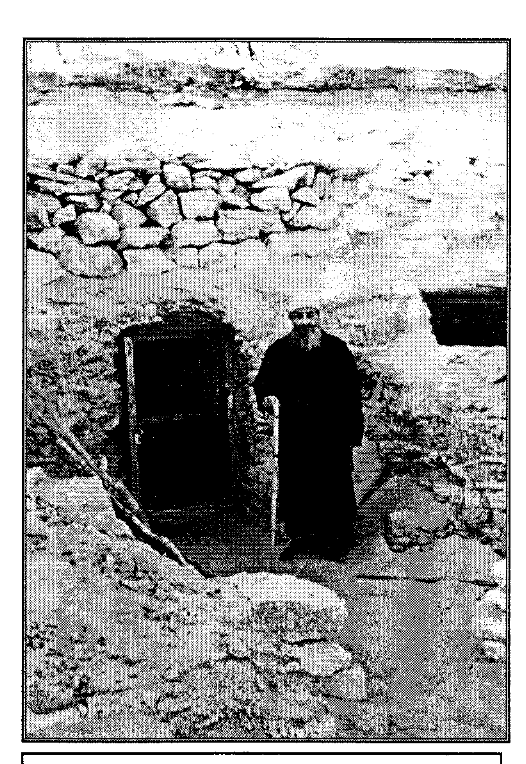
---

(٥) في وسط هذه المصاعب لم يكف الأب متى المسكين عن الكتابة الروحية واللاهوتية للشباب والشعب، داعياً للبابا كيرلس السادس بالأيام السعيدة. ففي يونية ١٩٦٠ صدر كتاب ''العنصرة'' وكتب على غلافه الخارجي: [السنة الثانية لاعتلاء البابا كيرلس السادس كرسي الكرازة المرقسية. **لتكن أيامه سعيدة**]. وفي مايو ١٩٦١ صدر كتاب ''الباراكليت'' وكتب على غلافه الخارجي: [السنة الثالثة لاعتلاء البابا كيرلس السادس كرسي الكرازة المرقسية. **لتكن أيامه سعيدة**]، وهنا يظهر منهج الأب متى المسكين في مقابلة المصاعب التي قابلته: (في ٢٧ يناير ١٩٦٠، ١٠ أغسطس ١٩٦٠، ١٧ أكتوبر ١٩٦٠) بالتمثل بالرسل: «نُشتَم فنبارك» (١كو ٤:١٢).

٥ - لم أحتمل المياه المالحة غير النقية

ولا عنف تيارات الرياح السريعة فألَّم بي المرض في كل جزء من جسدي.

٦ - كان عليَّ أن أقود هذه الجماعة وأرفع عنها الوَحشة والإحساس بالظلم وأُفرِّحهم وأُسلِّيهم وأُثقِّفهم وأُرسِّخ في أرواحهم الحب الإلهي وعشق الإنجيل (كلمة الله) وأرفع من معنوياتهم، وأُيسِّر لهم لوازم الحياة من دواء وخضر وفاكهة.



أمام مغارته في وادي الريان

كان اختباراً رائعاً حقاً لي شخصياً إذ نجحت فيه عندما تجرَّدت من نفسي وضعفي ومرضي، وظللت على أعلى مُستوى من المسئولية الروحية والجسدية لمدة تسع سنوات، استطعت خلالها أُن أسلِّم هؤلاء الرهبان حياة الإيمان المطلق (وادي الريان ملآن بالذئاب واللصوص والقتلة)، ودخلوا جميعاً في اختبار الوحدة والحب الإلهي والتأمل في الإنجيل ودراسة كتب الآباء.

وكانت هذه هي معجزة الريان العظمى، ٩ سنوات كاملات عشنا في أعلى صلة بالله، متجرِّدين من ذواتنا بلا أية معونة في أشقِّ الظروف، ولم يمرض أحد منا مرضاً يُقعده عن العمل قط، أو نعتاز أو نجوع أو يُسيء إلينا أحد. وترهبن معنا في الريان أربعة رهبان استهوتهم هذه الحياة المتجرِّدة العنيفة.

وحفرنا كنيسة في الصخر، كنا نقضي فيها عشية الأحد (السبت مساءً) في الصلاة

حتى الفجر تنتهي بالقداس ثم بالتأمل والتسبيح، ونقضي يوم الأحد معاً نأكل "الأغابي" ثم نعود إلى مغائرنا.

وطبعاً كنا نصلي القداس في أوقاته الرسمية، بموجب الحِل الذي نلناه من المطران الأنبا بنيامين قبل سفرنا إلى الريان مباشرة.

وكنا نقوم بالعمل الجماعي لقطع الأخشاب لخزين الشتاء لاستخدام الفرن والكوانين لأننا لم نكن نستخدم إلا الكانون والحطب. وكان عملنا الجماعي بنظام وتدبير ولساعات محددة، والأكل الجماعي، مصحوباً بالقراءة. وبدأت الحياة تأخذ بسرعة صبغة حياة الآباء الأوائل جداً في الرهبنة سواء في النسك أو البعد عن العالم أو البساطة أو حب الإنجيل أو الإيمان المطلق (لم يأتِ إلينا زائر طوال التسع سنوات لصعوبة المواصلات جداً).

كانت سلسلة الجبال تحدُّ هذا الوادي من الجهة البحرية والجهة القبلية والجهة الغربية، إلا أنه كان يوجد مَسْرب ضيق في الجهة الغربية لقوافل الجمال المتجهة من وإلى الواحة الخارجة في طريق ليبيا، وكانت سلاسل الجبال ذات قمم (مناقير - تُدعى عند الأعراب "مناقير" المنقار البحري والمنقار القبلي ... الخ) مسطحة تماماً، ولكنها كانت تصلح للسير عليها من أعلى. كنت أصعد إليها في أيام خلوتي (حينما كنتُ في دير الأنبا صموئيل) على ارتفاع ١٤٠ متراً، وأمضي اليوم كله مُصلِّياً ومُتأملاً، ولكن الآن كانت الظروف الجديدة تُضفي على الطبيعة البكر، والتي لم تعبث بها يد إنسان بعد ولا وطأتها أقدام بشر، تُضفي إحساساً غير ما واجهتُه كل أيام حياتي من أحاسيس، فالطبيعة بَدَت وكأنها حزينة متألمة، فالجبال جرداء تماماً، والنسور والصقور تتجوَّل في السماء تصرخ من الجوع، والمناظر موحشة، وصوت يخرج من أعماقها يحكي عن الزوال. فقمم الجبال المتآكلة صارت شبه مناقير والوديان المنحدرة في الصخر المتآكل تحكي عن أثر سيول المياه الجبارة في العصور السحيقة، وبقايا أجسام الحيوانات هائلة شبه عظام مدفونة في قطاعات الجبال وشقوقه، وبقايا هياكل عظمية لبني آدم مطروحة فيما يشبه المغائر، ربما كانوا رهباناً سبقونا.

وكنت أبحث عن أعلى قمة لأستريح عليها، وأتأمل نفسي من خلال هذا الوجود. مَنْ

أنا؟ ومَن هو الله؟ وإلى أين المسير؟ أليس إني قمة كإحدى هذه القمم المتآكلة التي قَسِيَ عليها الزمن فجرَّدها مما حولها وجعلها هكذا منفردة عالية مدببة، فصارت علامة على الأُفق للسائرين يسيرون على هُداها، وما علموا أنها ما كانت وما رغبت أبداً أن تكون هكذا منفردة، وهكذا عالية، ولا هكذا علامة، لولا أن تخلَّى عنها مَن كانوا حولها!

ازداد حنيني جداً أن أكون كغنمة في قطيع لا قائد له ولا دليل، وفي تهالكي على نفسي، وبعد أن قاربت أن أنكر على نفسي وجودي؛ وإذا بصوت من فوق - والسماء قريبة، فأنا لم أُساق إلى أعلى نقطة في الجبل جزافاً، لأن هذا كان يُعبِّر عن سعيي الداخلي دون أن أدري - صوت يُعرِّفني أني لستُ لذاتي، ومعاناتي ليست تغريماً، ولكنها تكريم. وهي هي بعينها الشركة معه التي طالما طلبتها منه بدموع دون أن أُقدِّر مضمونها، فانفتحت عيناي لأول مرة في حياتي لأفهم معنى الشركة مع المسيح، ودخلت بإرادتي في ظل الصليب بعد تمنُّع وصراخ ودموع وسؤال ومخاصمة.

ولكن كان شعوري بالمسئولية يُراودني كل يوم، فأشعر بثقل على صدري وآلام عنيفة في أعماق نفسي، لأني لا أريد للآخرين أن يُحرموا هكذا من أعواز الحياة وأن يتحمَّلوا نير القطع من الكنيسة بدون أي سبب.

ولم يكن يُعزيني إلاَّ صلتي الخاصة بالرب يسوع، إذ كان يُشعرني بأنه يحمل معي النير ويُشاركني المسئولية، ووعدني أنه لن يصيبنا ضرر قط، ولن يسمح بمرض أي واحد منا أو يتركنا لحظة واحدة.

محاولة شيطانية لإبادتنا

حدث بعد سنة من وجودنا في وادي الريان أن اعتلَّت صحتي جداً بسبب تلوث المياه وملوحته التي لم أطقْها، بالإضافة إلى الجهد. وأخذت أبحث عن مكان مناسب يكون أهم شروطه بُعْدُه عن أَبروشيات المطارنة وأبروشية البطريرك، ثم توافر وجود ماء عذب للحياة.

احترت جداً وأخذت أجوب البلاد طولاً وعرضاً ما لا يقل عن ٣٠٠٠ كيلومتراً أبحث في الصحاري والبلاد النائية. ولكن أخبرني أحد الأصدقاء أن أمهر إنسان في معرفة هذه الأماكن التي يتوفر فيها الماء العذب هو الأستاذ العالِم رشدي سعيد، فاتصلت به في منزله وحدَّد ميعاداً للمقابلة، وذهبت إليه بمفردي في منزله بالمعادي، فوجدت عنده إنساناً مهندساً آخر، في غاية الرقة وسمو الأخلاق اسمه "مصطفى العيوطي" حضر خصيصاً ليراني لما علم بالميعاد، وأخذنا نبحث وخريطة مصر كلها أمامي ...

وأخيراً استقر الرأي على مكانين: مكان في الصحراء الشرقية في وادي غمير الممتد من الصف (جنوب الحوامدية) حتى البحر الأحمر، والثاني هو شاطئ البحر الأبيض المتوسط غرب الإسكندرية.

بدأت أبحث في صحراء غمير حتى وجدت أنسب مكان بجوار عين ماء عذب على سطح الأرض اسمها عين غمير.

قدمت طلباً بشراء خمسة فدادين في هذه الصحراء إلى هيئة تعمير الصحاري، ولكن لأن رئيس هذه المؤسسة كان رجلاً مسيحياً، فبدأت المعاكسات غير القانونية من جهة السيد رئيس المؤسسة، وعرفت السبب في الحال. ولم أعبأ بذلك وبدأت أستصلح الأرض على أساس بناء سور وقلالي وحفر بئر ماء كلفتني ٣٥٠ جنيهاً حفر مبدئي.

ودون أن نشعر وبينما نحن نُسَوِّي الأرض ونعمل بأيدينا إذا بعربة جيش باللاسلكي تقترب من بعيد، ولم نرها، إذ كانت مختبئة وراء جبل، اقتربوا منا فجأة واقتحموا الخيمة شاهرين السلاح وبدأوا يبحثون في الخيمة وخارج الخيمة، وعلى أثر الأقدام وتحت الأرض ونحن مذهولون.

وأخيراً سألونا:

- هل عندكم آلات لاسلكي؟ قلنا: لا نعرفها أصلاً.

- هل عندكم سلاح؟ قلنا: ولا سكينة حادة.

- ماذا تعملون هنا؟ قلنا: كنا في الريان نعبد ولكن الماء المالح أضر صحتنا فجئنا هنا

لأن الماء عذب.

وجلسوا واطمأنوا وعملنا لهم شاي، وأخبرناهم بقصة حياتنا فكادوا يبكون من التأثر. وأقسم المأمور أنه سيعطينا سلاحاً لنحمله من عنده، فقُلنا له وأقنعناه أننا نعتمد على الله والموت لا نخافه، وبعدها أرسلت مباحث أمن الدولة تطلبني، وقابلتهم وسألوني، وأخبرتهم عن كل شيء. وكتبوا محضراً. وكان هذا هو المحضر الأول الذي كُتب في صفنا. وأُرسِلَ لوزير الداخلية.

وبعد ذلك بحوالي شهر دُبِّرت خطة القضاء علينا بواسطة أغراب العرب بوضع زرنيخ في عين الماء التي نشرب منها.

فقد استدعاني مدير مباحث أمن الدولة بحلوان وكان اسمه عقيد سعد زغلول واستفسر مني أولاً عن حياتنا وأخبرني علانية بالخطة التي رُسِمَت للقضاء على الجماعة كلها بوضع زرنيخ في العين الوحيدة التي نشرب منها. فاحتطنا وسلمنا أمرنا لله، وطلب منا رسمياً مع مأمور قسم الصف حمل السلاح رسمياً، وتبرع المأمور بإعطائنا السلاح من عنده فرفضنا. فكتب محضراً مؤثراً للغاية. وكان يكتب هو: س: ثم يرد هو بنفسه ج. بعد أن أدرك خطورة الأمر. وأرسل المحضر للوزارة بما يفيد تفاصيل المؤامرة الخطيرة. أما شهود هذه المؤامرة فهم كالآتي:

- صيدلي مستشفى الصف الذي طُلِب منه كمية كبيرة من الزرنيخ. ثم اجتمع مع الأعراب صباحاً. وسمع الصيدلي الحديث بنفسه وهو الذي قام بالتبليغ سراً وأرسل فوراً إلى قريبه الدكتور الصيدلي رمزي فهيم، لأنه يعلم أنه صديقي الشخصي، وأخبره بكل شيء، فحضر إليَّ الدكتور رمزي فهيم في حلوان وأخبرني بالموضوع.

ومن بعد هذه التجربة المرَّة، فضَّلنا الريان بمياهه غير النقية والمالحة وكل العناء الذي فيه حتى وإلى الموت، من أن نرتاح بالقرب من مصدر المؤامرات. وهكذا عُدنا إلى وادي الريان، وكان ذلك يوم ١٤ نوفمبر ١٩٦١.

الكتابات والمؤلفات

قلتُ إن حركة الروح داخلي لم تتأثَّر بالمقاومة السلبية من الرؤساء والزملاء، وظلت كتابتي بنفس العمق أثناء الضيق كما هي أثناء السعة. (وكانت فترة الريان من أكثر المراحل خصباً في التأليف(٦)).

ولشعوري باضمحلال العمق الروحي في الدراسات الكنسية اتجهتُ إلى الكتابة متعمداً التنوع حتى أغطِّى أكبر مساحة من هذا العوز الكنسي لعل مَنْ يأتي بعدى يكمِّل ما بدأتُ، لأن شعوري بضعف الكنيسة يخزيني جداً.

وقد أكملتُ حتى الآن (١٩٧٨) ٤٠ كتاباً عدا الكتيبات والمقالات وكلها بغرض واحد هو توضيح المفهومات الروحية والإنجيلية والإيمانية.

وإن أعظم كتبي وأعظم ما كتبتُ هو عن الصليب من جهة ما تمَّ عليه، باعتباره نقطة التحوُّل العظمى في تاريخ الخليقة البشرية، وقد جاءت كلها عظات في يوم الجمعة العظيمة وتحوَّلت بعد ذلك إلى مقالات أو كتيبات. وأَحَبُّ موضوع إلى نفسي هو العلاقات الإنسانية فكراً وعملاً.

أمّا فكرى ومبادئي سواء الروحية أو اللاهوتية أو السياسية أو الأدبية فهي لم تتطوَّر ولم يعترضها تحوُّلات بل كانت تنمو دون أى تغيير في جوهرها.

خطاب من البابا كيرلس السادس يتجاهل وجود أي تجريد أو حرم

في أوائل فبراير عام ١٩٦٦، فوجئ الأب متى المسكين وهو في وادي الريان بخطاب يصله من البطريركية يحمل مظروفه من الخارج والسطور الأولى من الداخل عنوان:

---

(٦) فقد صدرت الكتب الآتية في مرحلة الريان الفترة ما بين ١٩٦٠، ١٩٦٩: مع المسيح في آلامه وموته، العنصرة، الباراكليت، الوحدة المسيحية، توجيهات في الصلاة، كيف تقرأ الكتاب المقدس، في التدبير الروحي، المسيحي في المجتمع، المسيحي في الأسرة، القديسة العذراء مريم- ثيئوتوكوس، حياة الصلاة الأرثوذكسية طبعة مزيدة، القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي، التسبحة اليومية ومزامير السواعي، كلمة الله، العمل الروحي، الكنيسة والدولة، رأي في تحديد النسل.

"**جناب الأب الورع القمص متى المسكين**". وكأنَّ لم يكن يوجد حرم ولا تجريد كما نُشر بالجرائد عام ١٩٦٠! والحقيقة أن ما يُشاع عن وجود حرم أو تجريد لم يخرج عن كونه إعلاناً مدفوع الأجر في جريدة الأهرام، ولم يكن من البابا كيرلس السادس ولا مستنداً إلى حكم مجمع ولا كان نتيجة محاكمة كنسية ولا بمواجهة شخصية، بل كان إعلاناً من **أسقف دير السريان** (حسب نص الإعلان: **يعلن أسقف دير السريان**...). وكما يقول الأب متى المسكين إن هذا كان ضد مبادئ القانون الكنسي.

أما هذا الخطاب المُرسَل للأب متى المسكين فكان يطلب فيه قداسة البابا كيرلس السادس من قدس أبينا متى المسكين إرسال ٣ رهبان إلى دير الأنبا صموئيل. وقد استجاب أبونا متى المسكين في الحال لطلب قداسة البابا، وأرسل ٣ رهبان يوم ١٢ فبراير ١٩٦٦ إلى دير الأنبا صموئيل. (هذا الخطاب كان في حوزة المتنيح أنبا أندراوس أسقف دمياط وقدَّمه إلى لجنة الانتخابات البطريركية عام ١٩٧١ لإثبات عدم وجود حرم أو تجريد مزعوم في الفترة ما بين ١٩٦٠ – ١٩٦٩ على الأب القمص متى المسكين والرهبان الذين معه).

محاولات المصالحة من جانب البابا

مرَّت تسع سنوات، حينما أرسل إليَّ البابا البطريرك **القمص صليب سوريال** أيضاً، وأخبرني أن البطريرك يريد مقابلتك، فرفضتُ. فألحَّ عليَّ وقال إنه مريض ومتألم، وطار النوم من عينيه ثلاثة ليالي متوالية وهو يشعر بتأنيب الضمير. فذهبتُ إليه مع القمص صليب سوريال كاهن الجيزة، وفي حضور وبترحيب نيافة الأنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس دير أنبا مقار بالحياة في ديره. واعتذر لي البابا كيرلس وطلب مني السماح والحِلّ عمَّا فات، وأعطاني هو السماح والحِلّ[٧]، وصلينا معاً في القداس (يوم تذكار نياحة

---

(٧) هذه ليست المرة الوحيدة التي يُظهر فيها البابا كيرلس السادس هذه الروح السَمِحة، ويطلب المغفرة والحلّ ممن أساء ←

القديسة العذراء مريم ٩ مايو ١٩٦٩)، وطلب حضور جميع الآباء من الريان، وغيَّر لنـــا الشكل أي الانتماء من دير السريان إلى دير أنبا مقار. و لم يَعِش هو بعد ذلك كـــثيراً، إذ أُصيب بجلطة في القلب وتنيَّح بسلام.

شهادات:

من حديث للقمص صليب سوريال (الذي قام بالمصالحة)

عن تفاصيل محاولات المصالحة (تسجيل بالصوت والصورة والكتابة على الآلة الكاتبة)

(مكتوباً بنفس اللغة العامية التي تكلم بها في المحاضرة. ويلاحظ في حديثه مع البابا كيرلس رفع الكُلفـــة بـــين الاثنين، أولاً بسبب الرابطة العائلية بين الاثنين، وثانياً بسبب البساطة والمحبة اللتين تحلّى بها البابا كيرلس، وثالثـــاً بسبب ثقة البابا كيرلس وتقديره لشخصية القمص صليب سوريال. أما القمص صليب سوريال فكان من جهتـــه رفيقاً وزميلاً لأبينا متى المسكين في خدمة مدارس الأحد بالجيزة (قبل رسامتهما)، وكان يكنُّ مودة ومحبة خاصـــة لأبينا متى المسكين طيلة حياته). يقول القمص صليب سوريال:

إليهم، بمنتهى الشجاعة والتواضع الحقيقي.

فيذكر القمص صموئيل تاوضروس السرياني في كتابه: ''*تاريخ بابوات الكرسي الإسكندري من ١٨٠٩ إلى ١٩٧١*'' في الفصل الخاص بسيرة البابا كيرلس السادس هذه القصة:

أن راهباً (يقصد نفسه أي القمص صموئيل تاوضروس السرياني) كان يخدم في كنيسة بالمنصورة، فلما صدر قرار عـــودة الرهبان إلى أديرتهم نفَّذ القرار بالرغم من معارضة المواطنين على اختلاف أديانهم، ولكن تصادف أنه وهو في طريق عودته إلى ديره أن دخل مساءً إلى إحدى الكنائس في القاهرة في عشية رأس السنة الميلادية، ولكن لم يمضِ على وصوله إلى هذه الكنيسة أكثر من دقائق حتى تصادف أن قدم البابا إليها، فلما رأى الراهب أخذ يلومه ويعنِّفه أمام الناس على دخوله هذه الكنيسة دون أن يستأذنه، فصمت و لم يرد بكلمة واحدة. وبعد أيام استيقظ ضمير الأنبا كيرلس وأخذ يراجع علاقته القديمة مع هذا الراهب الذي كان يرتبط معه بزمالة ومودة قبل البطريركية، فقرر زيارة الدير الذي يقيم فيه هذا الراهب، وأرسل لـــه أحـــد كهنـــة الإسكندرية ليعرِّفه أن البابا سيحضر للدير ليلتقي به، وسوف يعمل على إزالة ما رسب في نفسه من المقابلة الأخيرة. وفعـــلاً جاء البطريرك لزيارة الدير يوم ٣١ مارس ١٩٦١ وخرج الرهبان لاستقباله، أما الراهب فتخلَّف عنهم، فسأل عنه البابا، ولمـــا عرف أنه في قلايته أرسل يستدعيه المرة بعد الأخرى ولكنه رفض مقابلته رفضاً باتاً، فأتاه رئيس الدير وقال لـــه: إن لم تـــأت للبابا فسوف يأتي إليك البابا في القلاية. وأخذه معه إلى الكنيسة فوجد البابا واقفاً في انتظاره من داخل الباب. فلما أقبل عليه ابتسم في وجهه ابتسامة عميقة وطلب البابا من الراهب الحلَّ والسماح، فاعتذر الراهب، وهو يقول: عفواً، يا سيدنا، بل أنا في حاجة إلى حلِّك وسماحك. وعندئذ تدخل في الحديث ''مَنافق'' من الحاشية. فزجره البابا قائلاً: ''اسكت، ليس هـــذا مـــن شأنك''. ثم عاد يقول للراهب: ''حاللني يا أبانا''. وعندئذ حالل كل منهما الآخر واشتركا معاً في صلاة مسحة المرضـــى أو القنديل العام (يوم جمعة ختام الصوم).

(عن "تاريخ بابوات الكرسي الإسكندري - من ١٨٠٩ إلى ١٩٧١"، ص ١٨٣، ١٨٤)

كنت قد أرسلتُ خطاباً للبابا (كيرلس) بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٦٧، أرجوه فيه أن يجمع الصفوف. ورد عليَّ قداسته بخطاب تاريخه ٤ فبراير ١٩٦٧ كان يحوي كلاماً طيباً عن أبونا متى.



القمص متى المسكين (الثاني من اليمين) وعن يمينه القمص صليب سوريال داخل هيكل الكنيسة المرقسية أثناء القداس الإلهي (٩ مايو ١٩٦٩)

ذهبت يوم الثلاثاء ٢٩ أبريل ١٩٦٩ لتهنئة البابا بعيد القيامة واستجلاء الموقف، وبادرني بقوله: "حبيبك هنا في حلوان". قلت له: "مَن هو حبيبي؟ أنا أحب كل الناس". قال: "أبونا متى". قلت له: "هو حبيبي[8]، لكن هو ابنك". قال: "طبعاً يا ابني، ده راهب كويس بس رأسه ناشفة". قلت له: "كل الرهبان كده".

قلت له: "يا سيدنا أنا حزين إن العيد العاشر لرسامتك يقترب بعد أيام، وحلّيت مشاكل كثيرة جوَّه وبرَّه، ومشكلتك مع أولادك متحلهاش". قال: "يعني عاوز إيه"؟ وبعد حديث طويل قلت له: "أنت قلت أبونا متى كويس ورهبانه كويسين، ليه نحرم ولاده منه. بصراحة هم حاسين إن تفريقهم في الأديرة تشتُّت". قال: "أبداً دول خميرة كويسة حتبقى في كل دير". قلت له: "بس هم

---

(٨) العلاقة الروحية بين القمص صليب سوريال والأب متى المسكين قديمة تعود إلى الأيام التي كانوا فيها أربعة شبان علمانيين جامعيين قرَّروا أن يُكرسوا نفوسهم للرب، هم: سعد عزيز (أنبا صموئيل)، ويوسف إسكندر (أبونا متى المسكين)، وظريف عبد الله (القمص بولس بولس)، ووهيب زكي (القمص صليب سوريال). وكانوا يسهرون معاً في الصلاة في بيت سعد عزيز، كما ذكر الأب متى المسكين في كلمته بمناسبة نياحة الأنبا صموئيل في (مجلة مرقس - أكتوبر ١٩٨١ - ص ٣): "كان بيته مرتع شبابنا مع زمرة من أقدس الشبان الذين عرفهم هذا الجيل، حيث كانت تُعقد السهرات الروحية والصلاة لتمتد حتى الصباح. وفي بيته انسكبت على جميعنا روح التكريس، ودعانا الرب لخدمته، فخرج كلٌ منا منطلقاً في دعوته".

وفي سنة ١٩٤٨، بينما كان "يوسف إسكندر" مسافراً من دمنهور إلى الدير ليترهب، جاءه خبر أن وهيب زكي خطب استعداداً للزواج، وأن أسرة خطيبته ترفض فكرة رسامته كاهناً. فأرسل له تلغرافاً بصيغة مختصرة شديدة المغزى: "لا زواج إلاَّ لعلَّة الكهنوت"، ثم زاره. ولما عَلِمَ أن السبب هو أم الخطيبة، قابلها يوسف إسكندر حتى أقنعها بالموافقة على تكريس خطيب ابنتها للكهنوت. وهذه الحادثة زادت أواصر المحبة الروحية التي تربط القمص صليب سوريال بالأب متى المسكين، حتى جاء الوقت ليردَّ له الجميل.

متمسكين بأب اعترافهم، وأنت تؤمن بالأبوّة، ما تخليهم كلهم في دير واحد"!

وبعد تفكير طويل، قال: "خلاص يروحوا كلهم الدير المحرق". قلت له: "مش مهم أي دير، لكن المهم أن كلهم في دير واحد". قال: "خلاص يروحوا الدير المحرق".

سجدت وقبّلت قدميه، وقلت له: "دلوقت أنت أب". فقال لي: "أُمَّال كنت إيه يا واد"؟ قلت له: "كنت بطرك"! فضحك. وتركته لأذهب لأبونا متى بحلوان.

قمت يوم الأربعاء ٣٠ أبريل ١٩٦٩ ومعي الإيبدياكون رمسيس نجيب وركبنا ديزل حلوان، وأخذتني سِنَةٌ من النوم، فسمعت صوتاً يكرر في أُذني ثلاث مرات: **دير أبو مقار**.

لم أكن قد زرت هذا الدير ولا أعرف شيئاً عنه، فاستيقظت وقلت لرمسيس: "هل تعرف شيئاً عن دير أبو مقار"؟ قال لي: "دير فقير جداً به ٨ رهبان عواجيز، يُشرف عليه الأنبا ميخائيل مطران أسيوط كأسقف". وسألني: "لماذا السؤال"؟ قلت له: "بس عاوز أعرف لأنني لم أَزُرْه من قبل".

وصلنا حلوان، وتركتُ رمسيس مع دكتور نصحي عبد الشهيد، ودخلت مع أبونا متى في الصالون، وبدأنا جلستنا بالصلاة، وقلت له: "بصراحة إن ما حدث شرخ كبير في الكنيسة أدّى إلى توقُّف التكريس: ناس تقول رهبان إيه اللي ما يسمعوش كلام البابا؟! وناس تقول البابا يبقى أب إزاي ويعمل كده مع أولاده"؟!

فقال: "أنت أكثر واحد عارف كل حاجة عنا ودافعت عنا كثير، وعارف كل الظروف اللي مرت علينا". قلت له: "أنا مش جاي أقلّب اللي فات، فيه عرض جديد".

- "تروحوا كلكم دير أبو مقار، وده دير ميزته:

١. قريب من مصر، فتعود وتنشط حركة التكريس.

٢. دير فقير ملهوش أموال، فتعمَّروه زي ما عملتم في دير أنبا صموئيل.

٣. به ٨ رهبان عواجيز تخدموهم.

قال لي: "وأنت شايف الحل ده كويس". قلت له: "ده من الله". قال: "خلاص، بس يمكن البابا يكون عاوز الرهبان من غيري، فمن فضلك اعرض عليه ٣ حلول". وقد كتبها أبونا متى على ورقة انتزعتها أنا من المفكرة التي معي، وكتب بخط يده، وأنا أحتفظ بهذه الورقة حتى الآن.

العروض الثلاثة:

١ - يترك الأب متى المسكين مسئولية الرهبان ويُسلّمهم للبابا على المذبح ليكون هو المسئول عنهم.

٢ – يستمرون في منطقة الريان ويُعترف بها كدير.

٣ – دير أبو مقار.

وللبابا أن يختار العرض الذي يراه. ووقفنا للصلاة بعد جلسة استمرت ثلاث ساعات.

يوم الخميس أول مايو ١٩٦٩ ذهبت في الصباح إلى البابا، وابتدرني قائلاً: "يا خويا رجعت بدري يعني". قلت له: "هو أنت ما كنتش عاوزني أرجع ولاّ إيه؟ مش بعتني برسالة، وجاي أقول الرد"؟ قال لي: "يعني قابلك"؟ قلت له: "قابلته، أُمَّال جاي أعمل إيه"؟ قال: "أصلي أرسلت له أساقفة وقسوس ومرضاش يقابلهم. طيب وعملت إيه"؟ قلت له: "خلاص يروحوا كلهم دير الأنبا مقار".

بدأت عاصفة، ولم أرَ في حياتي البابا كيرلس في مثل هذه الثورة العنيفة. فصمتُّ إلى أن بدأ يهدأ، ثم قلت له: "أنت زعلان ليه يا سيدنا"؟ قال لي: "أنا قلت لك الدير المحرق، وأنت تعمل نفسك بطرك وتكسَّر كلامي وتقول دير أبو مقار؟ هو أنا بعتَّك علشان دير أبو مقار ولاّ الدير المحرق"!

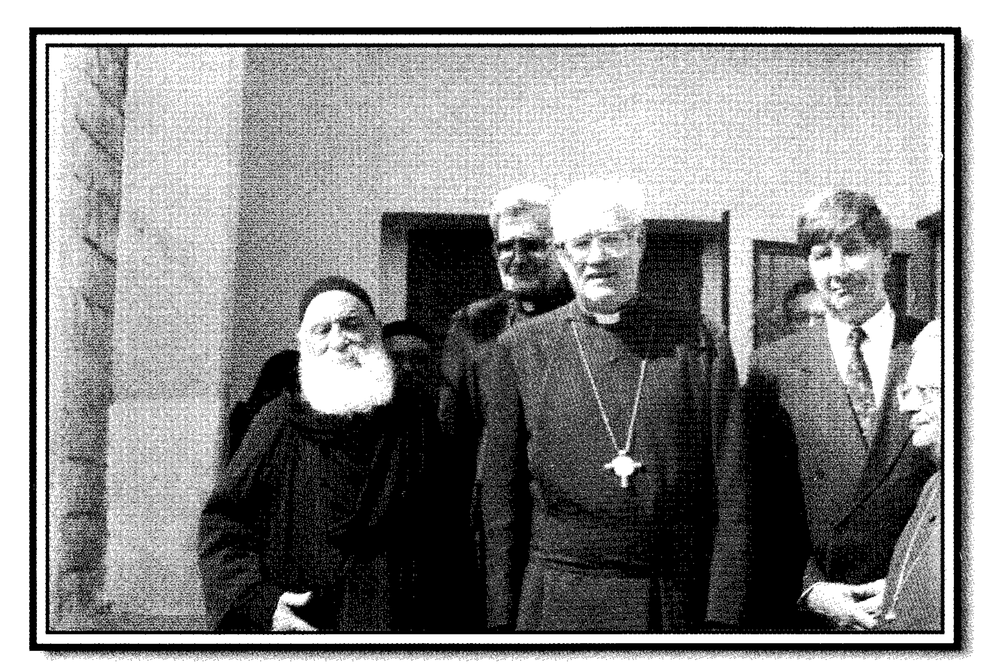
قلت له: "يا سيدنا، بقى بالأمانة هل أبونا متى ورهبانه وعددهم أكثر من ١٢ راهباً يمكن يتفاهموا مع أبونا قزمان رئيس الدير. إحنا نحل مشكلة ولاّ نخلق مشكلة ثانية يا سيدنا"!

فقال البابا: "طيب ومين اللي قال لك على دير أبو مقار". قلت له: "الحقيقة أنا امبارح ركبت الديزل لحلوان، وأنا نمت بضع دقائق، وسمعت صوت يقول: "**دير أبو مقار، دير أبو مقار، دير أبو مقار**"". قال قداسته: "يعني هبط عليك الوحي". قلت له: "تمام، أوقات الوحي يستصغر له قسيس غلبان كده ويروح نازل عليه، مش بس ينــزل على البطاركة والمطارنة، أمر الله"!!

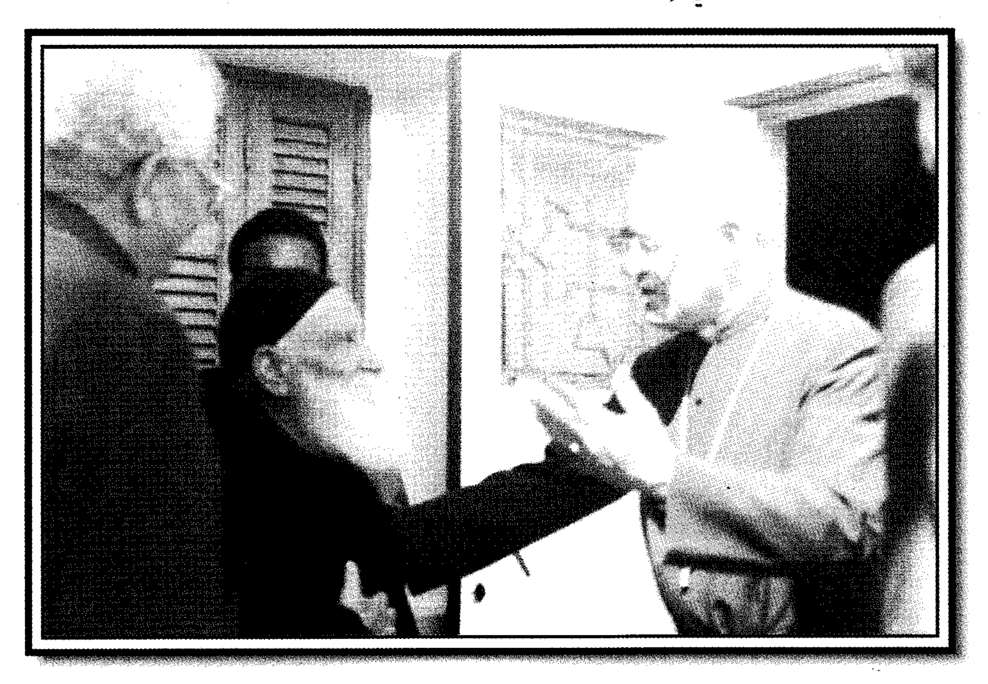
فضحك، وانفرجت أسارير وجهه وقال لي: "رأيك يا ابني مضبوط، هُمَّا ماكانوش حيرتاحوا في الدير المحرق. **مبروك دير أبو مقار**".

فسجدتُ تحت موطئ قدميه وقبَّلتها وقلت له: "أُبوَّتك حلوه يا سيدنا". وقلت له علشان أكون أمين: "أول جلوسي مع أبونا متى، قال بالحرف الواحد: "ده البابا كيرلس مش بس أبونا البطريرك، ده أبونا اللي علِّمني طريق الرهبنة، وهو اللي باركني وأهَّلني للرهبنة". وكان ساعتها يا سيدنا صورتك فوق رأسنا". قال: "صحيح؟"! قلت له: "أنت أبونا ومش ممكن أكذب عليك، وده يورِّي أن فيه ناس أردياء قالوا لك إن أبونا متى شال صورتك من الصالون". قال: "يا ابني فعلاً حصل"!!!

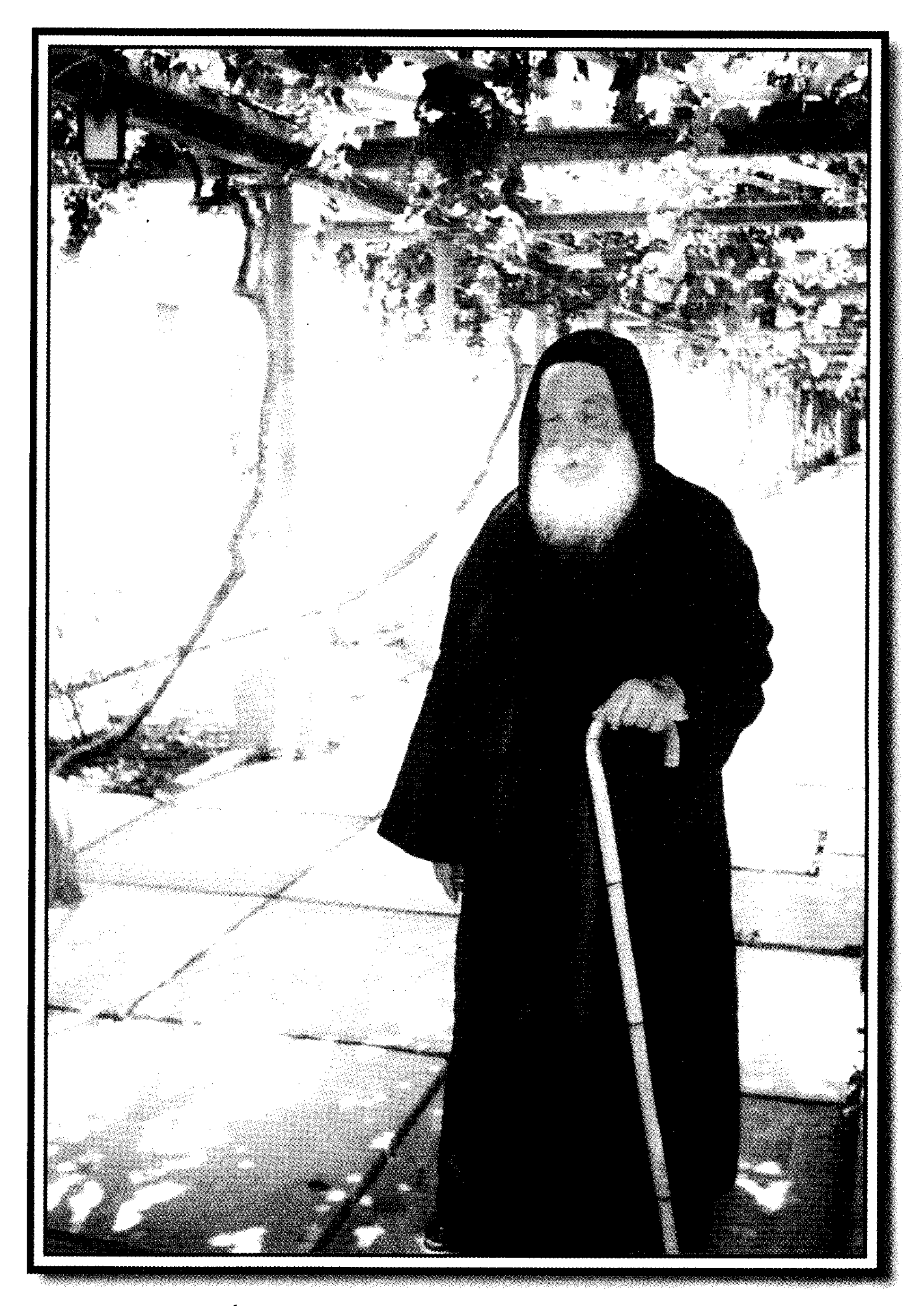
وقلت له الحاجة الثانية علشان أكون أمين: "طلب مني أبونا متى أن أعرض على قداستكم ٣



في إحدى الزيارات المسكونية للدير



مع رئيس أساقفة كانتربري جورج كاري يوم ٥ أكتوبر عام ١٩٩٥م.



هكذا كان يتجول بين قطاعات العمل بالدير أثناء العمل ويتفقد الرهبان ويتحادث معهم.

حلول تختار منها ما تشاء''. وعرضت عليه الورقة فقال:

''١ - لا، يا ابني، ده راهب كويس،

٢ - لا، يا ابني، المياه بتاعة المنطقة سبّبت لهم أمراضاً لأنها غير صالحة،

٣ - **مبارك، دير أبو مقار''.**

قلت له: ''طيب، يا سيدنا، أبونا متى طلب مني أتفق مع قداستك على تغيير الشكل، ومَن سيقوم به''. قال لي: ''أنبا ميخائيل رئيس الدير في روما، ولما يرجع أنا حاكلّمه وأطمئن أنه سيوافق''. وغادرت البطريركية.

كنت أقوم بتدريس القسم الليلي بالأنبا رويس، واتصل بي تلميذ قداسة البابا وقال لي: ''البابا عاوزك حالاً. أنبا ميخائيل عاد إلى مصر بالطائرة و لم يذهب مع الآباء إلى اليونان، وقداسته كلّمه في الموضوع اللي أنت كلّمته فيه وهو موافق، وبعت سيدنا يُحضر أبونا متى لمقابلة أنبا ميخائيل وعاوزك تكون ويّاه''.

ووصلت مسرعاً إلى الكنيسة المرقسية بكلوت بك ووجدت أن أبونا متى وصل ومعه حنا يوسف حنا المحاسب ودخلنا عند الأنبا ميخائيل.

سلّم عليه سلاماً قلبياً وقال: ''دي أول مرة أشوفك يا أبونا متى، وأنا أحترم الراهب اللي يدافع عن رأيه بجرأة لأني كنت كذلك''.

وطلب منه أن يكتب خطاباً للبابا، وقال له: ''خطاب لطيف. ده سيدنا حلو خالص ويحب أولاده''،



البابا كيرلس السادس وسط أبنائه رهبان وادي الريان
فى قداس عيد العذراء (٩ مايو ١٩٦٩) يوم عودتهم من الريان.

فقال له: ''أنا مش حاكتب حاجة''.

قلت له: ''لا، لازم تكتب علشان تحدد الدير اللي حتروحه مع الرهبان''. (كنت خايف من فكرة دير المحرق التي لم يسمع عنها أبونا متى حتى اليوم) وجلس يكتب.

وبعد الكتابة راجعها أنبا ميخائيل، وشطب بعض العبارات، وتم تبييضها، ودخلنا عند البابا كيرلس الساعة ١٠ مساء، وقبل الدخول قال لي أنبا ميخائيل: ”شيل الشال اللي على كتفه علشان سيدنا مبيحبش كده“. فأخذته من فوق كتفه وقلت له: ”خليه مع د. نصحي لغاية ما نطلع“. وقال أنبا ميخائيل: ”أنا حاكون ضيف لما آجي الدير، وانت تتصرف بحكمة معطاة لك من الله“.

قابَلنا البابا كيرلس بقلب مفتوح وابتسامة مشرقة. وتعمدت أن أجلس بجوار أبونا متى، وابتدره سيدنا: ”انت شبت يا أبونا متى“، قال له: ”البركة فيك يا سيدنا“. دُست على رجله وقلت له: ”بلاش شقاوة“. فقال له سيدنا: ”إن التجارب اللي مريتوا بيها مدرسة نافعة، وثق إنكم استفدتم من كل الظروف اللي مرت بيكم“. وحاولت تغيير الجو خوفاً من تقليب الماضي. قلت له: ”يعني يا سيدنا لا عزمت علينا بحاجة حلوة ولا حاجة، والليلة أحسن من ليلة يوم رسامتك. اليوم اللي فيه تجمع أولادك حواليك“.

قال لي: ”قوم يا اخويا، ما هو بيت أبوك، هات العلبة اللي هناك فيها شكولاتة حلوة“. ودرت ووزعت الشيكولاتة.

وقلت: ”ثم ماذا عن تغيير الشكل؟“

قال: ”ده يتم بواسطة أنبا ميخائيل رئيس الدير“.

فقال الأنبا ميخائيل: ”لا يا سيدنا. أنت أبونا كلنا أبو الرهبنة، اكرمهم علشان ظروفهم وعلشان حبك ليهم وتَوَلّ أنت تغيير الشكل“.

وتم الاتفاق.

وعدنا مع أبونا متى إلى حلوان، وعدت إلى الجيزة الساعة ٢ بعد منتصف الليل.

وبعد أسبوع في مساء الخميس ٨ مايو ١٩٦٩ اتصل بي د. نصحي وقال: ”تغيير الشكل باكر“.. وبعد قليل اتصل بي أبونا متى الذي أرسل للرهبان تسجيلاً لكل المفاوضات التي دارت مع قداسة البابا، وطالب بنزول الرهبان ليكونوا باكر صباح الجمعة[٩] بالكاتدرائية لتغيير الشكل (أي

---

[٩] الرهبان حضروا من وادي الريان في سيارتين جيب ووصلوا يوم الجمعة ٩ مايو ١٩٦٩ حوالي الساعة ٣ - ٤ صباحاً إلى حلوان، وتحركوا فوراً إلى الكاتدرائية ووصلوها حوالي الساعة ٥ صباحاً (وكان الفجر قد بدأ) ودخلوا إلى الكنيسة لحضور قداس البابا مباشرة. وأثناء القداس وتغيير الشكل زاروا كنيسة الشهيد اسطفانوس حيث أودع بأمر البطريرك جسد القديس مرقس الذي حضر من روما، وقبّلوا أنبوبة الجسد ثم أعيدت بعد ذلك إلى الكاتدرائية الجديدة بالأنبا رويس.

الانتماء لدير القديس أنبا مقار).

وفي الساعة ٥ صباحاً اصطحبت الإيبذياكون رمسيس نجيب وتوجهنا إلى الكاتدرائية وكان سيدنا قد طلع بعد التسبحة يرتاح قليلاً ثم عاد فرآني، وقال: "يا خويا جاي بدري". قلت له: "ده أسعد يوم اللي فيه نشوف الأب مع أولاده". فقال: "نشكر الله يا ابني".

وأرسل لي يوسف جرجس علشان أدخل أصلي في كنيسة القديس اسطفانوس، فقلت له: "أنا تعبان مش قادر أصلي"، والحقيقة أنا خايف من اللي قاله الدكتور نصحي وأنه حيرسمه على جنوب أفريقيا، فأرسل لي ثاني مرة، أحضرت المعلم وقلت له: "عاوزين نصلي بسرعة". وبدأ الرهبان يحضرون في عربات جيب، وحضر دكتور حنا يوسف حنا المحاسب، وقلت له: "من فضلك في تغيير الشكل لو سيدنا ظهر إنه عاوز يرسم أبونا متى المسكين أسقفاً لجنوب أفريقيا أخطرني فوراً". وقلت له عن الإشاعة اللي قال عنها د. نصحي.

وتعمدت أن أحضر بالشورية للتبخير لأرى سيدنا وأعود، ولما اكتمل عدد الرهبان بدأ تغيير الشكل، ولما جاء دور أبونا متى قال سيدنا: "متاؤوس راهب على دير أبو مقار".

قال له أبونا متى: "متى المسكين يا سيدنا إذا سمحت"

فقال سيدنا: "متى المسكين على دير أبو مقار".

وانتهت الأزمة التي أثارها من يرغب في الاصطياد في المياه العكرة بين البابا وأولاده وانتهى القداس الذي أقمته بكنيسة القديس اسطفانوس ثم حضرت قداس البابا، و لم أره منشرحاً فرحاً في حياتي قدر هذا اليوم.

وكان شاب يأخذ صوراً، فقال لي سيدنا: "مش كنت تجيب واحد مصوراتي كويس؟" (أي يلتقط صورة لسيدنا مع أبونا متى والرهبان).

ثم قال: "يا ابني، أنا خليتك تصلي في كنيسة القديس اسطفانوس وجبت جسد مار مرقس هناك علشان الآباء يتباركوا منه لأنهم لم يحضروا احتفالات حضور جسد مار مرقس من روما". وانتهى القداس الإلهي وسط فرحة لا يُعَبَّر عنها بالكلام.

وقلت له: "يا سيدنا أمال حنقعد فين لغاية السيارات ما تاخد الآباء؟"

قال: "صالة المجلس الملي".

ثم أرسل لنا الإفطار.

وكان كل مطران وأسقف يحضر يقول البابا له: "أبونا متى رجع هو والرهبان. روحوا سلّموا عليهم".

وكان أول من حضر في الصباح المبكر نيافة الأنبا ميخائيل وكان فرحاً متهللاً.

وحضرت السيارات لأخذ الآباء لدير أبو مقار وذهب أبونا متى معهم. ثم عاد لعمل ترتيب نقل حاجات الكنيسة والمتعلقات من منطقة الريان.

وفي صباح السبت، استدعاني قداسة البابا، وكنت أردد مع نفسي: "هل حدث شيء؟ يا رب استر". وإذا بسيدنا يقول: "يا ابني، أنا قعدت أفكر طول الليل إن الرهبان عددهم كثير والدير مافيهوش حاجة، حاجمع هيئة الأوقاف، واطلب اعتماد مبلغ شهري لإعالتهم"، فقلت له: "يا سيدنا لا تخف على أبونا متى، أحباؤه كثير، وما تشغلش نفسك بالموضوع ده، وربنا حيبعت لهم خير كثير خالص". ولمست أبوّة الرجل العظيم الذي يحب أولاده ويفكر فيهم وفي معيشتهم واحتياجاتهم.

وبعد بضعة أيام استقبل البابا العيد العاشر وكان الرجل سعيداً لأنه أنهى أهم مشكلة ظهرت في أفق الكنيسة وفي فجر رسامته.

وبعد أيام[10] سافر شعب الجيزة في ٧ سيارات أتوبيس مصر للسياحة إلى الدير حيث كان الرهبان صائمين منذ ٣ أيام، وكان يوجد حفار كبير من شركة بان أمريكان للبترول يحفر أول بئر للمياه، وخرجت المياه في وجود الرحلة، فعم الفرح القلوب واستبشرنا خيراً وعمَّ السرور الكنيسة كلها.

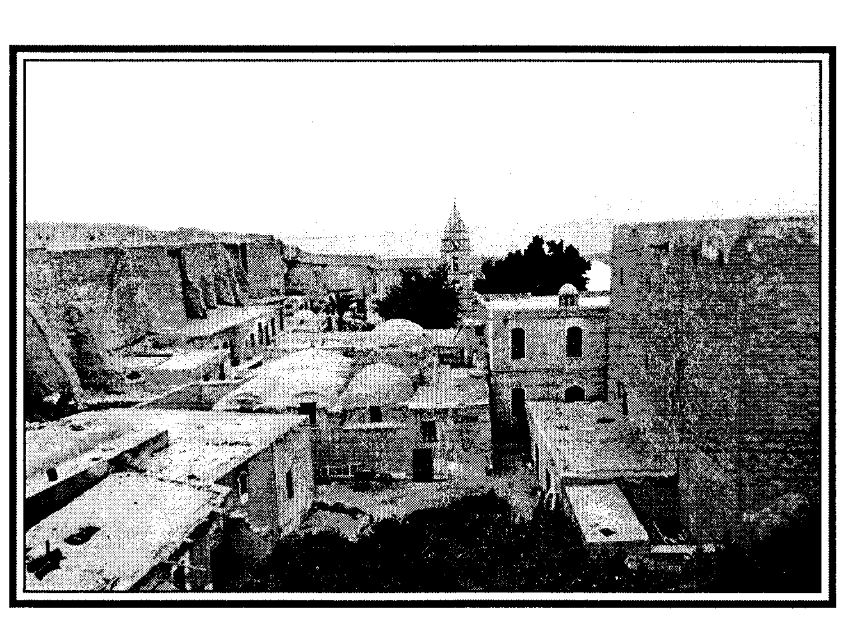
---

[10] كان هذا في عيد الملاك ميخائيل ١٢ هاتور الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٧٠، أي بعد مجيء الآباء بستة أشهر.

في دير القديس أنبا مقار (٩ مايو ١٩٦٩)

ومنذ أن دخلنا دير أنبا مقار شعرنا بمسئولية ترميم هذا الدير لأنه كان في حالة يُرثى لها، وكأنه على ميعاد معنا، إذ لم يتبقَّ من رهبانه الشيوخ جميعاً إلاَّ أربعة رهبان فقط: واحد منهم ضرير، والآخر طريح الفراش. ولا توجد غرفة (قلاية) واحدة تصلح للسكن.

كنت في منتهى الإعياء، وكنت في أشد الحاجة إلى الراحة والهدوء والوحدة، لأسترد صحتي الجسدية وفرحي الروحي الصافي. ولكن أمام مسئولية إنقاذ بيت الله من الخراب، نسيت نفسي وتجرَّدت من كل شهوة قلبي في الوحدة، وبدأت أعمل في دير أنبا مقار، معتمداً على الرهبان الذين يرسلهم الله في الحين الحسن بنعمة فائقة حتى صار عددهم الآن (سنة ١٩٧٨) ٨٠ راهباً متخصِّصاً.

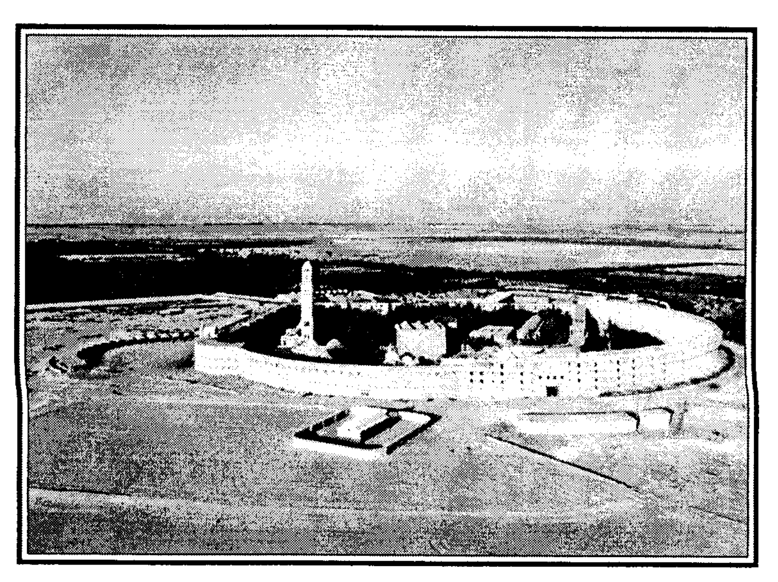


دير الأنبا مقار من الداخل (عام ١٩٦٩م).

وإن كان لا يكفيني مجلد من ألف صفحة لأصف اختبارات وادي الريان العجيبة حقاً، فليس أقل أيضاً من ألف صفحة لأصف اختبارات عمارة دير أنبا مقار: مقدار الاستنارة التي وهبها الله لي لأُخطط ديراً نموذجياً، ومقدار القدرة على الإدارة والضبط وموالاة العمل يومياً من الصباح إلى المساء وقوفاً على قدميَّ المريضتين بالروماتيزم، لتدبير كل العمليات وإسناد كل عملية إلى راهب مختص، وإدارة شئون الدير لاستيعاب عمال المباني والزراعة والهدم والخرسانة

والنجارة والحدادة والبياض والبلاط والسباكة، ما يقرب من ٤٥٠ عاملاً ومعلّماً، تسع سنوات كاملات حتى الآن.

ولكن كل هذا لا يُحسب شيئاً أمام مقدار موالاة العمل بالمصاريف اللازمة ونحن لا نملك أي رصيد، حيث بدأ المصروف اليومي بمائة جنيه في اليوم في أول سنة، ثم ارتفع إلى مائتين يومياً ثم ثلاثمائة. والآن يزيد على ٤٠٠ جنيهاً يومياً مصاريف عمال فقط!! تأتي كلها بالصلاة!! وبلغ مجموع ما صُرف على الدير حتى اليوم ٢ مليون (مليونين) ومائة ألف جنيهاً مصرياً. علماً بأنه ليس لنا أي رصيد ثابت ولا نطلب إطلاقاً أي مساعدة من إنسان إلاَّ الذين ألزمونا بأن نخبرهم بأعوازنا. وقد استهلكنا ٩ آلاف طن أسمنت، ١٠٠٠ طن حديد تسليح، ٨٠٠ متر مكعب خشب، وربع مليون جنيه معدات وآلات.



صورة من الجو لدير أنبا مقار حالياً.

وكان محور العمل والتدبير هو اجتماعنا معاً في أي وقت داخل الكنيسة (لمدة تتراوح بين ساعتين وأربع ساعات) لإلقاء كلمات روحية. وكانت هذه الكلمات هي خلاصة الفكر الرهباني والإنجيلي والآبائي معاً. وكانت الكلمات تُسجَّل أحياناً وتخرج على شكل مقالات أو تُجمع وتخرج على شكل كتيبات، أما الكتب الكبيرة فكنتُ أخلو في المغارة خارج الدير عدة شهور حتى أستكملها.

وسار البناء الرهباني عند الآباء حسب مجراه الآبائي الأول بكل معنى، على أساس الإنجيل

والروحيات الناضجة السليمة، وما كان يفوتني قط أن أهتم بالبناء النفسي والإنساني عند الجماعة ككل، وعند الأفراد في الصلوات الفردية بالاعتراف أو بمجرد الجلوس معاً للحديث. ودخلت المواضيع العامة كالسياسية والحركات التي يموج بها العالم داخل أحاديثي اليومية، فارتقى مستوى كثير من الآباء ونضج تفكيرهم، وانحلّت عُقد التربية المنزلية السيئة، وأهمها احتقار الخدم وسوء معاملة العمال؛ كما انحلت عُقد التربية في مدارس الأحد وأهمها ضيق العقل والتعصُّب وتأليه الرؤساء. فصار الدير له شخصية متميزة بالانفتاح وعدم التعصُّب، بل ومحبة الجميع بلا استثناء.

ودخل العمل اليدوي كعنصر أساسي في الحياة الرهبانية. فالمبتدئ يعمل ٣ ساعات يومية، وبعد أن يكمل فترة اختباره (في حدود سنة)، يبدأ يستلم مسئولية تصل إلى ٨ ساعات يومياً على أساس أن يكون قد تدرَّب من الأول على الصلاة القلبية أثناء العمل.

وقد أدخلتُ العمل كعنصر أساسي في التربية الرهبانية لإيماني أنه الوسيلة المثلى لكشف عيوب النفس، ثم بواسطة المراجعة والإرشاد يصير العمل نفسه واسطة لشفاء هذه العيوب. بل تأكّد لديَّ بلا أي شك أن العمل اليدوي الشاق هو أفضل وسيلة لعلاج النفس المريضة بمرض نفساني Psychosis مثل: الاكتئاب، والوسوسة، ومبادئ الشيزوفرينيا، والتقهقر. وهذه الأمراض صارت في المجتمع المصري تكوِّن ٥٠٪ من المستوى الصحي العقلي، ولكنها مختفية. فالمصري قدير على إخفاء مرضه العقلي والنفسي.

وعدد الآباء الآن (١٩٧٨) ٨٠ راهباً ذوي مؤهلات وخبرات، وأصبحوا شخصيات متفتحة على مستوى المسئوليات والقيادة في أي موقع، ومنهم شخصيات فريدة ونادرة، وقلما يجود الدهر بمثلهم في الحب الإلهي والطهارة المطلقة وحياة الصلاة والتواضع ومحبة الإخوة والحلاوة الأخلاقية، مما يجذب إليهم الزائرين بالمئات. وأيضاً كل هؤلاء موضوعون تحت المحاصرة، فلا يُختار منهم أساقفة، ولا يُدعَوا لحضور مؤتمرات ولا يشتركون في أي نشاط عام للكنيسة. وفي هذا كله يزداد نمونا وحبنا وتجرُّدنا.

لقد عرفت الله في الخلوة والوحدة والتأمل، وعرفته على مستوى العمل والجهد

والمعاملات مع الناس. في الحياة الأولى كنت أستبدل العملات الأرضية بالعملات السماوية، فربحت ربحاً يُذهل العقل؛ وفي الحياة الثانية كنت أستبدل العملات السماوية بالعملات الأرضية، فربحتُ ربحاً يُذهل العقل. وبَقِيَ الله أمامي هو كما هو، غنياً وسخياً، لطيفاً سريع الاستجابة، يحوِّل كل خسارة إلى ربح سريع ويمسح الدموع من العيون بيد تستطيع أن تُعيد البصر أضعافاً، وليس فقط تكفكف الدمع، فهو طبيب لا يداوي المرض بالشفاء كأطباء الأرض بل بإعطاء قوة ونعمة نتجاوز بها المرض والضعف المتأتي من المرض. فأنا مريض جداً ولكني قويٌّ جداً، أستطيع أن أؤدي أصعب الأعمال بلا كلل كأي شاب بل وأَقدَر وأَقوَى.

عرفت الله: **١**. كحقيقة ثابتة، **٢**. وحق منير.

١ – عرفته كحقيقة وراء كل صيغ وأشكال وعمليات الحياة اليومية، يُضفي عليها أصالة وجدِّية ومعنى يرفعها إلى مستوى الالتزام. فالحياة بشكلها الحالي بكل متناقضاتها وضعفها حلوة جداً وينبغي ويلزم أن تُعاش!!

٢ – وعرفته كحق يُغني عن كل كذب الإنسان وغشه وخداعه وتفاهة تفكيره، ويُضيء أمام قلب الإنسان وفكره فلا يتعثر قط إزاء ضياع الحق من أفواه الرؤساء والزملاء والمسئولين وتنصيب الباطل كأنه نور. وهكذا بهذا الحق وحده أصبح لدى الإنسان القدرة على تجاوز كل معاثر الطريق، وضمان الوصول.

*****

– نقدم هنا إضافات لم تُذكر في السيرة التي كتبها قدس أبينا الروحي عام ١٩٧٨

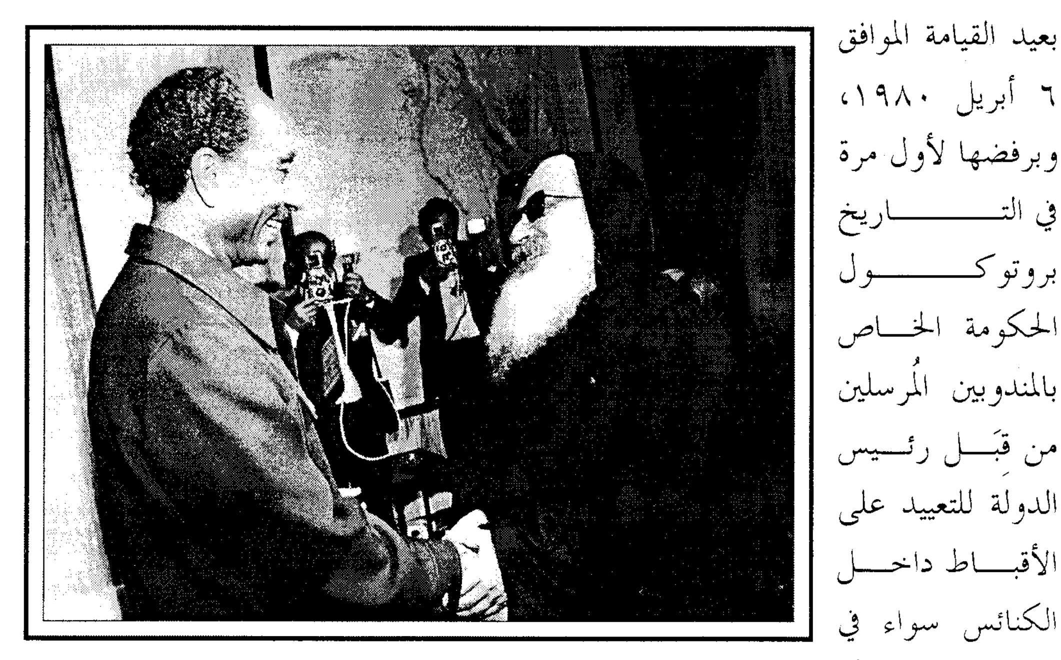
رسالة الأب متى المسكين للمصالحة والإنقاذ

في أزمة أبريل ١٩٨٠

وصف مختصر للأزمة:

يقول أبونا القمص متى المسكين في حديث صحفي:

[حدثت الأزمة فجأة بإعلان الكنيسة القبطية يوم ٢٦ مارس ١٩٨٠ إلغاء الاحتفالات بعيد القيامة الموافق ٦ أبريل ١٩٨٠، وبرفضها لأول مرة في التاريخ بروتوكول الحكومة الخاص بالمندوبين المُرسلين من قِبَل رئيس الدولة للتعييد على الأقباط داخل الكنائس سواء في القاهرة أو الإسكندرية أو سائر المحافظات، وتطبيق ذلك أيضاً على كل الكنائس القبطية في كل بلاد العالم بمنع السفراء والقناصل من دخول الكنائس القبطية لتقديم تحية العيد للأقباط.



مع الزئيس السادات (٥ أبريل ١٩٨٠م)

كان هذا في نظر بعض السياسيين بمثابة تحدِّي شخصي للرئيس (أنور السادات)،

خاصة وأن توقيته جاء متزامناً تماماً مع استعداده للسفر إلى أمريكا للتفاوض في مشروع الحكم الذاتي للفلسطينيين.

وقد أجبرني بعض أراخنة الأقباط على التدخُّل لحل الأزمة، ولكن بعد فوات الوقت، فقابلتُ الرئيس الساداتِ مساء السبت ٥ أبريل ١٩٨٠ قبل سفره بيوم واحد إلى الولايات المتحدة، وذلك بعلم ورأي قداسة البابا شنودة (والمجمع الموسَّع الذي انعقد في دير الأنبا بيشوي) كمحاولة لحلِّ الأزمة في آخر لحظة.

فأخبرني الرئيس في هذه المقابلة بأنه مُستاء من تصرُّف الكنيسة.

ثم أقنعني بعض الأساقفة بضرورة مقابلة الرئيس بعد عودته لتقديم مُذكِّرة توضيحية من اللجنة البرلمانية المقترحة لمتابعة شئون الأقباط لتكون بمثابة قناة شرعية بين الكنيسة والدولة. وقابلته بالفعل بعد أن أخذ البابا علماً بالمقابلة. وقدَّمتُ له المذكِّرة فقَبِلَها ووعد بدراستها.

ولكنني أدركتُ خطورة المظاهرات التي رتَّبها بعض الأقباط في الولايات المتحدة للقيام بها ضد الرئيس في أمريكا أمام البيت الأبيض وأمام الفندق الذي سينزل فيه الرئيس (بلير هاوس). كل هذا عَلِمَ به الرئيس السادات قبل سفره مُسبقاً! وقد تمَّ هذا كله بالفعل وبكل تفصيلاته كما نشرته الصحف. وقد علمتُ به وأنا عند الرئيس عندما قابلته بعد عودته، مما كان له أسوأ الأثر في نفسه، إذ اعتبر أن الكنيسة قد أدخلت نفسها كطرف صراع ضد الدولة].

أحداث شهر سبتمبر عام ١٩٨١:

مقابلة قدس الأب متى المسكين الثانية مع الرئيس السادات سبتمبر ١٩٨١:

كان السادات يريد أن يقدِّم رئيس الكنيسة للاعتقال ثم للمحاكمة (حسبما ذكر في خطابه العام يوم ١٤ مايو ١٩٨٠).

ويكتب الأب متى المسكين في وثيقة مخطوطة لدينا (سبتمبر ١٩٨١):

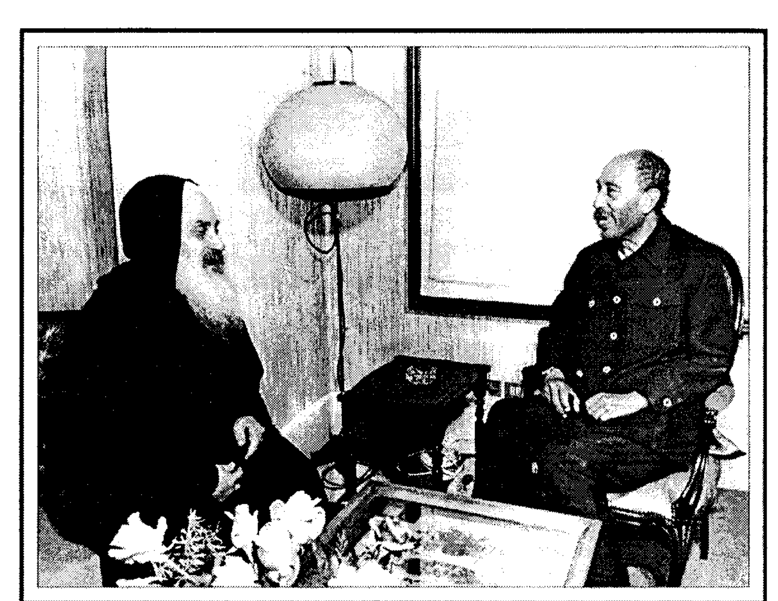
[دُعيت لمقابلة السيد الرئيس (أنور السادات)،

وطلب مني إبداء الرأي فيما وصَلَت إليه العلاقة بين الكنيسة والدولة. واقترحتُ أولاً مصالحة البابا، فرفض الرئيس رفضاً باتاً. فاقترحتُ حلاً وسطاً بتعيين لجنة وساطة من بعض الأساقفة مع بقاء البطريرك كما هو، فرفض رفضاً باتاً.

ثم اقترحتُ تعيين هيئة علمانية من المسئولين الأقباط للتعامل مع الدولة وبقاء الكنيسة بعيدة، فرفض أيضاً.

ولما علمتُ بالنية القاطعة لتوقيف البابا البطريرك وإبعاده، جاهدتُ أن لا يمسَّ هذا الإجراء الوضع الديني وهو الشقُّ الأول من تنصيبه وهو وضع اليد والصلاة واستدعاء الروح القدس للتقديس، حتى لا تُهان الكنيسة ويُهان تقليدها (فهذا ليس في اختصاص الدولة).

وفي الحال نشأت الحاجة إلى لجنة أساقفة مؤقتة للقيام بمهام البابوية. وطلب مني الرئيس اقتراح أسمائها (لأنه كانت قد أُعدَّت أسماء أخرى غير لائقة قد اقتُرحت)، فقدَّمتُ أسماء آباء أساقفة - تحت ضماني - إذ أكَّدتُ حكمتهم واعتدالهم.



مع الرئيس السادات (سبتمبر ١٩٨١م)

- وإن كان يُحسب هذا اليوم هو اليوم الأسود

الثاني في حياتي بعد يوم إعلان تنحية الأنبا يوساب (عام ١٩٥٦)، الأمر الذي لم يحدث قط في تاريخ الكنيسة أن يُنحَّى ويُقال عن ويُستهزأ ببطريركين في جيلٍ واحد وعلى مدى ٢٥ سنة.

ملاحظة: طلب مني الرئيس في البداية، وبإلحاح شديد، أن أكون مسئولاً؛ فرفضتُ.]

(ذكر لنا الأب متى المسكين أنه حينما ألحَّ عليه الرئيس السادات في هذا ردَّ عليه قائلاً: ''إذا ألححتَ عليَّ فسوف تفقدني نهائياً، ولن تعثر لي على أثر في أي مكان فيما بعد'')

شهادات

في أحداث الكنيسة المؤلمة في أبريل ١٩٨٠ وسبتمبر ١٩٨١ كان أبونا متى المسكين يخبرنا بمقابلاته سواء مع قداسة البابا أو مع الرئيس أنور السادات، ويسرد لنا ما تم في هذه المقابلات من أحاديث. لذلك فهناك ما لم يرد في المذكرات المكتوبة. وها هي:

١. اعترض الأب متى المسكين أولاً على قرارات سبتمبر باعتقال المعارضين من السياسيين وبعض رجال الدين مسلمين ومسيحيين كما أخبره بها في هذا اللقاء الرئيس السادات قبل تنفيذها، فرجاه الأب متى المسكين أن يتراجع عنها ''**لأن العنف يولِّد العنف**''. فرد عليه الرئيس بأن كل شيء قد أُعد ولا يمكن التراجع عنه.

٢. ولما تطرق الحديث إلى ما ينوي اتخاذه مع قداسة البابا من: اعتقال، ومحاكمة، وتوجيه اتهامات، قال له أبونا متى المسكين:

- ''يا سيادة الرئيس، أي إنسان قبطي يتعلم من صغره أن يؤدي مطانية (أي سجود للأرض) أمام رئيس الكنيسة، لذلك فأي مساس برئيس الكنيسة يُحدِث جرحاً عميقاً في مشاعر الأقباط.

وبالمناسبة يا سيادة الرئيس أتوسل إليك أن لا تدعوه في خُطَبِك ''شنودة'' بل الأنبا شنودة أو البابا شنودة لئلا تجرح مشاعر الشعب القبطي في الصميم''.

٣. ثم قال له: ''ليس من حقك 'عزل' البابا لأنه يظل بابا في الكنيسة طيلة حياته''.

[وفعلاً لم يستخدم الرئيس كلمة 'عزل' بل استخدم القرار الجمهوري الذي في سلطته فقط، فألغاه، ثم أعاده الرئيس حسني مبارك بعد ذلك عام ١٩٨٤. كما لم ينفّذ معه أي 'اعتقال في السجون' (كما حدث مع باقي الذين شملتهم قرارات سبتمبر ١٩٨١) بل بقي قداسة البابا في الدير بكرامته التي يحرص عليها كل قبطي بل وكل مصري)].

نتيجة المقابلة من فم المهندس عثمان أحمد عثمان الشاهد الوحيد للمقابلة الثنائية بين أبونا متى المسكين والرئيس السادات:

المهندس عثمان أحمد عثمان الذي حضر مقابلة السادات مع الأب متى المسكين، قال لأحد الأساقفة (المتنيح الأنبا أغاثون أسقف الإسماعيلية) وهو بدوره نقلها لأحد أبنائه في الإيبارشية، قالها تعليقاً على هذه المقابلة: ''**لقد نجح الأب متى المسكين أن يمتص غضب السادات**''.

ونفس هذه الجملة قالها لنا قدس أبينا الروحي القمص متى المسكين في تعليقه على نتيجة المقابلة في نفس اليوم.

«ها أنا اليوم ذاهبٌ في طريق الأرض كلها»

(يشوع ٢٣:١٤)

وفي فجر اليوم الثامن من يونية ٢٠٠٦ م. أول بؤونة ١٧٢٢ ش. انتقل إلى الأمجاد السماوية قدس الأب الروحي لدير القديس أنبا مقار القمص متى المسكين الراهب الناسك والعالم القبطي الكنسي الفاضل عن عمر يناهز السابعة والثمانين بعد مرض قصير الأجل، بعد أن حمل مسئولية تجديد الحياة النسكية مع الاحتفاظ بالأصالة الآبائية القديمة في أربعة أديرة : دير الأنبا صموئيل (١٩٤٨ – ١٩٥٠)، ثم دير السريان (١٩٥٠-١٩٥٦)، ثم دير الأنبا صموئيل مرة ثانية (١٩٥٦ - ١٩٥٩) ثم في مغائر وادي الريان (١٩٦٠ - ١٩٦٩)، وأخيراً في دير القديس أنبا مقار (من ٩ مايو ١٩٦٩ – ٨ يونية ٢٠٠٦).

وبالإضافة إلى ذلك حمل مشعل العلم والتنوير اللاهوتي والروحي في الكنيسة بنفس المنهج: العُمق الروحي والخبرة الميستيكية Mystical الصافية، مع الالتزام بالأصالة والرجوع إلى الجذور الإنجيلية والآبائية، ولكن مع التقديم العصري المناسب لذهنية الحاضر، فأنار بهذا أجيالاً بأكملها بالتعليم الروحي والعقائدي المؤسس على كلمة الله وعلى التعليم الآبائي الأرثوذكسي، وفتح أمام القارئ العصري آفاق المسيحية وعمَّق في وجدانه المفاهيم والخبرات الحياتية المسيحية، كل هذا مسنوداً بسيرة حياة تشهد للتعليم الذي علَّم به في كل أرجاء الكنيسة في داخل مصر والخارج.

وكان قد نُقل من المستشفى (حوالي الساعة الثالثة فجر الخميس ٨ يونية ٢٠٠٦) الذي قضى به حوالى ٤ أسابيع، حيث وصل جثمانه الطاهر إلى الكنيسة الكبرى الساعة الخامسة فجراً بينما كان مجمع رهبان الدير مجتمعين كالمعتاد يومياً يرتلون التسبحة السنوية ويرفعون بخور باكر ويقدِّمون الذبيحة المقدسة. وبعد انتهاء صلاة القداس الإلهي صلَّى على الجثمان الطاهر إيغومانس الدير (أو الربيتة) والكهنة صلوات طقس الصلاة على المنتقلين. ثم تقدم الرهبان واحداً فواحداً وقبَّلوا الجسد الطاهر وتباركوا منه، ثم حملوا

النعش على أكتافهم وزفُّوه بألحان وترانيم القيامة والصعود: "**المسيح قام من بين الأموات، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين أبيه في السموات**". ثم داروا به حول الهيكل، فصحن الكنيسة، ثم خرجوا به خارج الدير حيث سُجِّي في المغارة التى أوصى الأب بمكانها قبل انتقاله بأربع سنوات.

فلتكن صلواته وشفاعته معنا ومع الكنيسة كلها.

ولتهنأ الأجيال كلها بالتراث الطويل العريض الذي تركه الأب متى المسكين للكنيسة، من سيرة حياة عطرة فاضلة، وكنز من التعليم المسموع والمقروء، ما سيسعد به كل من أراد أن ينهل منه ويعطي الآخرين طلباً للحياة الأبدية، ولمجد اسم الله القدوس.آمين

ونعرض في الصفحات التالية بعض أفضل المشاركات التي نُشرت في الجرائد والمجلات تجاوباً مع تأثر الجميع من انتقال قدس أبينا الروحي القمص متى المسكين. وقد انتقينا أفضلها ما تسمح به المساحة المخصصة لذلك.:

١ - فقد نشرت **جريدة الأهرام** على صفحتها الأولى يوم الجمعة ٩ يونية خبر انتقال قدس أبينا الروحي الأب متى المسكين في موضع ظاهر وعلى عمودين، ما كان له أبلغ الأثر في تبليغ الجميع بهذا الخبر المؤلم (وشكراً للأستاذ أسامة سرايا رئيس التحرير، والأستاذ أشرف صادق الكاتب الصحفي بالأهرام لمشاركتهما الأدبية):

رحيل الأب متى المسكين

رحل أمس الراهب والعالم الكنسي الأب القمص متي المسكين، عن عمر يناهز السابعة والثمانين، وهو الأب الروحي لدير القديس أبومقار (من ٩ مايو١٩٦٩- ٨ يونيو٢٠٠٦. ويُعَدُّ الأب متي المسكين المولود عام ١٩١٩ وخريج كلية الصيدلة عام ١٩٤٤، والذي دخل عالم الرهبنة عام ١٩٤٨، من باعثي النهضة في الحياة الرهبانية القبطية، وسيُدفن (كان قد دُفن فعلاً) جثمان الأب متي المسكين في دير أبو مقار.

٢ - كما نشرت جريدة "**الإندبندت**" البريطانية خبر انتقال قدس أبينا الروحي

هكذا:

THE INDEPENDENT

Fr Matta El Meskeen

Radical Coptic Orthodox monk

Published: 27 June 2006

Yusuf Iskander, monk: born Benha, Egypt 1 November 1919; clothed a monk 1948, taking the name Matta El Meskeen; died Cairo 8 June 2006.

During the last few decades, a small number of monastics - Catholic, Orthodox and Protestant - have made a significant impact upon many churches and other world religions. The Trappist Thomas Merton of Kentucky, the Russian Orthodox Seraphim Rose of Alaska, the Protestant Roger Schultz of Taizé, and the Benedictine Bede Griffiths of Shantivanam in southern India were all prolific authors. All four of them were also readers of the renowned Coptic (Egyptian) Orthodox monk Father Matta El Meskeen (Matthew the Poor).

وترجمته:

الأب متى المسكين

راهب قبطي أرثوذكسي من دعاة التغيير الجذري

نُشرت : ٢٧ يونية ٢٠٠٦

يوسف اسكندر، راهب: وُلد في بنها، بمصر يوم الأول من نوفمبر عـــام ١٩١٩؛ ترهبن عام ١٩٤٨، بأسم متى المسكين؛ توفي في القاهرة يوم ٨ يونية ٢٠٠٦.

في العقود الأخيرة أحدثَ عدد قليل من رواد الرهبنة من مختلف الكنائس (كاثوليكية



"متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبّت مملكته." (صموئيل الثاني ٧: ١٢)



"طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن. نعم يقول الروح، لكي يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم." (رومية ١٤: ١٣)



يحملون أباهم الروحي كما حملهم هو في حياته



"حينما تدفنونني، لا تظنوا أني ابتعدت عنكم، فأنا سأكون بينكم أشاهدكم، ولن ابتعد عنكم"

من أقوال قدس أبينا الروحي



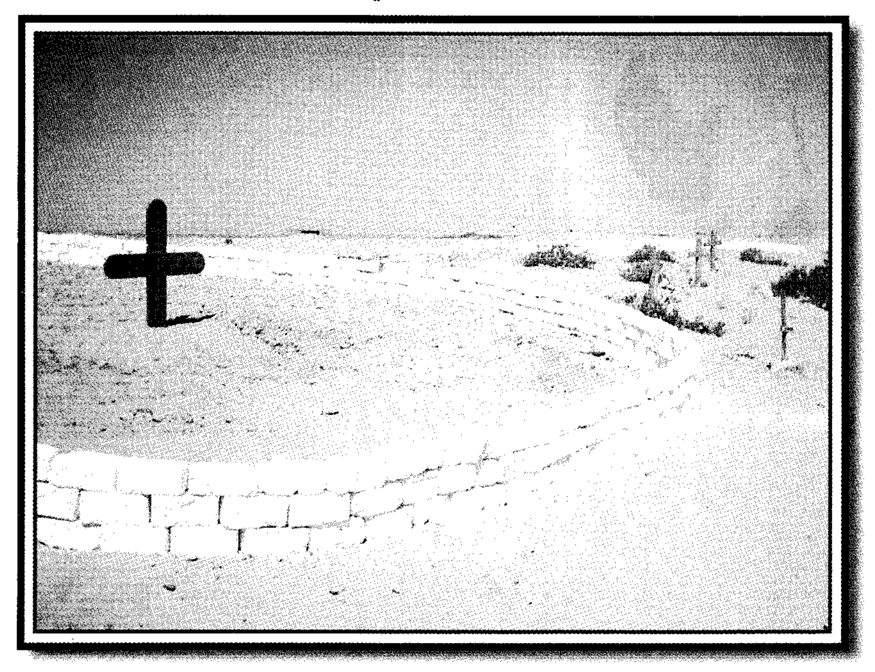
"وها أنا اليوم ذاهب في طريق الأرض كلها. وتعلمون بكل قلوبكم و كل أنفسكم أنه لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به الرب عنكم. الكل صار لكم لم تسقط منه كلمة واحدة" (يشوع ٢٣: ١٤)



"قبر كان منحوتاً في صخرة" (مرقس ١٥: ٤٦)



"واضطجَعَ مع آبائه فدفنوه في بيته" (أخبار الأيام الثاني ٣٣ : ٢٠)



"المسيح قام من بين الأموات. بالموت داس الموت. والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية."

وأرثوذكسية وبروتستانتية) تأثيراً هاماً على كنائسهم وسائر الأديان الأخرى. مثل: "**توماس مِرتون**" من رهبنة الترابيست في ولاية كنتاكي، والروسي الأرثوذكسي "**سيرافيم روز**" في ألاسكا، والراهب "**روجيه شولتز**" رئيس دير تيزه (المسكوني) بفرنسا، والراهب البندكتي "**بيده جريفيث**" من شانتيفانام في جنوب الهند، وهؤلاء كانوا كلهم كُتَّاباً غزيري الكتابة، وهؤلاء الأربعة كانوا أيضاً قارئين لكتابات الراهب القبطي (المصري) الأرثوذكسي **الأب متى المسكين**.

٣ - وبهذه المناسبة نذكر ما نشرته مجلة TIME الأمريكية في عددها الصادر في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٧٥ تقريراً صحفياً بعنوان: "قديسون في وسطنا". وكانت المجلة قد أرسلت مراسليها ومندوبيها إلى أماكن متفرقة من العالم لكي يفحصوا سيرة ونشاط مَنْ أطلقوا عليهم لقب "**قديسون**" واختاروا من بينهم اسم الأب متى المسكين (ضمن ٦ أسماء من كافة أنحاء العالم) وكتبوا عنه هذا التقرير:



Religion

SAINTS AMONG US

Monday, Dec. 29, 1975

As for Christianity's own rich tradition of monastic mysticism, which goes back to the fabled desert anchorites of Egypt, it seems to be undergoing a revival there and elsewhere

In the ancient monastery of Deir el Makarios in the desert 50 miles southwest of Cairo, a Coptic monk is causing a mild sensation, drawing as many as 500 visitors a day. His name: Matta el Meskin, Matthew the Poor. Like the great anchorite St. Anthony, Matta el Meskin was once an affluent young man—a prosperous pharmacist. At the age of 29,

heeding Jesus' call to "sell what you have," he disposed of his two houses, two cars, two pharmacies, gave the proceeds to the poor and, keeping only a cloak, devoted himself to prayer and asceticism. He is out of the world and yet still of it. From his cell, where he lives mainly on bread and water, he has written more than 40 books and pamphlets, most of them scholarly books on church affairs, directed the total rehabilitation of the decaying monastery and begun a reformation of Coptic monastic life so profound that he was one of three nominees to be Coptic Pope in the 1971 election.

وترجمته:

قديسون في وسطنا

أما عن التقليد المسيحي الغني للميستيكية الرهبانية في مصر، فيبدو أنه تجرى له صحوة الآن، هناك وفي أماكن أخرى.

في الدير القديم، دير مقاريوس، الذي يبعد ٥٠ ميلاً شمال غرب القاهرة في الصحراء، هناك راهب قبطي يصنع تأثيراً معتدلاً، فيجتذب حوالي ٥٠٠ زائر كل يوم، واسمه: متى المسكين، أي متى الفقير. ومثل المتوحد العظيم القديس أنطونيوس، كان متى المسكين شاباً ثرياً، صيدلياً غنياً. عمره ٢٩ عاماً، أنصت إلى قول يسوع أن: "بِعْ كل ما لك"، فباع كل ما له من بيتين، وعربتين، وصيدلية، وأعطى الحصيلة للفقراء، ومُبقياً فقط على ثوب له، كرَّس نفسه للصلاة والنسك. إنه خارج العالم ولكنه لا يزال فيه. ومن قلايته، حيث يعيش أساساً على الخبز والماء، كتب أكثر من ٤٠ كتاباً ونبذة، أكثرها كتبٌ بحثية في أمور الكنيسة، ويدير حركة الإصلاح الكاملة للدير الذي كان قد قارب على الاضمحلال، وبالتالي بدأ في إعادة تشكيل الحياة الرهبانية القبطية بشكل عميق إلى درجة أنه كان أحد الثلاثة المرشحين ليكون بطريركاً قبطياً في الانتخابات البطريركية عام ١٩٧١.

ولقد نشر العديد من الصحف والمجلات تحقيقات ومقالات عن الأب متى المسكين (وأبرزها مجلة روز اليوسف وجريدة وطني اللتان نشر كلٌ منهما أكثر من مقال وتحقيق صحفي). وننقل هنا بعض أفضل المقالات.

مجلة المصور، عدد الأربعاء ١٦ يونيو ٢٠٠٦

رحيل ناسك قبطي!

بقلم الأستاذ مكرم محمد أحمد
الكاتب الصحفي المعروف
وأحد قيادات كبرى المؤسسات الصحفية

رحل عن عالم الفناء إلى عالم البقاء قبل عدة أيام، الأب الروحي لدير القديس أنبا مقار، القمص متى المسكين، راهب وادي النطرون، العالم الجليل والمسيحي الزاهد، عن عمر يناهز السابعة والثمانين عاماً قضى أغلبها في عزلة صوفية خالصة، منذ أن هجر مهنة الصيدلة، وباع كل ما يملك ليوزعه على الفقراء ويدخل حياة الرهبنة، يتنقل بين الأديرة القبطية في صحراوات مصر حتى استقر به المقام في دير أنبا مقار، يعيش في مغارة داخل الجبل، زاهداً عاكفاً على العبادة والدراسة، يصلي ويقرأ، ويتأمل في عزلته، ويكتب للناس والكنيسة والفقراء والعصاة رسائل محبة، تفيض شفافية وحباً لهذا الوطن.

عاش الأب متى المسكين حياته داخل الدير يدعو إلى أن تعود الكنيسة إلى ينابيعها الأولى، لا تخلط بين ملكوت الأرض وملكوت السماء، تعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله، وتتفرغ لرسالتها في أن تكون في خدمة الفقراء والمساكين وبؤساء الأرض، تحارب الغُلُوَّ والتعصب والطائفية، وتربي نفوساً قوية متسامحة لا تحكمها عقدة الاضطهاد، وتحافظ على دورها الأصيل، ملاذاً للخطاة وباباً للتوبة، لأن الكنيسة إن فعلت غير ذلك تكون قد ضيعت المسيح.

عرفتُ الأب متى المسكين قبل ٢٥ عاماً، زرته أول مرة في عزلته في الدير في أبريل عام

١٩٨٠، والبلاد يعتصرها أزمة حادة باعدت بين الحكم والناس، وأطلقت قوى التطرف من عقالها، تضرب الدولة التي ظاهرتهم وأخرجتهم من السجون وتركت لهم الحبل على الغارب يعيثون فساداً في الجامعات وتروع المواطنين، وتهدد السياحة، وتطارد أرزاق العاملين فيها، وتأخذ الأقباط رهائن نكاية في الحكم، تستبيح أموالهم ودماءهم وتجعل من كنائسهم أهدافاً، وتلقي بظلالها الكثيفة على وطن يكاد ينفجر على نفسه، تعصف باستقراره فتنة كبرى، عزلت الحكم عن الشارع، وباعدت بين الدولة والكنيسة، وأحالت مصر إلى إعصار.

دفعني إلى الذهاب إلى متى المسكين واحد من كتبه: «الكنيسة والدولة»، تعرفت فيه لأول مرة على بعض أفكار الرجل، وهو يحذر طائفته من خطر مسايرة الفتنة التي يمكن أن تعزل أقباط مصر عن وطنهم، وينصحهم بعدم التضخيم في عقدة الاضطهاد التي يبالغ البعض في تقدير خطورتها، لأن رحابة مصر على طول تاريخها، ومهما تكن مرارة بعض الأحداث تلزم أقباط مصر ومسلميها أن يكونوا كلاً واحداً.

أمضيت مع الأب متى المسكين نهاراً كاملاً، أستمع إلى آرائه وأفكاره، وأتعرف على حياته وقراءاته، وأجول معه أرجاء الدير وهو يطلعني على مكتبة عصرية عامرة بكتب اللاهوت والناسوت والفقه وعلوم الحياة والطبيعة... كان الرجل قد شارف على الستين، وبرغم ضعف بنيانه الجسماني كان عفياً يخرج إلى مزرعة الدير كل يوم مع تلاميذه الرهبان، يُفلح الأرض، ويرعى أشجار البرتقال والزيتون، ويشرف على عنابر الدواجن، ويعتبر ذلك جزءاً من قداس صلاته اليومية، لأنه كان قد خصص إنتاج المزرعة بكاملها للفقراء والمساكين والمعوزين، الذين كانوا يأتون إلى الدير للتبرك والحصول على ما قسمه الله لهم من ثمار المزرعة.

منذ هذا التاريخ ربطتني بالرجل علاقة مودة عميقة، أتابع ما يكتب، وأسأل عن أخباره، وأسعد بزيارته في الدير متى واتتني الفرصة، وعندما بلغت مساحة الخلاف بين البابا شنودة والأب متى المسكين حد الجفوة، حاولت جاهداً أن أكون همزة وصل بين قطبين كبيرين، أتشرَّف بصداقتهما رغم أن كلاً منهما يحمل وجهة نظر مختلفة في العلاقة

بين الدولة والكنيسة.

وبرغم الشائعات التي راجت يومها في بعض الأوساط القبطية عن احتمالات أن يخلف الأب متى المسكين البابا شنودة في منصبه إن نجحت ضغوط الدولة في إجبار البابا على التنحي، فإن ذلك لم يكن أبداً ضمن طموحات الأب متى المسكين الذي كان يعتقد وقتها أن من الحكمة عندما يتسع الخلاف بين الدولة ورأس الكنيسة، أن يتفرغ أحد أبناء الكنيسة لمهمة المصالحة ومحاولة تقريب وجهات النظر المختلفة وإزالة سوء الظن، خصوصاً أن ملكوت الكنيسة هو ملكوت السماء لا علاقة لها بالسلطة الزمنية وما من مبرر حقيقي للخلاف.

وقد يرى البعض أن أفكار متى المسكين التي ترقى باختصاص الكنيسة إلى حد ملكوت السماء فقط، توائم شخصية رجل زاهد، عاش طوال حياته متوحداً في مغارته، يحيى تقاليد الرهبنة المصرية القديمة، ويزرع قِيَمَها في نفوس تلاميذه حفاظاً على النبع الخالص والنقي للإيمان. لكن هذه الأفكار قد لا تتوافق مع مهام جديدة فرضتها طبيعة العصر على الكنيسة، لأن متى المسكين كان يعتقد أن واجب الكنيسة فقط، أن تخدم الإيمان، وتخدم المسيح في أشخاص العصاة والخطاة والأذلاء وطلاب التوبة، وكلما خرجت الكنيسة عن اختصاص مسيحها، وبدأت تنزع إلى السلطان الزمني، وتجيِّش عواطف البسطاء ومشاعرهم باسم الصليب، وترتمي في أحضان السلطان الزمني، وتزيغ عينيها وراء أموال الأغنياء، وتجعل مهمتها المطالبة بحقوق طائفية وعنصرية؛ كلما فشلت في أداء رسالتها ودب فيها النزاع والخصام، وأُغلق في وجهها ملكوت السماء، وأصبحت في حاجة لمن ينقذها من ورطتها ويرُدَّها إلى ينابيعها الأولى، أياً كان خلاف البعض مع أفكار متى المسكين فما من شك في أن وجود أمثاله داخل الكنيسة يضمن حراسة ينابيع الهداية في أصولها الصحيحة، خصوصاً أن صوته كان يأتي إلينا خافتاً ناصحاً من أعماق عزلته لا تخالطه رغبة في شيء لأنه زهد في كل الأشياء.

لكن صوت متى المسكين يرتفع رويداً رويداً وهو يحذر أبناء طائفته من خطر أن تتمكن من بعضهم عقدة الاضطهاد، إذا ما ظنوا أنفسهم أقلية أو مجرد رعايا لا مواطنين،

لأن عقدة الاضطهاد إذا ما استقرت في النفس ستظل باقية داخلها مهما أوتي الإنسان من مقدرة على كبتها، تعمل داخله، وتهد كيانه، وتخربه من الداخل مهما أخذ من حقوق ومهما تحصَّل على الفوارق، ولأن الذين يروجون لفكرة الاضطهاد يهدفون إلى أن يخلقوا روح العزلة داخل الشباب القبطي والانفصال والانكماش عن مجتمعهم وشعبهم وبلدهم، وفي ذلك كل الخطر، لأنهم يُقوُّون في نفوس الشباب الحنين إلى بيئته الأولى التي تربى فيها بأكثر من حنينه إلى وطنه.

لقد رحل متى المسكين، هذا الناسك القبطي الزاهد عن عالمنا، لكنه ترك وراءه تراثاً مهماً في الرهبنة القبطية، يحرس نقاء الإيمان، ويحارب عزلة الشباب القبطي، ويربط بين الوطنية والإيمان.

الله المسيح والرمز

في محاورة الأب متى المسكين مع جابر عصفور ونصر أبوزيد وهدى وصفي

تقديم: نصر أبوزيد

*** في صيف ١٩٩١ حدث هذا اللقاء، ولكن في يونيو ٢٠٠٦ نشر الدكتور نصر أبو زيد مرة أخرى هذا الحوار بعد انتقال الأب متى المسكين. وهي تحفة في أدب الحوار بين مفكرين مسلمين وراهب مسيحي.**

ثلاثة من كبار مفكرينا حاوروا الراهب والمفكِّر الأب متى المسكين، ونُشرت المحاورة التي تكشف عن الحجم الفكري للراحل العزيز في العدد الثاني عشر من مجلة البلاغة المقارنة 'ألف'، وهو عدد خصصته المجلة الرصينة للمجاز في العصور الوسطي. ننشر في

هذا البستان المحاورة بإذن من 'ألف .

حين توجهنا في صيف ١٩٩١ لعقد هذا الحوار مع الأب متَّى المسكين، لم نكن نظن أن الحوار سيتشعب ويمتد هذا الامتداد الأفقي والرأسي، فأُفقياً حدثنا الأب عن تجربته الروحية في خطها التطوري منذ اختار طريق الرهبنة وهجر الصيدلة سنة ١٩٤٨ حتى عزلته الحالية في دير الأنبا مقار على الساحل الشمالي، مروراً بالصعوبات التي تعرَّض لها من الكنيسة، والصعوبات التي مرَّت بها الكنيسة ذاتها نتيجة الخلافات التي شجرت بين الأنبا شنودة والرئيس السادات. ورأسياً ساعدنا الرجل بكل السماحة والحب على القيام برحلة داخل وعيه بدءا من وعيه الديني وانتهاء بوعيه بمشكلات العالم المعاصر، وفي القلب منه مصر والعالم العربي، مروراً بآليات الشرح والتفسير وتأويل الرموز الدينية في الكتب المقدسة.

ومن حق الرجل علينا أن نشهد له بأنه مُحاوِر من الطراز الأول، يجيد الاستماع والإنصات بالقدر الذي يجيد به التعبير عن نفسه بهدوء وثقة وتواضع في الوقت نفسه. إنه تواضع العلماء وثقة الواصلين وهدوء أهل اليقين. لقد أبدي صبراً وتفهُّماً لِمَا قلناه نحن أهل الظاهر والجزئي والنسبي، واستمع إلينا وتفاعل معنا طامحاً أن يصل بنا إلى عالمه، ويرتفع بأرواحنا إلى ذُرَى يقينه. لقد كان سعْيُنا للحوار مع الرجل نابعاً من احترام عميق لشخصه ومن إدراك لأهمية إنجازاته الفكرية التي توَّجها بشرحه لإنجيل يوحنا في مجلدين كبيرين. وكانت عودتنا بعد الحوار عودة الظافرين بحصاد لم نكن نحلم به، فقامة الرجل شخصاً وإنجازاً وتواضعاً أعلى من كل تصوراتنا.

وما نقدمه لقارئ هذا العدد من "ألف" هو جزء من ذلك الحوار الخصب الثري، جزء اضطررنا لاقتطاعه ليناسب محور العدد. لكننا حافظنا على الحوار كما هو، ولم نكن بحاجة إطلاقاً للتدخل أو التعديل. وهذا الجزء الذي اقتطعناه دار كله حول شرح إنجيل يوحنا، وحول معضلة التفسير والتأويل، وقراءة الرموز.. الخ. تحية للأب متى المسكين من ألف التي تأمل أن يتواصل قراؤها عبر هذا الحوار مع الرجل، العالم والمفكر والراهب.

هدى وصفي: نريد أن تحدثنا عما قمت به من شرح إنجيل يوحنا، ويدفعنا إلى هذا

السؤال منهجك في الشرح من ناحية، والتمهيد المستقل الذي قدَّمتَ له للشرح في أكثر من أربعمائة صفحة بعنوان المدخل لشرح إنجيل يوحنا. وواضح أنك كنت تقدم في هذا الشرح ترجمة تفسيرية جديدة للنصوص الأصلية؟

متى المسكين: في الحقيقة، أنا حين ابتدأت الترجمة واجهت معضلتين: الشرح والتفسير، فالكلام بحاجة إلى تفسير، وبعد التفسير بحاجة إلى شرح، لأنني أوضح معنى النص، وأرتبط بالنص ارتباط أمانة، ونقطة البداية هي ترجمة النص لأنه يوناني ذو ترجمة سقيمة، ولذلك أبدأ بإعادة ترجمته. بعد ذلك أبدأ التفسير على ألا أخرج خارج النص إطلاقاً، وإلا فإن ذلك لا يعتبر تفسيراً، فأي خروج نسميه عدم أمانة، وهذا لا ينطبق على القرآن، ففي القرآن ليس بعد النص شيء، ولكن في الإنجيل، لدينا ما يجعل الكاتب يكتب مثل إنجيل يوحنا، فهو يوضح كلام المسيح ويشرحه. فقبل النص هناك صاحب النص، ولذلك لابد أن أتعرَّف على النص كي أقول الشرح، وتلك مرحلة ما قبل التفسير، وفيها خروج عن النص ولكن في حدود صاحب النص، إذ لابد لي أن أعرف صاحب النص سواء كان المسيح أو يوحنا، وأن أتربى بالمعنى الصحيح تحت رجليه وأن أعرف خلجات قلبه وفكره، وبالتالي أستطيع أن أكتب أكثر من النص مرات كثيرة، وأشرح النص دون أن أخرج عنه قيد شعرة.

جابر عصفور: أنت إذن شارح بالمعنى التأويلي، على أساس أن التأويل عَوْدٌ على البدء، ومن ثم فشرحُك إدراك لغاية صاحب النص.

متى المسكين: أنا لا أُؤَوِّل، أنا آخذ التأويل من صاحب النص.

جابر عصفور: بمعنى أنك ترجع إلى الأصل.

متى المسكين: أرجع إلى النص فقط، وليس إلى ما قبل النص.

نصر أبوزيد: في القرآن ليس عندي ما قبل النص.

جابر عصفور: في الإسلام ليس هناك ثنائية.

متى المسكين: لا، ليس ثنائية، ولكن أستطيع أن أُسميه الفكر الكلي المطلق أو الـــوعي الكامل، يتدرج إلى الوعي غير المطلق المرتبط بالعقل فيتنـــزل كلاماً، ولكن قبل الكـــلام وعي خارج عن الكلام، أقوي منه وأكبر منه ولكن لا يخرج عنه.

نصر أبوزيد: في القرآن، نربط بين التفسير والعلوم اللازمة للاقتراب من النص، بمعـــنى أنني لا أستطيع تفسير آية دون أن أعرف أسباب النـــزول.

متى المسكين: هنا أستطيع القول، ولك أن تردَّني، إن وراء النص القرآني هناك الروح القرآنية التي كتبت القرآن، كيف أتبين هذا؟ محمد عبده والأفغاني خرجا عـــن الـــنص وشرحا، وكان شرحهما مقبولاً وتأثيرهما قوياً على المسلمين، ولكن هذا انتهى يوم قُفل باب الاجتهاد، وهذه مأخوذة على المسلمين، إذ كيف يُقفَل باب الاجتهاد، والاجتـــهاد مرتبط بالله وليس بالقرآن فقط، الاجتهاد هبة، رجل موهوب فكيف أقول له لا تجتهـــد، وهو أخذ من الله 'فَرَمَان' (أي تصريح) أن يجتهد ويشرح، إن غلق باب الاجتهاد يكون حين يغلق الله باب الإلهام.

نصر أبوزيد: بالنسبة لمسألة الإلهام، هل أنت من المتصوفة؟

متى المسكين: لا، لست صوفياً

نصر أبوزيد: هناك قول شائع ومستقر مؤداه أن كل كلمة وكل حرف في القرآن له ظاهر وباطن، وله حد وله مَطْلع، أربعة مستويات في التفسير، هل توجد هذه المستويات الأربعة في تفسيرك؟

متى المسكين: أنا أتكلم عن الباطن، فأنا أري المسلم المتمكن من الـــروح الإســـلامية الذي يتقن العبادة والتقوى عنده قدرة على دخول باب الاجتهاد، وهذا مُنِـــع، وأنـــا في الحقيقة آخذ ذلك على المسلمين، فكيف يغلَق باب الاجتهاد بعد محمد عبده والأفغـــاني. لماذا؟

جابر عصفور: لأسباب سياسية معروفة، وعند بعض المجموعات فحسب.

نصر أبوزيد: في الحقيقة، إن باب الاجتهاد مُغلَق منذ زمن طويل، والذي حاوله محمد عبده أنه وارب الباب قليلا، ثم أُغلق مرة ثانية.

متى المسكين: لماذا؟

نصر أبوزيد: كما يقول الدكتور جابر، لأسباب سياسية.

متى المسكين: أتعرف أن ذلك هو الذي فَرَّقنا، هو الذي فَرَّق الإسلام عن المسيحية.

نصر أبوزيد: هذا أكيد.

متى المسكين: حتى المسيحية حين انقسمت إلى كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكسية، تركت الوعي العالي ونزلت إلى الوعي العقلي، فحين يرتفع المسلم في باب الاجتهاد ويتلامس مع الروح، سوف يتلامس معي بلاشك، ولكن حين ننزل على الأصول فقط، سيكون لك بيت ولي بيت، لا تزورني ولا أزورك.

جابر عصفور: هذه النقطة، لو أَذنْتَ لي، نريد أن نتوقف عندها قليلاً، الذي فهمته الآن أن هناك ما يُسمَّى بالروح الكلي وهذا هو المستوي الأعلى، وهناك ما يُسَمَّى بالوعي الجزئي، أي الوعي المتصل بالعالم، وهناك النص، ثم هناك أنت كقارئ، وسؤالى هو: هل يستلزم فهم النص نوعاً من الاتحاد الوجداني بينك وبين الروح الجزئي الذي يجعلك تتصل مباشرة بالروح الكلي؟

متى المسكين: طبعا، وأنت قد شرحتَ.

جابر عصفور: أريد أن أسمع منك.

متى المسكين: أنت أوضحتَ بما يكفي، أنا أُعطي لأناس معرفتهم قليلة بالوعي الروحي العالي، ولكن لديهم التراث الإنساني، الإسلامي أو المسيحي، لديهم النفحة التي أعطاها لنا الله، أعطاها لآدم ولي ولك، أخذنا الوعي الكلي بالله كهبة، ولكن تُهْنا بسبب خروج آدم من وجه الله وتعسفه وتعرُّجه في العالم، فضاع منه الوعي الكلي وعاش بالوعي الجزئي، ومن حين لآخر، على يد هذا النبي أو ذاك في العهد القديم، إلى أن جاء داود

وسليمان الحكيم اللذان انطلقا من الوعي الروحي المحدود في العقل إلى الوعي الكلي، وأعطانا لمحة، هذا هو ميراث البشرية. مباركٌ هو الإنسان الذي يستطيع أن ينفذ من الوعي المحدود المرتبط بالعقل الذي يتربَّع على التاريخ والزمن والقياس، ينفذ من الباب الموارب إلى الوعي الإلهي، هذا يكون الإنسان الإلهي الذي يتقرب إلى الله، ويعبده ويعرفه بشكل صحيح.

جابر عصفور: في هذه الحالة، حين يكون هناك نوع من الاتحاد الوجداني، هل نستطيع القول إن شرح الإنجيل الذي كتبه الأب متى كان مرآة الأب متى التي انعكس عليها الوعي الكلي بطريقة تتناسب مع درجة الاتحاد الذي تم بين الأب متى الشارح والنص المشروح.

متى المسكين: في الحقيقة، لا أخفي عليك، أنا لم أتجرأ طيلة عشرين عاماً أن أقترب من إنجيل يوحنا، لشموخه ولشعوري بالعجز والقصور، ماذا حدث؟ إن هذه السنين جعلت الوعي يرتفع ويتذوق، إلى أن بدأتُ أقرأ إنجيل يوحنا وأكتشف أن هناك معاني مختلفة وجديدة، وقلت لرهبان كثيرين، كم أتمني شرح إنجيل يوحنا ولكني لا أقدر، إلى أن جاء اليوم، وأحسستُ أن الوعي الذي أشعر به قريب من الوعي الذي كتب به يوحنا، لدرجة أنني حين كان يستعصي عليَّ مفهوم، كنت أتوقف، وأجلس صامتاً وأُصلِّي، أريد أن أشعر به وتقريباً أُخاطبه، وأقول له: ماذا تريد أن تقول؟ إن الكلام واضح ومفهوم ولكني لا أستطيع أن أعيه كي أكتبه: لحظتها، يأتي الحدس فأكتب، وهذا هو خلاصة قولي، حين تقترب من صاحب النص تحصل على الشرح، أنت تقول إنني مرآة، في الحقيقة لستُ مرآة، أنا مُوصِّل صديق لصاحب النص، قريب منه وأُحبه.

هدى وصفي: كونك تعيش مع المؤلف، أو صاحب النص كي تشرحه، هل هذا ينطبق على النصوص الإلهية فقط، أم على جميع الإبداعات؟

متى المسكين: إذا جعلتِني أدرس أي شاعر أو أديب ممن يملكون الوعي العالي، فأنا أستطيع أن أشرح لك ما قاله مثلما شرحت يوحنا. هذا ميراث بشري مشترك، وأنا عثرت عليه، وعنده مثلما عندي وربما أكثر، ولكن ليست هناك محاولة، وأنا واثق مما

أقول، وتستطيع بهذا المفهوم أن تعود إلى القرآن وتشرح، فالشرح يتعلق بصاحب النص، وهذا هو ما اكتشفته بالنسبة للدكتور نصر أبوزيد، فهناك النص والتفسير والتأويل، ولكن أين الشرح؟

نصر أبوزيد: في الانتقال من الظاهر إلى الباطن إلى الحدِّ إلى المَطْلَع، الذي هو الروح الكلي.

متى المسكين: أنا أقف عند الباطن، لأن الخروج عنه درجة غير بشرية.

نصر أبوزيد: المتصوفة المسلمون تحدثوا عن أربع درجات، وطلعوا إلى الرابعة.

متى المسكين: لا تصدقهم كثيراً، وفي المبدأ السُني، لا يؤخذ برأي المتصوفة لأنهم تجاوزوا النص.

جابر عصفور: أتصور أنك تمثل منطقة وُسْطَى بين التصوف والعقلانية.

متى المسكين: أنا معك، فعقلي الباطن صديق، وهو ما يسمونه بالجوانية، فإذا تكلمت في العلم آتي لك بجديد بسبب أنني أنتقل بسهولة من العقل المحدود إلى ما فوق.

نصر أبوزيد: أريد أن تشرح لنا دورك كشارح للنص، كيف تكتب للقارئ الذي لم يَخُضْ التجربة من حيث التقوى والصلاة وغير ذلك، كيف تُحيل الفهم إلى خطوات لغوية وتفسيرية؟

متى المسكين: هذه هي الأدوات.

نصر أبوزيد: نعم، ونريد أن تحدثنا عنها.

متى المسكين: البركة فيمن علمونا من الأساتذة، طه حسين والعقاد، كيف كانوا يوضحون ويقسِّمون المعنى، وكنت أتساءل وأنا أقرأ كيف قسم هذا المعنى أو ذاك؟ فلا يمكن أن تتعلم شيئاً دون أن تعرف من أين جاء. فالأدوات ليست محتاجة إلى دراسة، الأدوات تلقين، والتلقين إذا ما تقابل مع الآلة المستعدة، ساعتها أجد الكلمة تأتي بشكل

عفوي ومباشر إلى درجة أنني إذا ما أتتني علاقة لغوية مسجوعة، أخاف من السَّجْع[11] لكيلا يقول أحد أنني أَسْجع، فأحذف السجع، فأنا لا أُقدِّم سجعاً ولا جمالَ لغةٍ، أنا روح في لغة، لغتي ليس لها قيمة، لغة محدودة، ولكن الروح هو الذي يجعلها لغة براقة.

جابر عصفور: ألم يحدث مرة أن الروح لم يتجسد في اللغة بسهولة، أو أن اللغة تأبّت على الروح في التعبير؟

متى المسكين: أنت تضغط على مواجعي، فما كتبتُه هو ربع ما أريد، وما جعلني محدَّداً شيئان: القارئ واللغة، القارئ لا يستطيع الاستيعاب واللغة قاصرة، وحين يكون المعنى قوياً تجدني اختزلتُ في الكلام.

جابر عصفور: هناك صوفي من متصوفة القرن الرابع هو النفري، له عبارة جميلة وموحية تقول: كلما اتَّسَعَتْ الرؤية ضاقت العبارة، وأنت تتحدث عن كيفية تجسد الروح في لغة، واللغة بطبيعتها المحدودة لا تستطيع استيعاب كل شيء، لا تستطيع أن تجسِّد إطلاقية الروح.

متى المسكين: الله مُدرَك كامل، يُدْرَك ولكن ليس كما ينبغي.

جابر عصفور: معنى ذلك أنك فيما يتصل بمسائل الشرح، مؤمن بالعلم المضنون به على غير أهله، وأن هناك مستويات للعلم ومستويات للعقول البشرية!

متى المسكين: لا، كل عالم وكل مشتغل بالعلم يصل إلى العلم لو مرَّن حواسه الروحية، وكل إنسان فيه روح ووعي مطلق ولكنه مرتبط بالعقل، فلو مرَّن العالم حواسه لابد أن ينطلق، أنا أقول ذلك وأنا حزين، أنا كنت إنساناً ضعيفاً و لم يكن لديَّ وعي، أنا رجل عملي، صيدلي، أدواتي هي الموازين وأنابيب الاختبار ومراقبة الألوان، ولكني حين تقرَّبتُ إلى الله كراهب، وأَخلصتُ، انفتح لي العلم شيئاً فشيئاً، هل هذا حِذْق مني؟ أبداً، هل هذه إيديولوجية؟ لا.

---

(١١) أي كلام مُقَفًّى ذو فواصل.

جابر عصفور: ولكن هذا يجعلني أسألك مرة ثانية، لماذا شرح إنجيل يوحنا بالذات؟

متى المسكين: إقرأ الأناجيل وأنت تعرف.

جابر عصفور: ولكني أريد أن أسمعها منك.

متى المسكين: في الحقيقة، الأناجيل الثلاثة الأخرى تقدم التاريخ، مسيح التاريخ، الولادة والصبا والتعميد والتعليم، ولكن يوحنا لم يقدم هذا التاريخ، لم يذكر بيت لحم ولا مريم العذراء إلا في مرات قليلة، ثم إن يوحنا بالذات تعرَّف على المسيح وعاش معه قبل التلاميذ بمدة، وعاش معه في اليهودية، (فإسرائيل مملكتان: فوقَ إسرائيل، وتحتَ اليهودية). وأول ما بدأ المسيح بدأ في اليهودية فترة ربما سنة، وكان معه يوحنا، وهذه السنة قالها يوحنا. فوق هذا، فإن الأناجيل الثلاثة لم تذكر أورشليم إلا مرة واحدة، أي سنة واحدة ذهب فيها المسيح إلى أورشليم وعَلَّم هناك وصُلب، ولكن يوحنا ذكرها ثلاث مرات أي ثلاث سنين. إذن، إنجيل يوحنا هو الذي يقول لك إن المسيح عاش في اليهودية تقريباً ثلاث سنين ونصف، فيوحنا يعطي فرصة أوسع للتعرُّف على المسيح. بالإضافة إلى ذلك، تتحدث الأناجيل الثلاثة على المستوي العقلاني التاريخي، ولكن يوحنا وجداني وروحاني، وأعتقد أنه كان يسجل الكلمات ولا ينقلها من الذاكرة، وأهم ما في إنجيل يوحنا هو حوار المسيح مع الفريسيين الذين كانوا تماماً على مستوى الدكتوراه في اللاهوت، فتصور حواراً بين المسيح وبينهم، يوحنا يسجل الحوار بعمق، ومع كل هجوم منهم يأتي المسيح بتعاليم جديدة، فهجوم الفريِّسيين هو الذي كوَّن إنجيل يوحنا. كذلك فإن المسيح كان يذهب إلى أورشليم، ويذهب إلى هيكل سليمان ويعظ، وكان الكهنة يحضرون فيحدث نقاش معهم حول طقوسهم وأعيادهم: وفي كل عيد يشرح لهم طقس العيد على مستواه الجديد، فمنهج العهد الجديد إذن كله في إنجيل يوحنا، وأيضاً يوحنا لم يُقحم نفسه، أنت لا تجده ولا مرة يُعلِّق، بل تجد حواراً حراً ليس فيه الإيديولوجية الثقيلة.

نصر أبوزيد: ولكنه اختار ما يحكيه.

متى المسكين: قام بانتقائه، قال: «أمور كثيرة قالها المسيح ولكن هذه اخترتها لكم كي

تؤمنوا».

هدى وصفي: هذه هي الإيديولوجية.

متى المسكين: إيديولوجية اختصار وتركيز فيما ينفعهم.

نصر أبوزيد: ما يتصور هو أنها تنفعهم.

جابر عصفور: ولكن هناك سؤالاً في الجوانب البلاغية لو أَذِنْتَ لي، أنا ألاحظ في المدخل والجزءين الآخرين أنك لا تستخدم إلا رموزاً، وفي الشروح الدينية دائماً ما يقرأ الإنسان الاستعارة والمجاز، ولكنك ملتزم دائماً بالرموز، لماذا؟ لماذا لا توجد إشارة إلى الاستعارات؟ لماذا الكلام عن الرموز فقط؟

متى المسكين: هذا سؤال مبدع، معك حق، وفي الحقيقة كل ما عُرف عن المسيح في العهد القديم رموز، يُقال مثلاً: رفع موسى الحية على عصاه في البرية كي يراها كل إنسان، فقد كانوا يعصون الله فجاءت الحيات وعضَّتهم، فموسي هنا فعل شيئاً لا يعرفه، واليهود طوال العهد القديم لم يعرفوا هذا السر، فقالوا: هاتِ عصا وآصنع حية نحاسية، وكل من ينظر للحية ويكون معضوضاً سيُشفَى: رمز خطير في العهد القديم كله، أتعب اليهود كثيراً، ما هي الحية؟ فجاء إنجيل يوحنا يقول: كما رُفعت الحية في البرية، كما رفعها موسي على العصا، كذلك سيُرفع ابن الإنسان على الصليب، من أجل أن يشفي كل من رآه. رمز ظل مغلقاً حتي بعد أن قاله المسيح، فالرمز القديم بديع والجديد أبدع، فأنا محصور بين رمزين، فلابد أن أشرح الأول والثاني، في الأول صُوِّرت الخطيئة في حية، وهذا مستمَد من قصة آدم، فالحية النحاسية رمز ضارب إلى بعيد، وجاء المسيح، وهذا ما أتعب اللاهوتيين كثيراً، لماذا قال يوحنا إن المسيح رُفِع، وفات عليهم أن الحية رمز الخطيئة، والحية النحاسية ميتة، فالمسيح سيموت، رمز الحية الأول ميت، فالرمز هنا تحقق بحية الخطيئة ميتة في المسيح، فالخطيئة ماتت في المسيح، المسيح أمات الخطيئة.

هدى وصفي: لو سمحت لي، فأنا أتصور أن سؤال الدكتور جابر مرتبط أكثر بالصور البلاغية.

متى المسكين: أنا مضطر هنا أن أتكلم عن الرموز لأنها أقرب إلى ما أريد، فالرمز مرتبط بالحقيقة والروح. المسيح قال: أنا هو باب الخراف، كل من يدخل عن طريقي يصبح راعياً، ومن لا يدخل عن طريق الباب لا يصبح راعياً. إنه هنا وضع رمز الباب، وبعد ذلك قال: أنا الباب والطريق، فأصبح رمزاً.

جابر عصفور: أود أن أسأل سؤالاً قد يبدو ساذجاً على نحو ما، ما الذي يجعل من هذا رمزاً ويخرج ذاك من الرمز؟ في الشعر هناك مشكلة، كيف نحدد الرمز؟ فنحن نستطيع فهم ليس فقط النصوص المقدسة ولكن أيضاً النصوص الأدبية إذا كان عندنا ما يشبه المعيار الذي يحدد لنا ما الرمز، فلماذا الخمر رمز؟ والكرم رمز؟ والنار رمز؟ والنور رمز؟

متى المسكين: هذا من تراثنا القديم، من التراث الفرعوني، لماذا الإله شمس؟ أو قمر أو ثعبان أو صقر؟ لماذا الرموز؟ لقد جاء إخناتون وحلَّها. قال: الإله واحد وكل هذه رموز، والرمز في العهد القديم مؤلَّه، وفي العهد الجديد: لماذا الماء رمز؟ لأن الماء يعطي حياة، فحين يقول أنا ماء حي، معروف أن هذا الرمز يحمل أقوى صفة يمكن أن نُسقط عليها الشخص، فلا أستطيع أن آتي برمز لا يحمل صفات أساسية في الشخص وإلا تصبح صورة مهزوزة، فحين تري الصور التي أخذها المسيح وأَحَلْنَاها إلى رموز، تجد مجموعها يكوِّن صفات المسيح.

هدى وصفي: يمكن أن يكون رمزاً ولكنه ليس حقيقياً، ويمكن جزئية معينة تُذكَر، لكن ليس شرطاً أن تكون مبنية على شكل من أشكال التعبير، فأنت تقول لابد أن تكون هناك جزئية متحققة كي تصلح لأن تكون رمزاً.

متى المسكين: هذا في الشعر والأدب، ولكن في المسيح لا، فحين أقول الماء الحي فهذا تعبير حقيقي وليس رمزياً، وحين قال: يخرج من أمام عرش الله نهر، هذا ليس رمزاً ولكنه وصف لواقع. فالمسيح حين يقول: أنا راعي الخراف، هذا ليس رمزاً ولكن حقيقة على أساس أننا خراف ناطقة، لو أنك أخذتها على أنها خراف عادية تصبح رمزاً، ولكن لو عرفتَ من المضمون أن الخراف ناطقة وأننا جميعاً خراف الله، وأن الخراف حينما تخلص

جدا تصبح ذبائح إلى الله، نقدم أنفسنا ذبائح إلى الله، فالوصول من الرمز الشكلي إلى الحقيقة الإلهية فاتت على كثيرين، فهي ليست رموزاً بل حقائق.

نصر أبوزيد: الرمز هنا مرتبط بالعالم الجزئي.

متى المسكين: بمفهوم العالم الجزئي هو رمز، ولكنه بمفهوم المطلق ليس رمزاً.

جابر عصفور: معنى ذلك أن الرمز ليس استعارة لأن الاستعارة لها معنيان، أولهما لامعقول له، وثانيهما هو المعقول والمقصود، والرمز عندك معقول كله. وكل رمز هنا له معنيان: معنى ظاهري وهو حقيقي، فنحن خراف بالفعل في نهاية الأمر، وله معنى ثان من حيث دلالته على الحقيقة المطلقة الكلية. وعلى هذا الأساس لو قلنا إن العرش الإلهي يتفرع منه نهر فهذا حقيقي على المستوي الظاهري للرمز، ولكن له معنى ثانياً مرتبطاً بما كنتَ تُسَمِّيه الشرح. بهذا المعنى ، الرمز ليس له علاقة بالاستعارة، لأن الاستعارة بالمعنى البلاغي ظاهرُها غير حقيقي، فإذا قلت مثلا رنت لنا ظبية وأنا أقصد فتاة جميلة، فالظاهر هنا غير حقيقي.

متى المسكين: لذلك، فمن الأدب الديني أن لا نوقع الرموز على الله إلا إذا كانت من واقع الله الرحمن الرحيم. ولا أختَرع كلمات، فليس مُصرَّحاً لي أن أُعطي رموزاً للمسيح إلا إذا كانت من صميم الصفة الطبيعية فيه.

هدى وصفي: هذا ليس رمزاً، بل حقيقة.

متى المسكين: بشكل رمزي، فحين أقول الله ماء، أو أنا الماء الحي، هذا رمز ظاهري.

هدى وصفي: ولكن كيف يتحقق في العالم المطلق؟ فلو قلنا إن الله ماء، كيف يتحقق ذلك في العالم المطلق؟ لا يتحقق، لأن الله لن يكون على شكل نهر في العالم المطلق.

متى المسكين: هنا يعجز العقل، هنا الرمز في شكله الظاهري العقل يحصره، ولكن حين أرفعه للمطلق لا أستطيع أن أحصر الله فيه، وأقول الله نهر أم لا. هنا أكون قد حصرت الله وهذا تجديف. لا أستطيع أن أحصر الله في نهر أو ماء وإنما أستطيع القول إن الله كان

ماء.

هدى وصفي: هذا في اللغة العربية تشبيه.

جابر عصفور: هناك قضية أنت تلحُّ عليها سواء في المدخل أو الشرح وهي قضية رؤية الله، أنت تعطيها اهتماماً، فمثلاً في تفسير القرآن هناك آية: ''وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة''، هناك اختلاف في تفسيرها، بعض المفسرين من أهل الظاهر يقولون الرؤية بمعناها العادي، وطبعا يُردُّ عليهم أنهم وقعوا في التجسيد. وهناك مفسرون يقولون برؤية القلب، ومفسرون آخرون، وهم من المعتزلة، يقولون الرؤية هنا مجازية، بمعنى التوجُّه إلى الله، لكنك هنا تقول شيئاً مختلفاً.

متى المسكين: رؤية الله لا يمكن أبداً أن يحصرها العقل ولا يصفها، ولا اللغة تستطيع أن تُوقعها في معان، ولكن هل تَمَّتْ؟ نعم. كيف؟ لا يمكن التعبير عن ذلك. رؤية المطلقات غريبة عن العقل والمنطق، ورؤية الله موهبة عظمي للوعي الكامل للإنسان، خصوصاً عندما يتدرج من حق إلى حق حتى يُستأمَن على أن يواجه الرؤية. هنا ينبهر العقل ويرتد محسوراً، وحين تسأل متصوفاً: ماذا رأيت؟ يقول رأيت بهجة. صِفْ. لا يمكن. لماذا؟ لأنه أراد أن يُسقطَها على المحدود، وهذا مستحيل، ولكن أنت سوف ترى الله حينما تكون فوق، وتحسُّه وتعبده. ولكن كيف؟ لا يمكن التعبير. ونحن الآن عندما نعبد الله نحاول أن نُدخله في صور.

نصر أبوزيد: أنت قلت في عبارة مهمة جداً أريد أن أربطها بمسألة الرمز، إن المسيح كلمة الله وأيقونة الله، وهذا يفسر مسألة الرمز بالنسبة لي، فالمسيح كلمة حين تجسدت، تحوَّل المسيح إلى رمز دالٍّ على الأصل، فعندي هنا رمز وعندي مرموز كلي مطلق، هل مقولة الرمز في المسيحية أي التأويل الرمزي خاضع لهذه البِنْية؟

متى المسكين: أي بِنْية؟

نصر أبوزيد: أن المسيح أيقونة الله، فإذا استبدلنا بكلمة المسيح هنا كلمة رمز، فهمنا أن المسيح أيقونة الله لأنه جاء لتخليص البشرية، وفهمنا من الأيقونة الإلهية أن الروح

الكلي الذي تجسد في شكل ناسوت، هذا الناسوت هو الله وهو المسيح في الوقت نفسه، هنا شيئان ولكنهما في الواقع شيء واحد، العقل يدركهما اثنين ولكنهما واحد، رمز جزئي في واقع يرمز إلى كلي فيما وراء الواقع.

متى المسكين: في الحقيقة، الشيئية هنا احتملت الحلول فلم تَعُدْ شيئية، فالمسيح عندما حلَّ في الناسوت، الكل حلَّ في الجزء، ولكن الجزء لم يعد جزءاً، الكل انفرش على الجزء، والجزء انفتح على الكل، فأصبح المحدود غير محدود، وأصبح اللامحدود في صورة المحدود، كالحلاج مثلا حين قال أنا المسيح وصلبوه، فالذي حدث أنه شعر بالكل حلَّ فيه فغُشَّ العقلُ، وظن أنه أصبح كُلاًّ، وفي المسيح فإن الكلَّ فعلاً حلَّ في الجزء فاستجاب الجزء وانفرد على الكل فلم يعد جزءاً.

هدى وصفي: هل تطابق مع الكل؟

متى المسكين: نعم، تطابق مع الكل.

هدى وصفي: حتى في لحظة وجوده على الأرض؟

متى المسكين: نعم.

هدى وصفي: فكيف نبرر صلواته وفيها انفصال عن الكل وطلبه رفع المعاناة عنه.

متى المسكين: لأنه يمثل البشرية، يمثل الإنسان.

هدى وصفي: إذن هناك لحظة تكون فيها الثنائية واضحة.

متى المسكين: لا، هذا سؤال صعب جدا، أوقع الكاثوليك في الأرثوذكس، هنا في الحقيقة، حين نتناول الجسد نحن نتناول لقمة صغيرة ونقول نحن نتناول المسيح، الجسد هنا رمز واضح وأصبح قطعاً، ومع ذلك فإن من يتناول القطعة الصغيرة يكون كأنما أخذ المسيح بداخله، هنا تنـزُّه خالص عن المادة، المادة شكلاً، ولكن الجزء انفرش وأصبح كُلاًّ إلى درجة أن المسيح فيَّ، نحن نؤمن بالحلول، وهنا الجزء أصبح كلاًّ، لدرجة أنني حين أصلي على القربان وأقول هذا جسد المسيح وفق كلامه، ونأخذ القطعة الصغيرة نعتبر أننا

أخذنا المسيح بداخلنا، ونحس، وليس هذا تصوراً وإنما قوة، وربما أتكلم بلغة أخري، هنا انتقال إلى شيء إلهي، لذلك أقول إن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي أُعطِـيَ لـه أن يحول الزمن إلى خلود، والشيء إلى المطلق.

جابر عصفور: ولكن هذا مفهوم مختلف عما نعرفه عن الرمز، فأنت جعلتَني أتصور أن الرمز أيقونة الله تماماً مثلما أن المسيح أيقونة الله، وهذا ليس مفهومنا عن الرمز، هنا هـو الصورة التي يتجلي بها المعنى الإلهي كي ندركه.

متى المسكين: لا الرؤية ولا التجسد يؤديان إلى شيء، فمن رآه اعتبره إنساناً عادياً، هنا الاستشفاف أو الوعي الروحي المنفتح، فيري ما لا يُري ويدرك ما لا يُدرَك، وهـذه هي عظمة الانسان.

جابر عصفور: هل من يؤكد هذه الفكرة أن كل الرموز المستخدمة هـي ظـواهر الطبيعة؟

متى المسكين: ليس لدينا مجال آخر.

نصر أبوزيد: وهذا سؤالى عن الحقيقة والمجاز، نحن نستخدم اللغة ونقـول: الله قـادر وعالم، ونستخدم نفس الصفات عن الإنسان، أين الحقيقة وأين المجاز؟

متى المسكين: أقول لك، وهنا لمسة صوفية، الإنسان غير قادر وغير عـالم إطلاقـاً، الإنسان قادر بالله. لو لم يجعلك الله قادراً فلن تكون، فالقدرة المنسوبة للإنسان مجازيـة ومأخوذة، تجاوزاً، مِنْ الذي هو قادر على كل شيء؟!

هدى وصفي: حتى ولو هو غير مدرِك وغير مُعترِف؟

متى المسكين: حتى لو تجبر واحد وقال أنا قادر بغير الله، نقول له تفضل وارفع هـذا الكرسي، فيحاول رفعه فلا يقدر، هنا يتدخل الله، هل يؤمن أم لا يؤمن؟ والله فعل هـذا كثيراً، الإنسان ليس عنده شيء، هذا تكبُّر وانتفاخ، وهذه كلها سرقة مُباحة، فالله سمح أن نسرق صفاته ونتكبر بها، ولكن لا يوجد إنسان عالم بذاته وقادر بذاته.

عن مجلة أخبار الأدب، الأحد ٢٥ يونيو ٢٠٠٦، العدد ٦٧٦

عن مجلة البلاغة المقارنة 'ألف' العدد ١٢ 'المجاز والتمثيل في العصور الوسطي

جريدة وطني ٢٥ يونية ٢٠٠٦

الملائكي...طائر الحب والتسامح
الأب متى المسكين....وداعاً

بقلم: د. عاطف العراقي
أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

اهتزت أسلاك البرق يوم الخميس- الموافق الثامن من شهر يونية عام ٢٠٠٦م - لكي تعلن في حزن بالغ وأسف لا حدّ له وفاة طائر الحب والتسامح في مصرنا المعاصرة وسائر بلدان العالم شرقاً وغرباً، إنه الأب متى المسكين، والذي كان يعمل في صمت العلماء وهدوء المفكرين، وبعيداً عن الضجة التي يُحدثها أشباه المفكرين، والضجيج الذي نجده عند أنصاف المثقفين، وإن كان أكثرهم لا يعلمون، لأنهم من الأشباه والأقزام الذين يكتبون في كل شيء، دون فهم أو إدراك لأي شيء، ومن هنا كانت ثقافتهم تُعَد جهلاً علي جهل.

لقد أدرك الأب الملائكي متى المسكين خطورة الكلمة، ومن هنا فإنه كان لا يكتب سطراً واحداً إلا بعد الرجوع إلي مئات المراجع بالغة الأهمية، فأثرى المكتبة العربية بالعديد من الرسائل والكتب التي تكشف عن إيمانه بالتسامح الديني والابتعاد عن روح التعصب، وتُرجمت بعض كتبه إلى لغات أخرى، وتفضل مشكوراً بإرسالها إلي.

عشتُ مع كتبه سنوات وسنوات وكتبت عن الرجل في العديد من المناسبات، ومنها الفصل الذي خصصتُه للحديث عنه في كتابي "البحث عن المعقول في الثقافة العربية"، وبعض المقالات في جريدة الأهرام ومجلة الديموقراطية وذلك في مقالة بعنوان: الثقافة القبطية ثقافة التنوير والإنسانية.

أدرك الرجل بثاقب نظرة أن الشعوب لا يُقَدَّر لها الاستمرار والازدهار إلا إذا اتخذت من التسامح دليلاً ومرشداً لها في حياتها الحاضرة والمستقبلة، أما إذا سادت روح

التعصب، فإنها سرعان ما تتفرق وتتشتت وتنتهي إلي زوال، وهل يمكن أن نذكر دير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر، إلا ونذكر معها الدور الرائد والحيوي الذي أدَّاه طوال حياته الروحية المفكر والزاهد والعالم في صمت والإنسان بكل ما تعنيه كلمة الإنسانية من معانٍ سامية ودلالات نبيلة، إنه الأب متى المسكين الذي رحل عن عمر يناهز السابعة والثمانين. إنه الأب الروحي لدير القديس أنبا مقار طوال أكثر من خمسة وثلاثين عاماً (من مايو١٩٦٩حتى تاريخ وفاته في الثامن من شهر يونية من هذا العام،كما أشرنا منذ قليل).

وُلد مفكرنا ورائدنا عام ١٩١٩م، وتخرج في كلية الصيدلة ١٩٤٤م، ودخل عالم الرهبنة عام ١٩٤٨م. وكما بدأ الأب جورج قنواتي بالصيدلية، بدأ الأب متى المسكين بالصيدلة أيضاً.

كان الأب متى المسكين صاحب ثقافة روحية موسوعية، بحيث لا يملك القارئ لآلاف الصفحات التي كتبها طوال حياته، إلا الإعجاب بالرجل الذي عمل في صمت كما قلنا، والإشادة بنموذج الحياة التي اختارها وبعيداً عن ضجيج الدنيا والتكالب علي المناصب الزائلة، وبحيث يبتعد تماماً عن بريق الشهرة والطبل الأجوف، ومن هنا جاءت ثقافته مُعَبِّرة عن كونها فلسفة نورية، إنها تُعَدُّ نوراً علي نور.

حاول طوال حياته، غرس الاتجاه الروحي البعيد عن التعصب في نفوسنا وعقولنا ووجداننا، وما أحوجنا في هذه الأيام التي نعيشها إلي تلك الروح التي أخلص لها مفكرنا الأب متى المسكين، ومثَّل نموذجاً رفيع المستوي للجمع بين النظر والعمل، فحياته هي فكره، وفكره هو حياته، وما أحوجنا أيضاً في تلك الأيام إلي أن تكون أفعالنا معبِّرة عن فكرنا، وذلك بعد أن انتشر بيننا أناس نحسبهم من المفكرين، وهم ليسوا بمفكرين، إنهم أشباه مفكرين لأنهم يقولون بما لا يفعلون، كهؤلاء الذين يهاجمون الحضارة الغربية وإنجازاتها ويكونون في نفس الوقت أكثر الناس استفادة من روائعها.

وكتابات الأب متى المسكين الرائعة والتي كنت وما زلت حريصاً علي قراءتها منذ سنوات بعيدة وحتي الآن، وخاصة بعد زياراتي المتعددة لدير الأنبا مقار ومقابلاتي للأب

متى المسكين، إذ كانت تكشف كما قلت عن موسوعية علمية وفكرية، فإنها تُعَد مُعبرِّة عن كراهية من جانبه للفتنة الطائفية، لقد كتب الرجل طوال حياته آلاف الصفحات المعبِّرة عن جوهر الأديان بصفة عامة، والدين المسيحي بصفة خاصة، الصفحات التي تُعبِّر عن حقيقة نفسه الشفافة المضيئة، النفس التي تسعى إلى تحويل الفكر إلي سلوك وواقع.

لقد جلستُ مع الرجل الملائكي الأب متى المسكين، وحسبتُ نفسي أنني أجلس مع روح شفافة مضيئة وليس مع جسد مثقل بالمادة، إنه الطائر الذي يحلق بنا في عالم الشفافية عالم الضوء الروحاني، وإن كان أكثر الجهال لا يعلمون.

كانت آخر مقابلة لي مع الرجل الملائكي، طائر الحب والسلام، في استراحته الخاصة بطريق مرسي مطروح والتي تبعد عن القاهرة حوالي ثلاثمائة كيلو متر، وكان ذلك منذ شهور قليلة وكان معي- في اللقاء بالرجل- مجموعة من الزملاء والإخوة، وهم علي وجه التحديد: الإذاعي فايز فرح، والصحفية السيدة منى الملاخ، وابنهما، وتلميذا الأديب زكي سالم. جلسنا إليه وحسبنا أنفسنا وكأننا نحلق في عالم السماء، عالم الشفافية، عالم السمو والرفعة. لقد كان لقاءاً تاريخياً وبكل ما تعنيه عبارة اللقاء التاريخي. وقد منعت الظروف الطارئة الباحثة المجتهدة الأستاذة عايدة نصيف والتي تُعِدُّ رسالة للدكتوراه عن فكر الرجل عن أن تلتقي به.

أُعجبت بروحه الشفافة المضيئة والبعيدة عن أدران المادة، أقول هذا رغم اختلافي مع الأب متى المسكين من حيث حقيقة اتجاه كل منا. إن الرجل يؤمن إيماناً راسخاً بالاتجاه الروحاني، وأنا من جانبي لا أرتضي بالعقل النظري المجرد بديلاً، وبحيث أقول باستمرار، إنني مؤمن بالعقل، كافر بكل الاتجاهات اللاعقلية. ولكنك وأنت تجلس مع الرائد الإنسان الأب متى المسكين لا تملك إلا تقدير دفاعه عن الاتجاه الروحاني الشفاف - وبرغم الاختلاف كما قلت - ثم الإعجاب بنمط حياته، الحياة التي أخضع فيها نفسه لنظام غاية في الدقة، لقد كان يعمل بلا كلل ولا ملل أكثر من أربع عشرة ساعة يومياً بين القراءة والكتابة والتأمل.

وهذا يبرر كثرة المؤلفات والرسائل التي تركها لنا والتي لا حصر لها، ومن بينها: حياة

الصلاة الأرثوذكسية، وصوم العذراء القديسة مريم، وفلسفة الموت عند شهداء مصر، وملكوت الله، والمرأة حقوقها وواجباها في الحياة الاجتماعية والدينية في الكنيسة، وإتّباع المسيح وبهرجة الفلسفات، ورأي في تحديد النسل، وقصة الإنسان، ورسائل روحية، ومقالات بين السياسية والدين، وأعياد الظهور الإلهي، وتوجيهات في الصلاة، والوحدة المسيحية في ضوء معني الكنيسة وحقيقة المسيح، والمسيحي في الأسرة، والتوبة، وغاية الحياة المسيحية، والرهبنة في عصر القديس أنبا مقار، والقيامة والصعود، وصوم الرسل ومكانته الروحية في الكنيسة، والشهادة والشهداء، والعمل الروحي، وسفراء من العالم الآخر، والقديس أنطونيوس ناسك إنجيلي، والفضائل المسيحية بحسب الإنجيل، وقصة استشهاد الرسولين بطرس وبولس، والتوبة والنسك في الإنجيل، والصوم الأربعيني المقدس.

هذه نماذج من كتب ورسائل الأب متى المسكين التي تكشف لنا عن اتجاهه الروحاني والذي يُعَد قريباً من اتجاه القديس أوغسطين من عصر الآباء، آباء الكنيسة.

والواقع أن القارئ لهذه الكتب والرسائل التي تركها لنا الأب متى المسكين، يجد نفسه أمام عالم غزير الثقافة، مفكر مثقف، تشغله المشكلات الاجتماعية والثقافية. إنه يمثل المثقف خير تمثيل، فهو لا يقتصر علي مجال من المجالات الفكرية لأنه موسوعي الثقافة كما قلنا، ونراه حريصاً في كل كتاباته علي وصف الداء وتقديم الدواء.

استمع إليه أيها القارئ العزيز وهو يقول في مقدمة كتابه الكبير حياة الصلاة الأرثوذكسية مخاطباً المسيحيين: [إن العالم اليوم متعطش لشهادة إيمان حي بشخص يسوع المسيح، لا ليسمعها ولكن ليعيشها، فالكتب التي تتكلم عن المسيح ما أكثرها، والمعلمون الذين يتكلمون عن المسيح ما أكثرهم أيضاً، ولكن الذين يعيشون مع المسيح ويتكلمون مع المسيح قليلون جداً. والكنيسة لا يمكن أن تعيش علي حقائق إيمان تُدرَس، فالإيمان بالمسيح ليس نظرية بل قوة قادرة علي تغيير الحياة. وكل إنسان في المسيح يسوع لابد أن تكون له هذه القوة، أي يكون قادراً علي تغيير حياته وتجديدها بقوة المسيح] (ص١٠من كتابه الرائع).

هذه كلمات من إنسان يدافع عن دينه ولا يتردد في نقد سلوك أبناء دينه إذا فصلوا

بين العقيدة والعمل، وإنه لا يتردد طوال صفحات كتابه عن حياة الصلاة الأرثوذكسية وأيضاً في كتبه الأخرى وما أكثرها، من التأكيد علي أن العبادات تكون مُعَبِّرَة عن الباطن وليس عن الظاهر أساساً. يؤكد علي القول بأن هدف الفرد الإنساني يجب أن يدور حول الغيرية وحب الآخرين، وبحيث يكون مبتعداً تماماً عن الأنانية والسلوك الذي يُضر بالآخرين. إنه يقول في عبارة غاية في الروعة: "لقد أصبحَتْ لهفة العالم اليوم إلي شهادة إيمان حية صادرة عن نفس لها صلة حقيقية بالله، شديدة للغاية لأنها تفوق في وزنها ألف كتاب عن العقيدة والإيمان والصلاة".

إنه يدعونا إلى التواضع وإنكار الذات، وكم نحن الآن وأكثر من أي وقت مضي، في أَمَسِّ الحاجة إلي غرس هذه القيم في نفوسنا بعد أن انتشرت بيننا ظاهرة تضخم الأنا، وظاهرة الغرور دون أدني مبرر. يقول الأب متى المسكين: "حذار أن تكوِّن فكرة عن نفسك أنك شيء مهم، وأنه لولاك لتوقفت الأمور وتعطلت الأعمال، فتبدو ذاتك في عينيك أنها عظيمة وكبيرة". كما يقول في عبارة رائعة: "من الأفضل للإنسان أن يعيش ميتاً في نظر الناس والعالم ويخلص، من أن يتبوأ أعظم المراكز والخدمات ويخسر حريته وحياته الأبدية، كما أنه أفضل للإنسان أن يُقال عنه إنه جاهل أو ضعيف من أن يكون شُغله الشاغل مديح الأفواه علي المنابر كقوي وعظيم وتكون حياته الداخلية خربة وخالية والظلمة تلاحقه".

والواقع أن الأب متى المسكين، الرجل الذي رحل عنا، قد بذل جهداً كبيراً في التنبيه إلي أهمية القيم الروحية في بلورة سلوك الإنسان، ولا يكون كائناً اجتماعياً إلا إذا كانت المحبة هي عقيدته الكبرى، كما يقول، وهو يثق بالله ثقة مطلقة.

إن هذا يُعَد واضحاً غاية الوضوح في كل الكتب التي قام بتأليفها، ومنها علي سبيل المثال ما كتبه في الفصل السادس من كتابه حياة الصلاة الأرثوذكسية عن ضبط الفكر، وهو يُعَد أروع فصول كتابه، يقول: "من نِعَم الله علي الإنسان سعة الخيال وامتداده حتى إلى ما فوق حدود العالم المادي. فالفكر البشري يستطيع أن يحيط بكل ما علي الأرض ويمتد ليتصور ما في السماء. وقد وهبنا الله هذا الخيال الحي لنتصور به حوادث

الماضي لنحيا فيها ونشترك في بركاتها ونحتاط لأخطائها، فالخيال هو الرباط الذي يربط حقائق الماضي بوقائع الحاضر بأماني المستقبل.

كان الأب متى المسكين حريصاً طوال حياته وحتي اللحظات الأخيرة قبيل وفاته علي أن يقدم لنا مجتمعاً أفضل، مجتمعاً حضارياً، تتمثل حضارته في الداخل أساساً، داخل الإنسان، وليس من خلال الانبهار بالعوامل الخارجية الزائفة، أي بقشور الحضارة. فإذا صلح الإنسان بداخله، فإن الأمة سوف تأخذ طريقها نحو التقدم إلي الأمام والازدهار حاضراً ومستقبلاً، فالإنسان فيما يقول يكون في غاية السعادة والسلام بسبب عناية الله به عناية شاملة من جهة رغباته الجسدية ورعايته في الداخل والخارج وحمايته له ملموسة في كل المواقف، وليطمئن الإنسان تماماً أنه محفوظ بين يدي الله وملحوظ بعنايته وتزداد ثقة الإنسان ويتقوى إيمانه بالله علي أساس الدليل المادي الواضح والبرهان الملموس.

كتب الرجل بروح أدبية وأسلوب مشرق غاية في الوضوح، أسلوب يعبِّر من خلاله عن قلقه تجاه ما يعترض الإنسان في كل زمان وكل مكان من قلق ومعوقات، إنه لا يكون مكتفياً بالحديث عن مشكلات الإنسان، بل سرعان ما يقدم لنا الحلول وأوجه العلاج. إنه يكتب عن الأمل وعن التفاؤل وعن التربية الروحية وكيف يكون الخلاص من متاعب الإنسان.

ودوره بالنسبة لمجلة مرقس (رسالة الفكر المسيحي للشباب والخدام) لا يمكن أن نتغافل عنه. إنه يكتب في كل عدد مقالة رائعة رفيعة المستوي.

ويشاء القدر أن تكون آخر مقالة للراحل العظيم الأب متى المسكين، مقالة في افتتاحية عدد يونية عام ٢٠٠٦ بعنوان: "الروح القدس وانسكاب المحبة". ونجد بنفس العدد الذي صدر منذ أيام، مقالة بالإنجليزية بعنوان: "مع المسيح". لقد صعدت الروح الطاهرة إلى باريها. ولن أنسى ما حييت ما تعلمتُه من الأب الملائكي الراحل متى المسكين، وكم كانت كتاباته مفيدة لي حين شاركت في مؤتمرات السلام التي عُقدت بروما وأسيزا وصقلية ومالطة، لقد استفدت منها استفادة هائلة. كانت كلماته تتردد داخل نفسي، وأنا أتسلم وسام السلام بين الأديان، من البابا الراحل، بابا الفاتيكان، البابا يوحنا بولس

الثاني. وإذا كانت روحه قد صعدت إلي السماء، فإن جثمانه الذي دُفن بدير أبو مقار، الدير الذي يشهد بأياديه البيضاء عليه، سيظل دليلاً حياً وقوياً، ومؤثراً في بلورة أفكار الملايين من الناس شرقاً وغرباً.

وإذا كانت روحه قد صعدت إلي السماء، عالم الخلود والسعادة اللانهائية، فإنني أقول لها: أذكريني، فقد أصبحت الحياة شقاءً ما بعده شقاء، أصبحت الحياة ظلمات فوق ظلمات، وإن كان أكثرهم لا يعلمون.

عن جريدة "الدستور" – الأربعاء ٢١ يونيو ٢٠٠٦م

القديس متى المسكين

بقلم د. زكي سالم
كاتب وباحث في الفلسفة الإسلامية

كتب الأب متى المسكين يصف إنجيل يوحنا، فقال: "بسيط، إعجازي في بساطته، صاف، ليس فيه ما يعكر الفكر، وإن كان فيه ما يحير أعظم العقول، هادئ كهدوء الأبدية! كلماته حية محمولة على الروح، عميقة لا يمكن الوقوف لها على قرار، ترتفع بمن يقرأها كأجنحة سرية في سرعة وسهولة حتى تضعه أمام الله"، وكأن كلامه رؤيا تسلب قارئها وعيه فترة، ثم تتركه وحده ليحكم على نفسه.

وهكذا كانت لغة الأب متى وعظاته، فمن يقرأ كتبه — وقد تجاوزت مائة كتاب — أو يستمتع بما سجله من CDs وشرائط، سيكتشف أنه رجل من أنقى رجال الروح في هذا العالم. إذ يمكنك أن تبدأ في قراءة كتبه، لكنك - عن تجربة - لن تستطيع أن تنتهي منها! فهذا أمر يفوق الزمن، فكلماته ليس لها نهاية لأنه يسلمك إلى ما وراء الحروف والألفاظ، ويقودك إلى تجاوز عالم المادة الضيق إلى عالم الروح الواسع بلا حدود!

فعمل الكلمة عند الإنسان العادي هو الإعلان عما في عقله أو الكشف عن ماهية نفسه، أما كلمة الله فهي استعلان كامل لذات الله ومحبته لمخلوقاته، وهي كذلك استعلان

كامل للحياة الأبدية.

ومعرفة الحق سبحانه وتعالى ليست مجرد معرفة فكرية، لكنها صلة روحية تتجاوز معاني الكلمات وحدود الفهم والتعبير، وهذا هو الارتقاء الفائق الذي وُهب للإنسان المؤمن لمعرفة الله عز وجل، وهذه المعرفة أو الصلة الإلهية تُعَد قوة عظمى وفعلاً محركاً يبدِّل الإنسان ويغير العالم!

وهنا يقول الأب متى المسكين: "ليس من بين جميع ما وهب الله للإنسان ما يضاهي هبة الإيمان"، إذ إن هذا الإيمان هو وحده الذي يمكنه أن يهب الإنسان الفرح الحقيقي وروح المحبة، فيرتقي بالإنسان الحيوان – بتعبير الشيخ الأكبر ابن عربي – إلى الإنسان الكامل.

وما كتبه القديس متى المسكين عن القديس أثناسيوس الرسولي ينطبق عليه – هو نفسه – أيضاً، إذ يقول: "كان يكتب ما رآه وما سمعه من فم الحكمة ذاتها التي أعطته صولجان الفطنة، ليبدد أقنعة الظلمة ليستعلن الله حاضراً في الكون ومتكلماً في إنسان".

هذا هو الراهب العظيم متى المسكين الذي رحل عن عالمنا في هدوء وسلام وسكينة، إنه أحد حكماء مصر الكبار، وهو - كما رأيته – أحد أولياء الله الصالحين، فهذا المسكين وحده قد غلب العالم! ثم ذهب إلى الحياة الأبدية مع المسيح بعد أن ترك كلماته الخالدة لتنير لنا الطريق إلى الحق سبحانه وتعالى.

عن جريدة "الدستور" – الأربعاء ٢١ يونيو ٢٠٠٦م – ص ١٧.

الأب متى المسكين يتحدث عن ألقاب المسيح في ١٩ كتيب

ألقاب المسيح

هاني الأعصر

تُعدُّ كتابات الأب متى المسكين في علم اللاهوت من أهم الكتابات الموجودة، حيث تم ترجمتها للعديد من اللغات منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية.

فالأب متى المسكين الذي قام بكتابة تفسيرات لجميع الأناجيل وبعض رسائل وأسفار العهد الجديد، لم يَفُتْه أن يكتب عن **ألقاب السيد المسيح** والتي جاءت في الكتاب المقدس.

وقد قام الأب متى بكتابة ١٩ كتيباً عن ألقاب المسيح - تُرجِمَت جميعها. ولأنه لم يكن من أنصار الثرثرة، فقد جاءت كتاباته عن ألقاب المسيح مُرَكَّزة، إذ لم يتعدَّ عدد صفحات أي كتيب من التسعة عشر السابق ذكرهم الـ ٣٥ صفحة.

بدأ الراهب كتابة هذه السلسلة في يونيو ١٩٩٣ وكان عمره وقتها ٧٤ عاماً، وانتهى منها وهو في الـ ٧٦ من عمره أي عام ١٩٩٥.

بدأ "أبونا متى" (كما يناديه الجميع) سلسلة ألقاب المسيح بكتيب جاء عنوانه "**ماهية المسيح**"، شرح فيه لاهوت المسيح الذي حدد مصير الإنسان.

وقد كشفت السلسلة بوجه عام والكتيب الأول بوجه خاص مدى "دقة" كاتبه حيث أن استخدامه للألفاظ جاء في منتهى الدقة، بدءاً من عنوان الكتيب وحتى آخر كلمة في السلسلة.

ثم ينقلنا الأب متى إلى **الجزء الثاني من السلسلة** ليتناول لقباً آخر للمسيح هو «**ابن الله**»، حيث يدخل بنا لمنطقة شائكة ليوضح لنا أن هذه الصفة لا تعني البنـوَّة بالمعنى الجسدي، أي أن المسيح لم يكن ولداً لله جاء نتيجة زواج له – حاشا لله –، واستشهد الكاتب في سطوره بالمعجزات التي قام بها المسيح من استخراج شياطين وإقامة أموات

وشفاء مرضى وسيطرة على الطبيعة... إلخ والتي دفعت اليهود لمحاولة رجمه بتهمة التجديف (الكفر أو الشرك)، ولكن المسيح رد عليهم قائلاً: «إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه» (إنجيل يوحنا ١٠: ٣١-٣٨).

وقبل أن يستطيع قارىء السلسلة التقاط أنفاسه كان الراهب المسكين مسرعاً لتقديم أحب ألقاب المسيح لنفسه وهو «**ابن الإنسان**» موضحاً مهمة هذا اللقب حيث اختاره المسيح ليخفي به لقب «**المسيا**» الذي كان اليهود يستخدمونه في تمنياتهم وانتظارهم باعتباره الملك الآتي.

الكتيب الرابع الذي جاء تحت عنوان «**المسيح والمسيا**» تحدث عن صفات المسيا المنتظر في نبوءات اليهود والتي انطبقت على المسيح ولكنها جاءت مخيِّبة لتفسيراتهم الخاصة، واستعان الكاتب ببعض النصوص من الكتاب المقدس، ولكنه استعان بالنصوص مكتوبة باللغة الأصلية (اليونانية) موضحاً المعنى الحقيقي لبعض المفردات في هذه اللغة.

جاء بعدها **الجزءان الخامس والسادس** واللذان حملا عنواني «**المسيح رب**» و«**المحبوب**».

الأب متى في كتابه السابع تحدث عن الأصول الأولى التي نبع منها الفداء والكفارة وهي **حب الله للإنسان** مُستدلاً على ذلك بنص إنجيلي هو «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له حياة أبدية» (يو ٣:١٦).

أما **الكتيب الثامن** «**الخلاص والإيمان**» فيصحح فيه الراهب حقيقة لاهوتية ظلت معكوسة عند أناس كثيرين. فمن أول وهلة يفهم الإنسان أن كل ما عليه هو أن يؤمن بالمسيح. ولكن الإيمان بالمسيح يشمل تصديق أن المسيح مات من أجل خطايا البشر وقام لأجل تبريرهم كما يقول القديس بولس، وأن بهذا الإيمان يتم الخلاص، ولكن لأن الخلاص هو غفران الخطايا والعتق من عقوبة الموت الأبدي وهذا قد أكمله المسيح - للبشر - كهبة مجانية، لذلك فالذي يؤمن، أي يُصدِّق، يحسب الله إيمانه هذا خلاصاً. لذلك فإن الإيمان يأتي بعد الخلاص الذي أكمله المسيح مجاناً ووهبه مجاناً لمن يمد يده ليأخذ، وليس العكس.

أسرع الأب متى نحو **اللقب العاشر** الذي جاء باسم «**رئيس الحياة**» وقدم للقارئ

نوعية الحياة التي يرأسها وهي **الحياة الأبدية**.

«**أنا هو نور العالم**» كانت هذه الكلمات الأربع هي عنوان **الكتيب الحادي عشر** وهو أحد الألقاب التي أطلقها المسيح على نفسه في الإنجيل. ويعود بنا الراهب إلى أصل النص باللغة اليونانية حيث أن كلمة «نور» جاءت مُعرَّفة، أي «النور» لتشير إلى شخص المسيح وليس طبيعته.

أما «**العريس**» **عنوان الكتيب الثاني عشر** فهو اللقب الذي أدهش عقل الأب متى المسكين كما ذكر وخاصة لسببين: **الأول** أنها جاءت على لسان المسيح نفسه، **والثاني** أنها ذُكِرَت في ثلاثة أناجيل ولكن الآيات التي رصدها الكاتب أذابت حالة الدهشة حيث أن المعنَى الذي أراد المسيح أن يوصله إلى البشر هو أنه عريس للكنيسة التي هي شعب المؤمنين والذين سيتحدون مع الله لتكون لنا علاقة مقدسة مستحقة معه.

«**أنا هو الطريق والحق والحياة**» ثلاث صفات أو ألقاب في صفة كانت عنوان **الكتيب الثالث عشر** الذي فسره الراهب بأن المسيح اختار الطريق والحق والحياة حيث أنها المجالات الثلاثة التي جاء المسيح ليفتح أسرارها إلى العالم، وهي في نفس الوقت المجالات التي لا يستطيع أحد فصلها عن بعض، إذ لو تحدث أحد عن المسيح الطريق فهو حتماً طريق الحق المؤدي إلى الحياة.

بعدها ينتقل الأب متى المسكين – فعلاً – ليتحدث عن الجزئين التاليين **الرابع عشر والخامس عشر** وهما «**أنا هو خبز الحياة**» و«**أنا هو الكرمة الحقيقية وأبي الكرام**».

الأب متى المسكين الذي أصر على استكمال سلسلته، ختم السلسلة **بأربعة أجزاء** جاءت بعناوين «**حمل الله**» و«**أنا هو القيامة والحياة**» و«**مشتهى كل الأمم**» و«**أنا هو الراعي الصالح**»، تمكن خلالها هي وسابقتها من أخذ القارئ لندوات كبيرة في كتيبات صغيرة.

يتبقى أخيراً أن نترحم على صدق وإيمان هذا الراهب الذي ظهر في كتاباته التي عانى الكثير بسببها.

رحيل قديس من القرن الرابع!!

بقلم الأستاذ سامي سوس المحامي بالنقض – الإسكندرية

منذ بداية تجديد دير القديس أنبا مقار وأنا أتردد على هذا المكان المقدس. وككثيرين كنت أشتهي لو أنني كنت معاصراً لقديسي الكنيسة وآبائها في عصورها الأولى، ولا سيما قرنها الرابع، الذي كان ومازال نبراساً لنا نهتدي به في طريقنا، مُضيئاً لنا درب حياتنا الأبدية وطريق خلاصنا. وكنتُ أشعر أن هناك رجلاً ليس من هذا الجيل[١٢] بل أبقاه الله لنا لتبقى الكنيسة في عمق روحانيتها وأصالة تعليمها وكمال مجدها في المسيح. فحين تقرأ كلماته تشعر بأنه قد أُعطِي روح أثناسيوس وروح أنطونيوس، الأول في حفاظه علي الإيمان الصحيح وحبه للتعليم، والثاني في تركه العالم بأمواله، وفى الأبوة والتصوُّف وجهاد الرهبنة المسنود على النعمة ورجاء الأبدية في المسيح.

رجل جعل من الأرثوذكسية ديناميكية عجيبة مُعاشة بخبرة حياتية يلمسها كل من يتعامل معه أو يقرأ كلماته،كنت أعرفه عن قرب، جريئاً في الحق يشهد به ويعلنه في كل الأوقات دون أن يخشى من خوف الليل أو من سهم يطير في النهار، بل كان كسيده يعلِّم كمن له سلطان، الذي وإن لم يَرَه الكثيرون إلا أنه تقابل معهم بكتاباته التي صحَّ أن يُقال عنها أنها نفائس وذخائر كنا في أَمَسِّ الحاجة إليها بعد اندثار كثير من كتب الآباء، كما أن الموجود منها لم يُترجَم بعد، فقدَّمه لنا هذا العالم القديس بجهد مضني وسهر وتعب كثير وبذل النفس والحياة من أجل الكنيسة وأبنائها، فكان يُمات كل النهار من أجل أن نحيا نحن حياة الآباء. ففي الوقت الذي لم يكن هناك وسائل معرفة حديثة واتصالات وشبكة معلومات، كان هو يقدِّم لنا وجبة شهية صحية من تعاليم ودراسات إنجيلية آبائية جعلتنا نفخر بآبائنا وأرثوذكسيتنا. فهو زَرَع بالدموع ونحن نحصد بالابتهاج

---

(١٢) حينما كان وكيلاً للبطريركية في الإسكندرية عام ١٩٥٤ قال عنه أستاذ قبطي كان يُحاضر في أمريكا (سنة ١٩٥٤ هو الدكتور عزيز سوريال عطية): ''**هذا راهب من القرن الخامس**''، (عن مجلة مدارس الأحد فبراير ١٩٥٧، صفحة ٣٦).

وندخل علي تعبه وجهده.

هذا الرجل هو الأب متى المسكين مصباح برية شيهيت والذي احترق زيته ليضئ لنا في أيامٍ أقلّ ما يُقال عنها أن النور فيها ظلام، ولكن من أجل مراحم الرب افتقد شعبه بهذا الأب الجليل، والذي يحق لنا أن نناديه بأبي الإصلاح في زماننا. فما قدَّمه للرهبنة القبطية بل وللكنيسة يجعلنا نضعه أحد عمداء مدرسة الاسكندرية اللاهوتية. إنه فيلسوف عظيم قال عنه أحد أساتذة الفلسفة من غير المسيحيين أن أسلوبه في الكتابة يضاهي أعظم فلاسفة التاريخ.

منذ عشر سنوات وقف أمام بابا الكنيسة مُرحباً به، فانسابت منه مشاعر حب حقيقي فياضة عجيبة، فكانت كلماته عذبة صادقة، فعرفتُ وأيقنتُ أن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، ولكنه اختلاف كالذي حدث بين بطرس وبولس وكلاهما رسولان عظيمان، وكالاختلاف الذي حدث بين بولس وبرنابا، وبولس ومار مرقس. بل تذكرت يوحنا ذهبي الفم والبابا ثاؤفيلس اللذين اختلفا والكنيسة اعتبرتهما قديسَين. أنظروا يا إخوتي كم كان حريصاً على وحدة الكنيسة وسلامها، فكان في صمته بليغاً، وكان يرفض أن يدافع عنه أحد، وحتى في وصيته طلب أن يُدفن في صمت. فلْنَسِر نحن أيضا على طريقه محافظين على جسد المسيح.

أبي، إنها لحظات صعبة على النفس أن نرثيك فيها أيها الأب والصديق، أذكرنا أمام العرش الإلهي، فأنت الآن في حضن المسيح له المجد وحضن الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب، ها أنت الآن تجلس مع الآباء الرسل أحبائك ومع لسان العطر القديس بولس، ومع ذهبي الفم يوحنا، ومع أب برية شيهيت مقاره، ومع حامي الإيمان أثناسيوس، هؤلاء وغيرهم يعرفونك وتعرفهم، كانوا وأصبحوا معك. فأطلب لأجلنا ولأجل الكنيسة حتى نعيش بغيرتك وأمانتك كل أيام حياتنا. وعزاؤنا أننا حتماً سنلتقي. فصلِّ من أجلنا يا أبانا العظيم.

أبونا متى المسكين ... الذي أعرفه

دكتور عيسى أ. جرجس
الإسكندرية

بدأت معرفتي بأبونا متى المسكين، هذا الراهب البسيط الذي أبى إلا أن يعيش راهباً ويموت راهباً، عرفته منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي والتقيت به مرات عديدة. وفي كل مرة كنت أخرج مشدوهاً وكأنه أول لقاء لي بهذا الرجل العظيم الذي كان يتكلم من فضلة قلبه بلسان يمجد الله، فلم أعرفه إلا رجلاً من رجال الله الأتقياء القديسين. عاش كل حياته عيشة الرجال فلم أسمع منه كلمة هزار ولا هزل ولا نكتة، و لم ينطق فمه المقدس إلا بالتعاليم الإنجيلية التي عاشها واختبرها ولذلك كان ينطق بها ولا يتحدث بلغة سواها، حتى في كلامه العلمي ترى فيه وتسمع منه عظمة أعمال الله المبهرة في العالم، و لم ينسب لنفسه أي فضل في أي عمل من الأعمال المجيدة التي قام بها. هكذا عرفته وخاصة في أيام مرضه وهو طريح الفراش، كنت أحس في حضرته بأنني أمام عملاق من الجيل الرابع الميلادي، فقد كانت تملأني أحاسيس مقدسة، إذ أن الرجل كله مقدَّس فقد تقدس فمه بالأحاديث السمائية، وتقدست يداه بالكتابة عن المسيا وملكوت الله، وتقدس قلبه بالتكريس الكامل للرب الذي أحبه واختاره منذ طفولته عندما كان في الرابعة من عمره، إذ رأى رؤى العين في آناء الليل رهباناً يزورونه في بيته. وعندما أخبر والديه في الصباح بما رأى لم يصدِّقاه، وعندما شاهدا الشمعة التي كان يحملها الرهبان أثناء الزيارة أدركا أن ولدهما طفل من الله مقدَّس ومُفرَز.

وهكذا سارت مسيرة حياته الطاهرة البتولية في الرب، فلم يكد يحصل على بكالوريوس الصيدلة ويؤكد نجاحه في عمله كصيدلي أمين لمدة أربع سنوات، حتى ترك الكل من أجل الواحد، وأدرك بحسه المرهف الروحي أنه مكرس للرب بل ونذيره، فترهبن في دير الأنبا صموئيل بجبل القلمون. وكان بذلك أول جامعي يسلك هذا المسلك الملائكي واستحق بكل جدارة أن يقود النهضة الرهبانية الحديثة التي أراد لها أن تنهض كما كانت في أجيالها الأولى. وقد عانى في سبيل ذلك معاناة كثيرة ليحقق هدفه المقدس

الذي كرس كل حياته من أجل هذه الغاية السامية لتكون كما وضعها آباء الرهبنة العظام.

وقد أراد الله أن يمحصه بنار التجارب التي توالت عليه الواحدة تلو الأخرى، فتقبَّلها بفرح وسرور و لم يعرف التذمر في حياته، بل بالعكس كان يقود أبناءه الرهبان وتلاميذه ومحبيه إلى الطريق الضيق من محبة العدو ومباركة المضطهد والتخلي الكامل بإرادة قلبية عن كل ما تملك يداه. هكذا عاش أبونا متى برجولة، ولكن مع إنكار الأبناء وعدم وفاء الخلاّن، فلم تُثْنه أية صعوبات عن هذه المسيرة المقدسة، بل تركها وراء ظهره في يد الله، فلم يهتم يوماً بما يُقال عنه و لم يحِدْ عن هذه المبادئ الإنجيلية السامية التي اعتنقها بقوة وعاشها بإيمان كل أيام حياته، و لم تؤثر فيه هذه الأقاويل قيد أنملة عما يعتنق من حق وقوة.

إنني أتساءل ولعل القارئ يتساءل معي أيضاً: هل هناك فرق بين آباء الكنيسة القديسين العظام مثل أثناسيوس وكيرلس وأنطونيوس ومكاريوس وبين أبونا متى فيما تحملوا من أجل رسالتهم المقدسة من آلام؟ ألم يلفظهم العالم واضطهدهم جيلهم؟ وأتساءل أيضاً: هل كتابات أبونا متى عن حياة الصلاة والتدبير الروحي والباراكليت والثيئوتوكوس والرهبنة القبطية والتفاسير الإنجيلية الرائعة تقل في فكرها الآبائي الأرثوذكسي عما كتبه آباء الكنيسة العظام في الأجيال الأولى؟ إن كل هؤلاء الآباء لم تكرمهم الكنيسة في جيلهم ولكن الأجيال التالية لهم أدركت قيمة عظمتهم فكرمتهم حتى جيلنا هذا.

في يقيني إن هذه شيمة الآباء العظام أمثال أبونا متى الذي كرَّمته الكنيسة الجامعة ودرَّست منهجه اللاهوتي أعظم الجامعات اللاهوتية في العالم أجمع. فهنيئاً له أن يكون كمعلمه، فليس التلميذ أفضل من معلمه. ولعله من فخرنا أن نقول إننا عايشنا أبونا متى وعرفناه قديساً وأباً ومحباً ومبرَّراً لدى الله والناس.

دكتور عيسى أ. جرجس
رئيس مجلس إدارة مستشفى فيكتوريا

وطني ١٨ يونية ٢٠٠٦

الأب متى المسكين

فخر الرهبنة ونجم ساطع في سمائها باعث نهضة رهبانية وآبائية

د. ممدوح حليم – القاهرة

رحل عن عالمنا يوم ٨ يونيو الماضي الأب متى المسكين الذي يُعَد من رموز الرهبنة لا في القرن العشرين وحسب، بل عبر العصور منذ أن تأسست على يد عميدها القديس أنطونيوس.

وُلد يوسف اسكندر (اسمه قبل الرهبنة) عام ١٩١٩، وبعد حصوله على البكالوريا (الثانوية العامة) التحق بكلية الصيدلة جامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً) ليتخرج منها عام ١٩٤٤. وكان في شبابه من خدام مدارس الأحد بالجيزة التي كانت أحد المراكز المهمة لهذه الخدمة في ذلك الوقت. وعقب تخرجه افتتح صيدلية مصر في دمنهور، لكن قلبه كان مشتاقاً للحياة مع المسيح.

تتلمذ روحياً على يد الأب مينا المتوحد الذي صار فيما بعد البابا كيرلس السادس، وذلك في كنيسة مار مينا بمصر القديمة. كان زميله في هذه التلمذة سعد عزيز الذي صار فيما بعد الأنبا صموئيل أسقف الخدمات الراحل. ولما تحقق أبوهما الروحي من صدق دوافعهما الروحية، أرسلهما إلى دير الأنبا صموئيل للرهبنة، تمت رسامته راهباً باسم الراهب متى الصموئيلي في ١٠ أغسطس ١٩٤٨. ويُعَد الاثنان أول خريجين من الجامعة يدخلان الرهبنة وأول مدرسين (خادمان) من حركة مدارس الأحد يترهبنان.

حول دوافع رهبنته، كتب في مقدمة مؤلفه الموسوعي " الرهبنة القبطية ..في عصر القديس أنبا مقار" ما يلي:

"إن شغفنا الشديد بالتقليد الكنسي والتراث الأبوي الروحي هو الذي دفعنا للاتجاه الرهباني نستعرض من خلاله الحياة المسيحية كما عرفتها الكنيسة القبطية في عصورها

الأولى، لا في صورة أبحاث لاهوتية أو تأملات في مواضيع كتابية، ولكن في اختبارات حية وعهود محبة عاشها القديسون تطبيقاً مباشراً لتعليم المسيح والرسل والأنبياء، فكانت حياتهم آيات من الإنجيل تعيش وتتكلم " .

كان المسيح هدف حياته، وتطبيقُ وصيته كان غايته، ومن ثم كتب مرة إلى الأستاذ "سليمان نسيم":

" الذي أحب المسيح لا يجعل مع المسيح هدفاً آخر لحياته ولا ينظر إلى أي خطر مهما كان إلا خطر الانفصال عن المسيح... وبالحقيقة يلزم الإنسان لكي يحيا حسب وصية المسيح في هذا العصر أن يكون فيه المسيح ... "أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ".. "الذي يحبني يحفظ وصاياي".

وفي مارس ١٩٥١ انتقل إلى دير السريان حيث رسم قساً. ومن مارس ١٩٥٤ حتى مايو١٩٥٥ كان وكيلاً للبطريركية في الإسكندرية، ثم عاد لديره ليصير أباً روحياً للرهبان وقد تتلمذ على يديه كثير من الرهبان الذين احتلوا مكانة مرموقة في الكنيسة فيما بعد.

عاش فترة مع مجموعة من الرهبان في وادي الريان بصحراء الفيوم (أغسطس ١٩٦٠ – ٩ مايو ١٩٦٩)، ليستقر بعد هذا في دير القديس مقار وإن تخلل هذا خلوات طويلة بالساحل الشمالي.

مؤلفاته

لم يحدث في تاريخ الرهبنة منذ نشأتها أن قام راهب بتأليف هذا العدد الضخم من الكتب التي يبلغ عددها ١٨١ كتابا. أغلب هذه الكتب ذو طبيعة موسوعية مما يجعلها تتأهل لأن توضع في مكتبات كبرى كليات اللاهوت في العالم وأن تكون مرجعاً لرسائل الدكتوراه فيها. إن أبونا متى من أعظم المؤلفين في العلوم المسيحية في القرن العشرين على مستوى العالم.

كان أول مؤلفاته كتاب "حياة الصلاة الأرثوذكسية" (صدر ١٩٥٣) وكان سبباً في

شهرته. عن هذا الكتاب قال المطران جورج خضر مطران جبل لبنان للروم الأرثوذكس : "لأول مرة يتتلمذ الروم على كتاب قبطي".

ثاني مؤلفاته " الكنيسة الخالدة " (١٩٦٠)، وتوالت كتبه. ومنذ أواخر الثمانينات من القرن ال ٢٠، بدأ في تفسير الكتاب المقدس تفسيراً موسوعياً ليشرح أغلب أسفار العهد الجديد وسفر المزامير. إن مؤلفاته هذه توضع جنباً إلى جنب مع مؤلفات كبار علماء الكتاب المقدس العالميين مثل ماتيو هنري ووليم باركلي و بروس وغيرهم. إنها فخر لمصر وللكنيسة القبطية ولرهبنتها، وتضع دير أنبا مقار على خريطة كبرى مراكز البحوث في العالم المسيحي.

تتميز كتاباته بالآتي :

١. **العمق الروحي واللاهوتي في آن واحد.** إنه ابن الرهبنة الناسكة، وسليل آباء الإسكندرية الذين تعمقوا في العلوم اللاهوتية، وهكذا اجتمع في شخصه حلاوة وعمق الكنيسة القبطية ومجدها.

٢. **الانفتاح على فكر الآباء:** ولتحقيق هذا الهدف انفتح أولا على فكر الكنائس الأرثوذكسية غير القبطية مثل منشورات كنيسة الروم الأرثوذكس في لبنان (منشورات النور)، ومؤلفات الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في انجلترا (مؤلفات الأب ليف جيليه وغيره). وقد ساعده على هذا عمق معرفته باللغة الإنجليزية واليونانية القديمة. المعروف أن الأب متى المسكين رجل عصامي ثقف نفسه بنفسه، إذ لم يدرس العلوم اللاهوتية في مصر أو الخارج، لكنه حقق مكانة مرموقة فيها ترقى إلى العالمية كما سبق أن أشرنا.

٣. **الانفتاح على الفكر الغربي** : يظهر هذا واضحاً في تفسيراته للكتاب المقدس حيث رجع فيها إلى مراجع كبار علماء الكتاب المقدس الأوروبيين والأمريكيين.

٤. **الاهتمام بدراسة المخطوطات القديمة المحفوظة في الأديرة** : ويظهر هذا بوضوح في كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية وكتاب رسائل القديس أنطونيوس وغيرها.

عوامل نبوغه:

لا شك في أن الأب متى المسكين أحد نوابغ الكنيسة القبطية في القرن العشرين، وقد كُتب اسمه بحروف من نور في تاريخ الرهبنة عبر العصور. و لم يكن وصوله إلى هذه المكانة صدفة، و لم يكن طريقه مفروشاً بالورود، لكن حياته كانت حافلة بالأمواج والأعاصير لكنه صمد كالصخر.

لعل من أهم أسباب نبوغه ذكاءه الخارق، وقدرته العالية على البحث والدراسة العميقة. لقد استغل هدوء الصحراء ليس فقط في الصلاة والتأمل ، بل أيضاً في القراءة المتواصلة المضنية والبحث العميق، وساعده على ذلك نشاطه الذهني وسعة أفقه وقدرته على الاستيعاب.

ومن أسباب تفوقه قدرته على الجمع بين المتناقضات. كان آبائياً، لكنه استعان بالفكر اللاهوتي الحديث. كان يعشق التقليد الكنسي، لكنه كان تجديدياً ميالاً إلى الحداثة.

وسيبقى الأب متى المسكين علماً من أعلام الرهبنة وعلامة بارزة في تاريخها من خلال فكره ومؤلفاته، ومن خلال تعميره لدير أنبا مقار، وتجديده للحياة الرهبانية وإحيائه للفكر الآبائي. وسلاماً لروحه الوثابة.

لا .. لن يجف قلمك

بقلم: نادية منير

هل يتوقف ذلك السيل المتدفق من الأفكار؟

هل يتوقف ذلك العقل المبحر في أعماق اللاهوت؟

هل يتوقف ذلك القلب المتفجر حباً للكنيسة؟

هل تتوقف تلك المعرفة الفاحصة لكلمة الله بالروح والذهن بل بالكيان كله؟

هل تتوقف تلك الرغبة المتأججة في أن يكون الجميع واحداً في المسيح؟

هل يتوقف ذلك الصدق في التعليم والعمل معاً؟

لأجل كل هذه التساؤلات رفض قلبي وعقلي تصديق خبر نياحة الأب متى المسكين.. كيف يرحل؟ كيف يتوقف كل هذا العطاء الذي قدمه هذا الأب القديس صامتاً وبلا مقابل ودون أى كرامة دنيوية؟

هذا القديس الذي قدم للمسيحية أكثر من ٢٠ مجلداً يتكون أصغرهم من أكثر من ٢٠٠ صفحة ويتجاوز أكبرهم ٨٠٠ صفحة بالإضافة إلى أكثر من ١٥٠ كتابا في موضوعات عديدة روحية وكتابية وعقائدية واجتماعية وتاريخية ووطنية... وبالروح والنعمة التي كُتبت بها كل هذه المؤلفات والكتب يُعد بحق من آباء الكنيسة الأوائل الذين حفظوا الإيمان وسعوا إلى نشر وشرح الكلمة إلى جميع أنحاء المسكونة باذلا حياته في سبيل ذلك. وهذه محاولة ضعيفة لالتقاط قطرات من الأفكار التي جاءت في كتبه ومؤلفاته.

مجلداته:

قدم الأب متى المسكين في هذه المجلدات شرح ودراسة العهد الجديد بأناجيله الأربعة، وأعمال الرسل، ورسائل بولس الرسول، ورسالتا بطرس الأولى ويوحنا الأولى، ومن العهد القديم مجلد "النبوة والأنبياء في العهد القديم"، بالإضافة إلى ٣ مجلدات لدراسة سفر

المزامير.

+ فضلاً عن مجلد "**المسيح حياته وأعماله**" الذي تناول منهجه في الخدمة وطبيعة الكلمة المنزَّهة عن الخليقة (مولود غير مخلوق)، وكيفية تجسد الكلمة، فأسباب التجسد، مُفسِّراً الثالوث القدوس الذي يشمل الأبوة والبنوَّة والروح في الذات الواحدة، ومثَّلها بالذات البشرية الكاملة. فكل إنسان هو أب وابن بآن واحد وهو حيٌّ له **روح** – وبهذه الفكرة تتضح وتفسر لنا الآيات التي ذكرها السيد المسيح عن نفسه وعن الآب «أبي أعظم مني» من حيث قانون الأبوة والبنوة الأدبي الذي يضمن الوحدة والاكتمال والاكتفاء، ولكن حسب الطبيعة الإلهية ليس هناك تفرقة في القوة أو العظمة، فاللاهوت لا ينقسم ولا يتعالى ولا يتعاظم على نفسه.

يسير هذا الكتاب مع المسيح طوال سنوات خدمته الثلاثة مُفسراً ميلاده وأعماله ومعجزاته وأقواله وآلامه وصلبه وموته وقيامته.

+ **وفى شرح سفر أعمال الرسل** الذي توقف عند الإصحاح الخامس عشر تناول الظروف السياسية المحيطة بكتابة هذا السفر وإثبات صحته من خارج ومن داخل السفر وبيان سر الانتهاء المفاجئ للسِفر سنة ٦٢م مع اختفاء كاتبه ق. لوقا الإنجيلي الذي يُرجَّح استشهاده في هذا التاريخ أيضاً، وكذلك توضيح الأغراض التي كتب ق. لوقا سفر الأعمال من أجلها للكرازة باسم المسيح في كل الأرض، وللدفاع عن المسيحية ضد المقاومين اليهود وأمام الولاة والملوك، وللدفاع عن بولس الرسول، وتقديمه للكنيسة وللعالم كرسول مُعيَّن من المسيح مثل باقي الرسل. هذه الأغراض الثلاثة باقية حتى الآن وكأنها وليدة هذه الأيام التي كثرت فيها حملات التشكيك والهجوم على العقائد المسيحية وعلى بولس الرسول الذي يعتبره بعض المهاجمين مُبتدع المسيحية.

+ **وفى مجلد آخر تناول حياة "القديس بولس الرسول وأعماله والفكر اللاهوتي عنده"** مستكملاً خلاله شرح سفر أعمال الرسل ورحلات بولس الرسول التبشيرية. في هذا المجلد تناول مفهوم الخلاص والتبرير في العهدين القديم والجديد والفرق بينهما، وكيف تم الخلاص من سلطان الخطية والموت بذبيحة الكفَّارة على الصليب، مع مقارنة

الكهنوت في العهد القديم بكهنوت السيد المسيح الأبدي. وفى ضوء هذه المقارنة يجمع كل أفكار العهدين لتلتقي جميعها في شخص المسيح، وكأن القارئ يدرس روح الكتاب المقدس كله محاولاً تفسير مقاصد الله الأزلية في حياة الإنسان منذ البدء، ومجاوباً على إشكاليات عديدة انشقت الكنيسة بسبب الاختلاف عليها مثل: هل التبرير بالإيمان أم بالأعمال؟ وذلك بعد أن يشرح معنى الإيمان شرحاً وافياً من خلال العهدين، لنفهم أن الإيمان هو ارتباط داخلي بين الإنسان والله ليُحدث الانتماء الفائق للطبيعة، فيصير الإنسان لله ويصير الله للإنسان، فالإيمان قوة ورجاء وسلام تكونت نتيجة الاتحاد بالمسيح، وهو هبة أو نعمة من الله. أما التبرير فقد كان يعنى في العهد القديم الميزان الذي يوزن به أعمال الإنسان وإكمال واجباته تجاه الله بمقتضى الناموس. وقد انتهى ق. بولس إلى أنه لا برَّ على وجه الإطلاق في الناموس "*فلو أعطى الله شريعة قادرة أن تُحيى لكان التبرير حقاً يتم بالشريعة، ولكن الكتاب حبس كل واحد تحت سلطان الخطيئة حتى ينال المؤمنون الوعد لإيمانهم بيسوع المسيح*" (غل٣: ٢١، ٢٢). فالبر الوحيد هو بالإيمان بالمسيح لأنه ليس بار ليس ولا واحد (رو٣: ١٠، رو٣: ٣٠). أما أعمال الناموس أو الفرائض فهي غير قادرة على التبرير. أما التبرير بالإيمان فيقوم على الخطوات التالية:

دعوة الله من الداخل للقلب والضمير، فإذا قَبِل الإنسان الدعوة وأطاعها، فإن النعمة تسانده وتعطيه شجاعة للشهادة للحق، ثم تتدخل نعمة الله بأكثر قوة لتهب الإيمان كعلامة روحية تربط الإنسان بالله، فيتعرَّف على كل نقاط ضعفه وخطاياه، ويشعر بقوة الانتصار عليها، ثم يدخل في سباق الأعمال الصالحة بقوة خفية هي قوة الإيمان وقوة التبرير، فتسكن النعمة وتتولد الفضائل بعمل الروح القدس في الإنسان الذي هو عامل أساسي في التبرير. وقد أوضح وفَسَّر المشكلة اللاهوتية التي خلقها البروتستانت لأنفسهم والتي كشفتها آيات بولس الرسول في رو٢: ٦-١١: "حين تنكشف دينونة الله العادلة فيجازى كل واحد بأعماله"، وكذلك رسالة يعقوب عن أهمية الأعمال.

نتجت هذه المشكلة عن وضع الإيمان والأعمال في مضادة، أي إظهار وجود تضاد بينهما، وذلك تأثراً من جحد ق. بولس لأعمال الناموس لاعتقاد اليهود أنها وسيلة

للتبرير، فعمَّم البروتستانت عجز الأعمال حتى في الصلاح وفى المسيح، بينما سر عمل الصلاح هو الإيمان وبذلك تكون تزكية الأعمال الصالحة هي تزكية للإيمان.

ولأن أبونا متى مؤمن بكل أسرار الكنيسة الأرثوذكسية فقد استخلصها من فكر ق. بولس، فشرح سر المعمودية وسر المسحة والتثبيت وسر الإفخارستيا وسر وضع اليد وسر الزيجة كما شرح الإدارة الكنسية ودرجات الكهنوت.

ولم يكن أبداً في منهجه أو أفكاره أو كتبه مُنكِراً لقيمة السلوك في الحياة المسيحية، بل كان الإيمان والتجديد أو الخليقة الجديدة مرتبطين ارتباطاً وثيقاً، فالإيمان يعني خليقة جديدة في المسيح تسلك حسب إرادته بكل الصدق مع النفس ومع الله ومع الآخرين، أما التبرير فهو نعمة بدم المسيح الذي يغفر كل الخطايا "*كذلك أنتم أيضاً متى فعلتم كل ما أُمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا*" (لو١٧: ١٠).

أما تناوله لرسائل بولس الرسول التي، كما قال عنها، تقدم رؤية لحقائق الله سرعان ما تمتد بوعي الإنسان وإدراكاته في الإلهيات، فكانت في العهدين لاستقراء خطة الله لخلاص الإنسان.

+ **فحين يشرح رسالة رومية** يغطى منهج الخلاص بما فيه من فداء ومصالحة وبر الله المجاني ونعمة التبني للخليقة الجديدة للإنسان بيسوع المسيح.

وقد قدم هذا المنهج مُثبتاً من نصوص العهد القديم التي كان ق. بولس يحفظها عن ظهر قلب. وقد بلغت اقتباساته فيها ٨٤ نصاً من الأسفار المختلفة. ومن رسائل بولس الرسول يشرح أسباب سقوط الإنسان تحت الغضب واللعنة والموت الأدبي على مستوى نجاسة الجسد وأهواء النفس، والذهن المرفوض، وكشف الناموس لهذه الخطايا جميعاً، دون إمكانية شفاء الإنسان من تفادى عقوبتها، لأن غاية الناموس كانت هي المسيح للبر لكل مَنْ يؤمن (رو١٠: ٤). أما اليهود فأرادوا برّاً ذاتياً لأنفسهم ولم يطلبوا برَّ الله. أى أن الناموس وُضع ليمهد للمسيح، بمعنى أنه لم يوضع ليبقى أو يدوم للأبد، بل كان يعمل لحساب المسيح، حتى متى جاء المسيح توقَّف العمل بالناموس.

ومع مناقشة قضية الناموس يناقش قضية اختيار اليهود واختيار الله إبراهيم قبل أن يستلم موسى الناموس، وذلك بسبب إيمان إبراهيم الذي حسبَه الله له براً. وبذلك صار التبرير والاختيار شريطة الإيمان وليس شريطة الناموس. وبذلك أصبح الاختيار مُتاحاً ومفتوحاً لكل من يؤمن، وصار اختيار اليهود غير نهائي لأنهم رفضوا الإيمان بالمسيح، وغير مانع لغيرهم من الذين آمنوا وقبلوا المسيح رباً.

هكذا يناقش ويُثبت ويُقنع بالكلمة، ومن الكلمة يُقنع القلب والعقل والفكر، بأن كلمة الله المقدسة شاملة وكاملة وقادرة على توصيل الفكر اللاهوتي لإدراك الإنسان.

+ وحينما يشرح **الرسالة إلى العبرانيين** ينفتح أمامه، حسب كلماته: "منهج آخر للاهوت المسيح، وهو أيضاً منهج كامل قادر أن يملأ كل فكرى ووجداني. فعجبت من أمر المسيح كيف أن الفكر مهما اتسع وتعمق لا يمكن الإحاطة به. ولكن النظر إلى المسيح قادر بحد ذاته أن يخلق كل مرة منهجاً جديداً مُعداً لأن يملأ كل فكر الإنسان ووجدانه فأدركت عن يقين لماذا تعددت الأسفار ولماذا تعدد الأنبياء والملهمون."*

كلمات لا يجرؤ أى قلم أن يُخطَّها لأنها صادرة من فكر وقلب رأى المسيح رؤيا العين وحلّق بالروح في كلماته، فلم يستطع ملاحقة الأفكار والمعاني الكامنة فيها والمتدفقة منها.

في منهج الرسالة إلى العبرانيين شرح الصفات الذاتية لشخص المسيح بعمق وسمو لا يجارَى، من خلال شرح طبيعة وعمل الابن، الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره قدَّم نفسه ذبيحة حية مَرْضية تختلف عن ذبائح العهد القديم في قدرتها وأثرها على الإنسان وإتمام عمل الخلاص، كذلك من خلال تفوُّق الابن على الملائكة باعتبار بنوَّته لله.

ويجد أبونا متى ارتباطاً واضحاً بين ظروف كتابة هذه الرسالة وبين واقعنا الحالي، حيث كتب ق. بولس هذه الرسالة إلى اليهود المتنصِّرين الذين أصبحوا موضع اضطهاد وملاحقة من اليهود الذين لم يؤمنوا حتى يشدَّ من أزرهم في ظروفهم الصعبة، بينما نعاني

---

* من مقدمة شرح الرسالة إلى العبرانيين للأب متى المسكين.

نحن في هذه الأيام من انحدار التقوى وانفلات زمام الإيمان (وعلامته: الارتداد) عند الكثير من المسيحيين في كل أنحاء العالم، الأمر الذي يثير التساؤل: "متى جاء ابن الإنسان ألعله يجد الإيمان على الأرض؟ لذلك أطلق أبونا متى على هذه الرسالة: "**رسالة إلى أبناء هذا الزمان**" وكأنه يعيد التبشير بهذه الرسالة لمسيحيي هذا الزمان.

+ أما **شرح الأناجيل الأربعة** فكل منها هو بمثابة رسالة دكتوراه في منهجه البحثي العلمي وفى حجمه وفى قيمته وتأصيله النقدي، حيث يتناول في شرحه لكل إنجيل شخصية كاتبه وزمن كتابته، ومصادره، واللغة التي كتب بها، والدافع إلى الكتابة وأسلوب الكاتب وسماته التي ظهرت في الإنجيل، والنقد الموجَّه إليه من العلماء والباحثين والرد عليه، موضحاً الفكر اللاهوتي في كل إنجيل والموضوعات الخاصة التي ركز عليها كل إنجيلي، ثم شرح تفصيلي للآيات وهكذا يقدم شرحاً أفقياً ورأسياً حسب الموضوعات وحسب الترتيب وحسب الفكر اللاهوتي وحسب الظروف التاريخية المُصاحبة له مع مقارنة للأناجيل توضح مغزى التعدد والتكامل فيما بينها.

+ **وفى محاولة رائعة قام بإطلالة على أسفار العهد القديم من خلال مجلد "النبوة والأنبياء في العهد القديم"** حتى يغلب الزمن والعمر الذي لم يمهله لتكملة إبحاره في الكتاب المقدس. بحث في هذا المجلد مغزى النبوة التي هي استعلان الله للشعب، وقد كمل هذا الاستعلان في تجسد السيد المسيح الذي أشارت إليه نبوات الأنبياء. وفى مقولة رائعة له:

"النبوة يتبعها التاريخ، أى أن النبوة تصنع التاريخ، ولكن التاريخ لا يصنع أمة".

هذه المقولة تردُّ على زعم اليهود بأنهم أمة ذات امتياز أو سيادة تاريخية، لأن النبوة قبل أن تُنشئ تاريخاً تنشئ أخلاقاً وسيرة وديناً وطاعة، هذه المقولة حجة عجز السياسيون عن الوصول إليها.

+ **وفى شرحه للمزامير قدَّم في مجلد "المقدمة"** دراسة للمزامير في المجامع العتيقة، وفى ليتورجيا الكنيسة، ودراسة لأقسامه وموضوعاته وأصحاب المزامير وأنواع المزامير "تسبيح وشكر وحجاج ومصاعد واحتفالات ومزامير ملكية ومراثي وتوسل وحكمة أشعار".

وفى تعريفه للمزامير يقول إنها روح وحياة قبل أن تكون ألفاظاً، فنحن نعيش تحقيق النبوة في المزمور، حيث قال داود في المزمور: «**قال الرب لربي اجلس عن يميني**»، ثم نحن نقول: **وقد جلس الرب (المسيح) عن يمين الله وأجلسنا معه في السماويات**. وبالإضافة إلى دراسة المزامير دراسة موضوعية يدرسها بالمقارنة مع أسفار العهد القديم ليُظهِر التناسق التاريخي والوحدة الروحية في كلمة الله.

+ **وفى مجلد "المعمودية – الأصول الأولى للمسيحية"**. يشرح المعمودية نظرياً وكتابياً وطقسياً وروحياً ولاهوتياً، بالإضافة إلى دراسة شكل المعمودية (جرن المعمودية) في الكنيسة الأولى، فيتناول المعمودية كسرٍّ للخلاص، وقيمة معمودية السيد المسيح التي أعطت الكنيسة المنهج والفكر الضروري لعماد المؤمنين، وبالتالي التبنِّي ومسحة الروح القدس، وقوة المصارعة مع الشيطان، والدخول إلى حياة المسيح والاتحاد به، والتشبُّه به (شبه موته وقيامته). وكان خروج الماء والدم من جنب المسيح ينبوعاً لسرِّي المعمودية والإفخارستيا، حتى تكون الكنيسة قد خرجت ووُلدتْ من جنب المسيح كخروج حواء من جنب آدم. كما يتناول التعليم الذي جاء في الإنجيل وسفر الأعمال والرسائل عن المعمودية، ثم يشرح خطوات الطقس وما فيها من معاني لاهوتية.

+ **ومن عنوان مجلد "الإفخارستيا عشاء الرب.. بحث في الأصول الأولى لليتورجيا، ومدخل لشرح القداس وتطوره من القرن الأول حتى عصرنا الحالي"**، تتضح قيمة البحث التاريخي والطقسي والعقائدي واللاهوتي للكنيسة الأرثوذكسية، حيث يقدم البراهين الكتابية (من العهد القديم ومن التاريخ ومن كلمات السيد المسيح) التي تثبت صحة التقليد الأرثوذكسي. ثم تتتبَّع التطور الذي حدث في نصوص وطقوس وترتيب ليتورجية الإفخارستيا، وأصالة التقليد في مصر من واقع البرديات الموجودة في ستراسبورج ودير البلايزا بالقرب من أسيوط (وهى برديات اكتُشِفَت حديثاً (١٩٠٧، ١٩٢٨))، ولكنها تعود إلى ما قبل منتصف القرن الرابع الميلادي وإلى القرن الثالث الميلادي. يتكون هذا المجلد من ٧٨٤ صفحة بالإضافة إلى ملزمة صور المخطوطات التي يرجع تاريخها إلى القرون الأولى من المسيحية، وتتضمن التسليم الرسولي لصلوات

الإفخارستيا، لتثبت لكل من يحاول التشكيك في العقيدة المسيحية أن تاريخنا محفوظ وغير قابل للتزييف، وأن كنيستنا قائمة على صخر الدهور وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.

+ **لم يترك الأب متى المسكين مجالاً إلا واقتحمه بالبحث والدراسة ليكون مرجعاً لكل مسيحي يسانده في بحثه عن المعرفة، وفى مجلده: "القديس أثناسيوس الرسولي البابا العشرون (٢٩٦ -٣٧٣م) سيرته، دفاعه عن الإيمان ضد الأريوسيين، لاهوته"** الذي يتكون من ٨٥٥ صفحة، يقدم بحثاً تاريخياً شاملاً عن حياة هذا البابا مستعرضاً مجمل أفكاره اللاهوتية والمحاور الفكرية لصراعه مع الأريوسيين (أتباع بدعة أريوس)، الذين كانوا مصدراً لبدع وهرطقات عديدة خالفت العقيدة الأرثوذكسية، حيث وقف الإيمان المسيحي صامداً ثابتاً بقوة الروح التي ساندت آباء الكنيسة، وما أحوجنا اليوم إلى قراءة ومعرفة دفاع الآباء الأولين حماية لأنفسنا وآبائنا من محاولات إحياء هذه البدع التي تنكر المساواة في الجوهر بين لاهوت الآب ولاهوت الابن.

+ **"الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار"** (٨٧٨ صفحة) الذي اعتُبر أكبر مرجع عن الرهبنة القبطية صدر حتى اليوم باللغة العربية، يقدم تاريخ رهبنة شيهيت التي تمثل الخلفية التاريخية التي يتحرك في إطارها التاريخ الكنسي من جهة الحياة الرهبانية وأعمال البطاركة.

+ ونختم الحديث عن مجلداته بأول كتاب كتبه الأب متى المسكين عام ١٩٥٢ وهو **كتاب "حياة الصلاة الأرثوذكسية"** الذي كان المرجع الروحي لأبناء جيل بأكمله، يشرح فيه لهم درجات الصلاة ومعوقاتها من جفاف روحي وفتور وضياع للهدف وكيفية التغلب عليها، يتحدث عن تحرير النفس وتنقية القلب وانسحاق الروح والإيمان والمثابرة والتغصُّب وضبط الفكر والدموع والدهش والهذيذ وغيرها من الاختبارات الروحية الفعلية في حياة الإنسان، يصفها وصف من يعيش فيها فعلاً حيث كشفها الله له بالروح القدس: "***لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله... بل نلنا الروح الذي أرسله الله لنعرف ما وهبه الله لنا***" (١كو٢: ١٠، ١٢).

عندما ظهر كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية كتب عنه المطران جورج خضر من

الآباء الأرثوذكس الروم بلبنان:

"لأول مرة يتتلمذ الروم على كتاب قبطي...". وهكذا يستجيب الكل في المسيح بلا عائق عقائدي لحركة الروح القدس.

الكتب والمؤلفات :

كيف نستطيع أن نُجمل أكثر من ١٥٠ كتاباً تناولت مختلف الموضوعات الروحية للخدام والشباب والرهبان، ولكل من يبحث ويدرس في الموضوعات اللاهوتية والمناسبات والأعياد الكنسية، والتقليد الكنسي، والوحدة المسيحية، والتوبة والجهاد الروحي، وغيرها من الموضوعات الاجتماعية مثل "المرأة: حقوقها وواجباتها"، ودحض فكرة: "الحكم الألفي" الذي يمثل العقيدة الأساسية للمسيحية الصهيونية أو محاولة تهويد المسيحية، وتاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة وكتب ما بين العهدين، والكنيسة والدولة، ومقالات بين السياسة والدين، وغيرها من الكتب التي تشير إلى أن مؤلفها الذي كان متوحداً بالجسد كان يعيش بالروح مشاركاً إيانا كل هموم الوطن والمواطن المسيحي المصري والمسيحي في كل مكان.

+ لن نستطيع الحديث عن كل هذا الامتلاء فهو بعيد عن نطاق إمكانياتنا الضئيلة، ولكننا نقتصر على **كتبه الأربعة الأخيرة "مع المسيح"** وما تركته من انطباعات لدى من يقرأها. منذ أن بدأ كتابتها في عام ٢٠٠٥ تشعر معه بإحساسه بقرب الراحة العليا والموطن السعيد الأبدي، تشعر معه بالتفاؤل والمحبة المتسعة للجميع، تشعر معه بالفرح والنعمة التي يهبها الإيمان بحيث تصبح كل هذه الصفات نسيجاً واحداً يشكل حياة وسلوك المؤمن في العالم الحاضر.

تأتي مقالات هذه الكتب الأربعة كيوميات أو تأملات منفصلة لآيات مختلفة ولكنها تحمل منهجاً متكاملاً لاهوتياً وعقائدياً وروحياً تقرأ معه في هذه الكتب تفسيراً عميقاً لكلمات من الكتاب المقدس، قد نكون كثيراً ما قرأناها دون أن نصل إلى ما فيها من أعماق، قد نعرف مرساة السفن ولكننا لم نفكر كيف يكون السيد المسيح مرساة لسفينة

الخلاص التي دخلناها بالإيمان والمعمودية، وأن هذه المرساة تدخل بنـــا إلى عـــالم المجــد السمائي من الموت إلى الحياة.

تناول الكتاب الأول والثالث آيات من رسائل بولس الرسول **وتناول الكتاب الثاني** آيات من الأناجيل وبصفة خاصة إنجيل يوحنا. لم يكن تناوله لهذه الآيات تكراراً لما جاء في مجلداته التي تشرح الرسائل والأناجيل، بل كانت رؤية جديدة بمثابة من يُلح في طلب انفتاح الذهن للحصول على سر الله وطلب عمل الروح القدس الــذي يضــئ الــذهن فيكتشف الحق الذي في كلمة الله.

في الكتاب الثالث يخصص الجزء الأخير من الكتاب للحديث عن المسيح من هو؟ ما معنى اسمه في العهدين؟ كيف خلّص شعبه من خطاياه؟ ما معنى ابن الله؟ ما معــنى ابــن الإنسان؟ وما هو مجد القيامة؟ تحدث عن هذا كله من واقع أنه مات مع المســيح علــى الأرض و لم يبحث عن حقه في هذه الحياة ولكنه وجد كل الحق في المسيح ومع المسيح، لم يسعَ لنوال كرامة و لم يطلب مقاماً رفيعاً، بل تقبَّل ما حلَّ به مُنكراً ذاته فقــام مــع المسيح، ورأى الجميع واحداً في المسيح لأن المسيح لا ينقسم والروح القدس لا ينقســم ونحن جسده حتى ولو بدا أن هناك انقساماً، فنحن شئنا أو لم نشأ واحدٌ في المسيح الذي يقود ويُقوِّى ويتكلم في القلب ويعمل في الكنيسة.

إن كان يحق لي الاقتباس من مقولة: كل شعب يستحق حاكمه فيمكنني القول أن كل دير (برهبانه) يستحق الأب الروحي له وكذلك رئيسه.

عزاؤنا في نياحتك أن لنا شفيعاً مع المسيح يسأله من أجلنا حتى ننهلَ بــالروح مــن أعماق الكلمة بلا كلل أو وهن.

وأبداً لن يجف قلمك فكلماتك حية في أفكارنا وعقولنا وقلوبنا، وروحــك مــلأت أجيالاً من الرهبان والشباب والرجال، وكتاباتك يتحدث عنها الشرق والغرب..

أبداً.. لن يجف قلمك..

نياحة ركبة منحنية

بقلم الدكتور محب وديع

http://www.fathermatta.com/arabic/moheb.php

الأب متى المسكين أب من طراز نادر في زمن قَلَّت فيه الرُكَب المُنحنية. عاش برجولة وتجرُّد كراهب، حمل الصليب من داخل الكنيسة وخارجها بلا تذمر، ليصل به الروح القدس من خلال هذا الصليب إلى أعماق عالية في المسيح يسوع. كتبه تنبض بالنعمة، سيرته تنبض بالتجرد، تلاميذه يشهدون لمعلمهم. إبحث له عن صورة فلا تجد إلا ما أُخذ قسراً، إذ كان لا يريد إلا أن يظهر المسيح والمسيح فقط. حتى وقت نياحته، طلب ألا يعرف أحد، وخرج جثمانه من المستشفى في الساعة الثانية صباحاً ليصلي عليه الآباء قداساً ليُدفن الساعة الخامسة صباحاً. فلا قيمة لجسده في نظره، إذ لم يُرِد له شيئاً في حياته ليريد له مجداً في مماته. ومَنْ كان حاضراً دفن المسيح بعد أن أنزلوه عن الصليب؟

الأب متى المسكين عاش حياة تجرُّد، يشهد بذلك جبل وادي الريان في الفيوم، حيث حفر السبع الرهبان قلاليهم بأيديهم ليعيشوا حياة تجرد غير مسبوقة في العهد الحاضر.

كتبه تنضح بنعمة لا على مستوى الجدل العقلي ولا على مستوى العاطفة، ولكن على مستوى شرح عميق من الروح القدس للإنجيل والكنيسة والحياة النسكية، فصار مدرسة لمن يريد أن يتعلم معنى الروحانية في الكنيسة الأرثوذكسية.

نأى عن الدفاع عن نفسه ضد كل مهاجميه الذين استغلوا كل طريقة ليزيدوا صليبه ثقلاً. فلم نسمع له دفاعا، حتى أنه كان يوصي من يدافعون عنه أن يصمتوا حتى يتكلم المسيح.

قال عنه واحد من شيوخ الأساقفة **إنه أب من آباء القرن الرابع،** جاء لينبش الآبار ويجدد للكنيسة مياه النعمة.

تلاميذه كثيرون، منهم الأب بيشوي كامل وغيره ممن تتلمذوا على شخصه ومن تتلمذوا على كتبه وعظاته التي صارت نبعاً صافياً للجميع، حتى أن مطران جبل لبنان من الآباء الروم كتب له بعد خروج كتاب "حياة الصلاة": "لأول مرة يتتلمذ الروم على كتاب قبطي..." وهكذا يستجيب الكل بلا عائق عقائدي لحركة الروح حيث اللبن العقلي عديم الغش.

هل من السهل أن تعبِّر الكلمات عن حياة رجل من هذا الطراز؟؟ لا يمكن...!!

والآن دُفِنت حبة الحنطة وماتت، لتأتي بثمر ويدوم ثمرها...

✥ فيما يلي من صفحات ١١٣ – ١٦٤ مقالات كُتبت عن الأب متى المسكين بعد صدور الطبعة الأولى من الكتاب "السيرة الذاتية لحياة الأب متى المسكين» سنة ٢٠٠٦

الأب متى المسكين الراهب والمفكر اللاهوتي
بين التقليد والتجديد

✝

منذ أيام مرَّت ذكرى الأربعين لرحيل الأب متى المسكين المقاري العالم والراهب والمفكِّر اللاهوتي الأرثوذكسي صاحب الاتجاه التجديدي في العالم العربي المعاصر، حيث وجد اتجاهه أصداء في العالم كله لانفتاحه على القضايا الإنسانية العالمية. ويتضح ذلك من خلال مؤلَّفاته والتي بلغت ١٨٠ مؤلَّفاً، من بينها شروحاته للكتاب المقدس وخاصة الأناجيل الأربعة، بالإضافة إلى شرح رسائل بولس الرسول.

فليس من السهل شرح وتفسير الكتاب المقدس بطريقة صحيحة طبقاً لكلمة الله وروح الوحي، لأن ذلك يلزم معرفة دقيقة للُّغة الأصلية التي كُتِبَ بها الكتاب المقدس، بالإضافة إلى معرفة كلِّية بصاحب كل إنجيل أي التوحُّد بفكر وروح كاتب الإنجيل للوصول إلى المعنى الحقيقي.

وهذان الأمران برع فيهما الأب متى المسكين، وقد قدَّم لنا وللكنيسة في العالم شرحاً أكاديمياً وتفسيراً للأناجيل الأربعة، ويُضاف إلى ذلك شرحه وتفسيره لبعض رسائل بولس الرسول، موظِّفاً إيمانه وعقله الثري في شرح وتفسير العهد الجديد بما فيه من لاهوت وعقيدة وتاريخ الأحداث وشخصية المسيح.

ومن باكورة كتب الأب متى المسكين كتابه: ”حياة الصلاة الأرثوذكسية“ – ١٩٥٢، وهو تجميع وافٍ لأقوال الآباء شرقاً وغرباً عن الصلاة وماهيتها وضرورتها ودرجاتها ومعوِّقاتها، وعن نواحي النشاط الداخلي للصلاة. وقاد هذا الكتاب الكثيرين في

حياة الصلاة والتكريس الكامل لله.

وقدَّم لنا الأب متى المسكين شرحاً ودراسة وتفسيراً للمزامير، شرحاً أكاديمياً يلتزم بالفكر الرسمي للمزمور، وهي من مدونات العهد القديم وبها ضياء وخبرات أنبيائه وقديسيه الأوائل. كما لا يمكن أن نغفل كتابات الأب متى المسكين في الموضوعات الروحية العامة على سبيل المثال لا الحصر: "الكنيسة والوحدة المسيحية"، و"غاية الحياة المسيحية"، وغيرهما؛ بالإضافة إلى كتاباته ومقالاته في موضوعات اجتماعية كـ "الكنيسة والدولة"، وتُرجمت معظم كتاباته إلى لغات أخرى: كالفرنسية والإنجليزية والإيطالية والروسية والبولندية والإسبانية واليونانية، ليستفيدَ منها العالم.

ومن المدهش أنه من خلال مؤلَّفاته ودراسة فكره، نجد أن وعي الأب متى المسكين ليس بالدين واللاهوت فحسب، وإنما أيضاً بقضايا العالم المعاصر مع تعويله على نصوص الكتاب المقدس في طرحه لكثير من القضايا التي تخص الله والعالم والإنسان، واستخدامه لآليات الشرح والتفسير والتأويل في عرضه لمفاهيم العقيدة المسيحية، بالإضافة إلى استخدامه للمنهج التاريخي، مقدِّماً لنا لاهوتاً وفكراً مسيحياً يجمع بين التقليد والتجديد. أما من ناحية التقليد فيتمثل في رجوعه واعتماده على مصادر الكنيسة الرسولية التي تأسَّست منذ عهد الرسل، وعلى المصادر الآبائية للكنيسة، على سبيل المثال لا الحصر: القديس أوغسطينوس، ومار إسحق السرياني، وغيرهما؛ بالإضافة إلى رجوعه لمخطوطات الأديرة القديمة.

ذلك من ناحية، أما من ناحية التجديد، فقد قدَّم لنا الأب الروحي متى المسكين رؤية جديدة للاَّهوت المسيحي قوامها روح المسيح منفتحاً لمواصلة الحوار والتكامل مع الآخر المختلف؛ بالإضافة إلى فهمه للدور الحقيقي للرسالة المسيحية التي أساسها المحبة والإيمان والرجاء والسلام.

بالإضافة إلى ما سبق، نجد أن الأب متى المسكين يُجدِّد روح الرهبنة الأولى التي أسَّسها الأنبا أنطونيوس في العصور الميلادية الأولى. وأعاد تأسيس جيل جديد من الرهبان وصل عددهم الآن في دير الأنبا مقار إلى ١٣٠ راهباً، يحملون روح الآباء الرهبان الأوائل التي

تأسَّست على الإيمان. ويُضاف إلى تلك الروح روح الرهبنة المعاصرة في القرن العشرين، والتي تجمع بين الإيمان والعلم، وذلك بتأسيسه لمدرسة رهبانية قوامها الإيمان والالتزام والعلم ليصبح الدير مركزاً أو منارة للنور لكل مَن طلب الإيمان والمعرفة.

فالأب متى المسكين الراهب والعلاَّمة قد خلع رداء هذا العالم منذ تركه لمغريات الدنيا بعد تخرُّجه في كلية الصيدلة سنة ١٩٤٤، وبعد قراره بأن يبيع كل ما يملك وتوزيع ثمنه على الفقراء. و لم يحتفظ إلاَّ بساعته ليتبع المسيح، وفناء نفسه في الصلاة والزهد ليحمل لواء الفكر الديني المسيحي المعتدل. فقد حزنت الأرض على فراقه، وتهلَّلت السماء بمجيئه، فهو باقٍ في قلوبنا وفي قلب الكنيسة المسيحية، باقٍ عالماً ومُفكِّراً وفيلسوفاً في تاريخ الكنيسة وفي تاريخ الرهبنة. فلروحه كل السلام والتقدير والاحترام.

د. عايدة نصيف أيوب
كلية الآداب – جامعة القاهرة

عن: جريدة "روز اليوسف" اليومية
العدد ٣٠٠ – الأحد ٣٠ يوليه ٢٠٠٦

نُشرت في مجلة مرقس، سبتمبر ٢٠٠٦، ص ١٥

كلمة وفاء

+ «مَن هذه الطالعة من البرية كأعمدة من دخان، مُعطَّرة بالمُرِّ واللُّبان، وبكل أذرَّة (عطور) التاجر... مُشرفة مثل الصباح، جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس، مُرهِبةٌ كجيش بألوية... مستندة على حبيبها» (نش ٣: ٦؛ ٦: ١٠؛ ٨: ٥).

في الحقيقة لا أعرف من أين أبدأ الكلام عن سيرة هذا الأب القديس القمص متى المسكين، لأنه لا يوجد في لغة البشر كلام يستطيع أن يُترجم بصدق هذه الحياة القوية الغنية بعمل الله فيها في مجالات عدَّة لا يمكن حصرها أو الإحاطة بها. ولكننا نتكلَّم عن القليل من الكثير مما نستطيعه الآن. وتبقى حياة أبينا متى المسكين فوق كل كلام يُكتب أو يُقال، فهي تحتاج لا إلى مقال أو كتاب، بل ربما إلى مجلَّدات؛ لأنه مَن يستطيع أن يُحيط بأبعاد حياة مثل هذه، كل يوم فيها يحتاج إلى كتب ومجلَّدات.

أول لقاء لي مع قداسته:

كان أول لقاء مع قداسته عام ١٩٧٠ في ديره العامر في رحلة إلى الدير، وكان قداسته قد ابتدأ ببناء قلالي للآباء الرهبان مُلاصقة لسور الدير الجديد الذي بدأ ببنائه لتكون سنداً للسور وحماية له، وكانت خبرته في البناء والتعمير كعادته تماماً في كل مشروعاته، كخبرة أعظم المهندسين وأكبر الشركات في التخطيط والبناء والتعمير. وكانت كل قلاية منفصلة عن الأخرى، وتتكون القلاية الواحدة من حجرتين ودورة مياه كاملة ومطبخ صغير.

وكشاب صغير تجرَّأت متجاوزاً كل حدود آداب الحديث من شاب صغير مع أب من آباء الرهبنة العظام، وربما أكبر من والدي سناً في ذلك الوقت، وقلت له:

- ”ألاَ تعتبر هذه القلالي التي هي أشبه بفيللا صغيرة خروجاً على قوانين الرهبنة؟ ففي الوقت الذي يعيش الناس خارج الدير في سكن متواضع، ربما أكثر من خمسة أفراد (عائلة بأكملها) في حجرة واحدة متواضعة ودورة مياه مشتركة مع باقي السكَّان؛ يعيش راهب

واحد في قلاية كهذه مُحاطة بكل أسباب الراحة''!؟

وإذا به لم يُقابل تساؤلي بالاستهجان أو اللوم، بل سألني: ''ما اسمك''؟ فأجبته. فقال لي: ''أشكر فيك يا ابني شجاعتك''، ووضع يمينه المباركة على كتفي كمَن يحتضنني، وقال لي:

- ''شوف يا ابني أنا لم أبنِ هذه القلالي لكي أُخرِج الراهب عن طقسه، وعن رهبنته، ولكن لكي أوفّر له مناخاً هادئاً يُساعده على المكوث في القلاية لفترات طويلة دون الحاجة إلى الخروج منها، مما يُساعده على تحقيق هدفه من الرهبنة (أن يُغلق باب قلايته على نفسه)، وهذا هو سر قوة الراهب''.

وأضاف قائلاً:

- ''ثم إن الرهبنة هي ارتباط القلب بالله، وهي تبدأ من داخل قلب الراهب وتنتهي إليه، وتبقى القلاية عاملاً مساعداً فقط، وليست القلاية أو حتى المغارة هي التي تصنع الراهب؛ بل نية الراهب الداخلية هي أساس كل رهبنة''!!

فأخجلني بوداعته ومحبته! ثم سألته أن يقول لي كلمة منفعة كأب مختبر للرهبنة والحياة الروحية بكل أبعادها، وفي عمق أعماق أسرارها. فأجابني بعد إلحاح مني وتمنُّع منه:

- ''لتكن الصلاة سنداً لك في كل أمور حياتك، صلِّ بعمق وفهم وعاطفة، وعوِّد نفسك على ما هو ضد نفسك! واذكرني أنا أيضاً في صلاتك''!!

فقبَّلتُ يديه الطاهرتين، وخرجتُ من أمامه منتفعاً، ومتأثِّراً بمحبته ووداعته وأبوَّته العجيبة.

موهبة التعليم والتفسير:

وكما أعطاه الله موهبة التعبير والتدبير، أعطاه الرب موهبة التأليف. فكتبه ومؤلَّفاته بدءاً بكتاب ''حياة الصلاة الأرثوذكسية'' (باكورة مؤلَّفاته) إلى كتب التفسير وشرح عقائد الكنيسة ومناسباتها بأسلوب منفرد ومتميِّز وعميق، وانتهاءً بكتبه الأخيرة في

أجزائها الأربعة "مع المسيح"، و"مع العذراء"، والتي تعكس خبرة حياة رهبانية سامية طوال نصف قرن من الزمان؛ تتميَّز جميعها - بالإضافة إلى التسجيلات الصوتية التي تملأ كل بيوتنا وكنائسنا في الداخل وفي الخارج - بأنها كلها مراجع علمية عالية القيمة، شهد لها الجميع في الداخل وفي الخارج.

وأذكر أنه أثناء خدمتي بكنيسة مار مرقس بشيكاغو بأمريكا من عام ١٩٨٠ - عام ١٩٨٨م، أنه كانت تتردَّد على الكنيسة هناك راهبة تقيَّة من الكنيسة الروسية الأرثوذكسية، وكانت قد قرأت لأبينا متى كتاباً بالإنجليزية عنوانه: The Communion of Love. وكان تعليقها بعد قراءتها لهذا الكتاب مرة ومرات: Fr. Matthew the poor is my hero، وطلبت كتباً أخرى له بالإنجليزية فأعطيتها كتاب: The Orthodox Life of Prayer. وكانت الكنيسة بشيكاغو قد ترجمت بعض مقالاته إلى الإنجليزية.

حقاً لقد أثرى أبونا متى المسكين، ليس الحياة الرهبانية فقط، بل الكنيسة كلها بمؤلَّفاته القيِّمة التي تُرجم الكثير منها إلى لغات عدَّة.

أما عن المجلة التي يُصدرها الدير (مجلة مرقس)، والذي كان يكتب فيها أبونا متى المسكين أكثر من مقال باللغة العربية، غير مقاله باللغة الإنجليزية في كل عدد؛ فهي من أقوى المجلاَّت وأوسعها انتشاراً لخصوبة مادتها، وعمق مقالاتها. فلم يتَّخذها إطلاقاً بوقاً للكلام عن نفسه، أو إنجازاته، أو حتى الدفاع عن نفسه ضد أي اتهام وُجِّه إليه؛ بل كان هدفه الوحيد هو فائدة القُرَّاء فيما يبني نفوسهم ويفيد حياتهم. تاركاً للتاريخ وللزمن - والتاريخ قاضٍ عادل لا يرحم - أن يحكم له أو عليه، تاركاً أموره كلها بين يدي الله الذي له موازين لا تُخطئ أبداً في حساباتها، والذي يحكم حتى على النوايا المستترة والدوافع والخبايا والخفايا، ويُقيِّمها أحسن تقييم، لأن عمل كل واحد سيحكم على صاحبه لأن اليوم (يوم الدينونة) سيُبيِّنه ويحكم عليه الحُكْم العادل (١كو ٣: ١٣).

محافظته على سلام ديره ورهبانه، وإعطاؤه نفسه مَثَلاً في ذلك:

مما يُذكر لأبينا متى المسكين أنه حافظ على سلام ديره وسلام رهبانه، وحفظ للدير كرامته وهيبته وهدوءه. فالزيارات ليست للعبث، بل لأولئك الراغبين بصدق في أخذ بركة هذه الأماكن، بركة القديسين الذين عاشوا فيها ورَوَوْا أرضها بدموعهم ودمائهم الزكية.

كما كان مثالاً يُحتذى لرهبان ديره ولكل الرهبان، فلم يُميِّز نفسه عن أصغر رهبان ديره في حياته البسيطة، ومَلْبسه البسيط، وتجرُّده من حُطام الدنيا ومن أية قنية أرضية. ومما يُذكر عنه أن أحد أبنائه أهداه مجموعة من الأقلام القيِّمة لتساعده في كتابة مذكَّراته، فرفض أن يأخذها وقال لمقدِّمها ببساطة:

- ”يا عزيزي أنت لن تنفعني بهذه الأقلام الثمينة الغالية، فقد تعوَّدتُ على استخدام الأقلام العادية التي في متناول الجميع، لأنه لو افترض أن ضاع قلم من هذه الأقلام الثمينة أو نسيته في أي مكان، ربما يُسبِّب لي هذا الأمر ارتباكاً وضيقاً. أما هذه الأقلام العادية البسيطة، فإنها تؤدِّي نفس الغرض ولا يُسبِّب فقدانها ما تُسبِّبه الأقلام الأخرى من مشاكل“.

وهو بهذا أعطى لنفسه ولهذا الأخ ولأولاده مَثَلاً في التجرُّد والبساطة التي كانت من أبرز صفاته.

اهتمامه بإخوة الرب:

اهتم أبونا متى المسكين بإخوة الرب، عن طريق مشروع مدروس كعادته، لمساعدتهم في كل احتياجاتهم؛ ليعيشوا حياة آدمية كريمة. وقد غطَّت هذه المشاريع الأحياء الشعبية والعشوائية، متجاوزاً بذلك خدمته لرهبان ديره، لتشمل العالم كله الذي كان يحمله قلبه المملوء بمحبته لكل خليقة الله، وهو داخل أسوار ديره.

تكريم الدولة له:

لا ننسى تكريم الدولة له. ففي زيارة الرئيس الراحل أنور السادات (لمحافظة البحيرة) أُعجب بمشاريع الدير الكثيرة ومساهمته في بناء اقتصاد مصر، وقال لأبينا متى المسكين قولته المشهورة: "إن الدولة بكل إمكانياتها لا تقدر أن تعمل ما عملته لديرك ولبلدك".

وأهدى الرئيس للدير ألف فدان وجرار زراعي وحفر بئر لمساعدة الدير في مشروعاته، وذلك تقديراً منه للجهود المبذولة.

صموده وصبره واحتماله:

أبونا الحبيب متى المسكين، شأنه في ذلك شأن كل العظماء من قدِّيسي الرهبنة العظام وروَّادها الأفاضل، واجه الكثير من المتاعب، وتحمَّل العديد من المصاعب والضيقات والحروب في الداخل ومن الخارج؛ واجهها جميعها بقلب أسد، لم يكلّ ولم يملّ ولم يلتفت أبداً إلى الوراء، ولم يُعطِ أهمية لهذه الحروب، ولم يشغل باله بها، ولم يَرُدَّ على أي اتهام من الاتهامات القاسية والظالمة التي واجهها، بل قابلها كلها بقلب أسد وبصبر وإيمان القديسين، وكان يقول دائماً:

- "إن حياتنا أثمن من أن نُضيِّعها في الحرب والصراع؛ بل في العمل الإيجابي الهادف الهادئ".

وعلى الرغم من إنجازاته الكثيرة في مجالات متنوعة ومتعددة، لكن ليس المهم فيما أنجزت يداه، بل في حياته القوية الغنية بعمل الله فيها في كل مكان كان فيه: في دير الأنبا صموئيل، إلى دير السريان، إلى وادي الريان، وفي النهاية في دير القديس أنبا مقار الذي لم يكن فيه يوم استلامه له سوى أربعة من شيوخ الرهبان الذين لم يجدوا حتى القوت الضروري لمعيشتهم، بل كانوا ينتظرون الصدقة من الزائرين. وفي مدة بسيطة، وفي سباق جبَّار مع الزمن، أصبح هذا الدير مناراً للبرية كلها وللعالم كله بفضل همَّة أبينا متى المسكين وقوة عزيمته، وبفضل نعمة الله العاملة فيه وفي أولاده الرهبان.

كلمة أخيرة:

إن كان حبيبنا أبونا متى المسكين قد فارق عالمنا الزائل، إلاَّ أنه لا يمكن للمــوت أن يضع حدّاً أو نهاية لحياةٍ مثل هذه.

استقبال القديسين له:

أقول الحق وضميري شاهدٌ لي، إنني صُدِمتُ بسماع خبر انتقاله وبكيت كثيراً لخسارة الكنيسة والرهبنة الكبيرة بانتقاله، ونحن أحوج ما نكون إليه. وأقمتُ في اليوم التالي قدَّاساً عن راحة نفس أبينا، وهذا أقل واجب وفاء وولاء لرجلٍ أعطى حياته وكل مواهبه الــتي حباه الله بها لخدمة الرهبنة بصفة خاصة والكنيسة بصفة عامة. وتعزَّيتُ في هذا القــداس كثيراً، إذ امتلأ قلبي بكيفية استقبال القديسين له، وعلى رأسهم آباء الرهبنــة العظــام - الذين كان واحداً منهم - والذي استراحت أحشاؤهم به:

القديس العظيم أنبا أنطونيوس، والقديس أنبا مقار أب بريــة شــيهيت، والمقــاران الآخران، وأبوانا الرومانيان مكسيموس ودوماديوس أولاد الملــوك وأولاد أنبــا مقــار، والقديس أنبا موسى الأسود، والقديس أنبا بيشوي البار الرجل الكامل حبيب مخلِّــصنا الصالح، وشيوخ برية شيهيت، والرهبان الذين سبقوه من أولاده الذين تربَّوْا على يديــه. فكيف كان احتفالهم السمائي بانطلاق هذه النفس البارة إلى الفردوس؟!

لقد خرج أبونا الحبيب من العالم خروجاً هادئاً بسيطاً، ولكن السماء عوَّضته عن هذا بالكثير. هو الآن يجني ثمار تعبه، وعرقه، وجهاده، وكفاحه، ودموعه، وصبره، وصموده. وسيُعطيه المسيح إكليله، وأجره، ونصيبه عِوَض ما قدَّمت يــداه مــن خــير للرهبنــة، وللكنيسة، وللعالم كله.

وختاماً:

اسمح لي، يــا أبي الحبيب، أن أُهــدي لك هذا اللحن الــذي تنطبق كل كلمة فيــه على حياتك، لأنــك كنت تحــب كنيستك وطقوسها وألحانها.

هذه الكلمات مأخوذة من لحن ''أبيكران'' وهو لحن يُقال للقديسين في أعيادهم.

✠

❖ اسمك عظيم في إقليم مصر أيها الطوباوي القديس المُكرَّم في جميع القديسين، أبونا الطاهر (القمص متى المسكين).

❖ السلام لقبرك الممتلئ نعمة.

❖ السلام لجسدك الطاهر الذي نبع منه الشفاء لكل الأمراض.

❖ حقاً بالحقيقة حرَّك قلبي تذكارك الجليل.

❖ طوباك بالحقيقة يا أبانا القديس، لأنك رفضتَ هذا العالم الباطل وأمواله الزائلة.

❖ طوباك بالحقيقة لأنك صنعتَ عجائب في ديرك المقدس.

❖ فلنذهب باجتهاد إلى داخل ديرك لكي ننال شفاءً من

Ⲁ ⲡⲉⲕⲣⲁⲛ ⲉⲣⲛⲓϣϯ ϧⲉⲛ ⲧ̀ⲭⲱⲣⲁ ⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ: ⲱ ⲡⲓⲙⲁⲕⲁⲣⲓⲟⲥ ⲡⲓⲁⲅⲓⲟⲥ ⲉⲧⲧⲁⲓⲏⲟⲩⲧ ϧⲉⲛ ⲛⲓⲁⲅⲓⲟⲥ ⲧⲏⲣⲟⲩ : ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ Ⲙⲁⲧⲧⲁ Ⲡⲓϩⲏⲕⲓ.

Ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲉⲕⲙ̀ϩⲁⲩ ⲉⲑⲙⲉϩ ⲛ̀ⲭⲁⲣⲓⲥⲙⲁ.

Ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲉⲕⲥⲱⲙⲁ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ : ⲫⲏⲉⲧⲁϥⲃⲉⲃⲓ ⲛⲁⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲛ̀ϧⲏⲧϥ ⲛ̀ϫⲉ ⲟⲩⲧⲁⲗϭⲟ ⲛ̀ϣⲱⲛⲓ ⲛⲓⲃⲉⲛ.

Ⲁⲗⲏⲑⲱⲥ ⲅⲁⲣ ϧⲉⲛ ⲟⲩⲙⲉⲑⲙⲏⲓ : ⲁϥⲕⲓⲙ ⲉ̀ϧⲣⲏⲓ ⲉ̀ⲡⲁϩⲏⲧ ⲛ̀ϫⲉ ⲡⲉⲕⲉⲣ̀ⲫⲙⲉⲩⲓ̀ ⲉⲧⲧⲁⲓⲏⲟⲩⲧ.

Ⲱⲟⲩⲛⲓⲁⲧⲕ ϧⲉⲛ ⲟⲩⲙⲉⲑⲙⲏⲓ : ⲱ ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ : ϫⲉ ⲁⲕⲉⲣⲕⲁⲧⲁⲫⲣⲟⲛⲓⲛ ⲙ̀ⲡⲁⲓⲕⲟⲥⲙⲟⲥ ⲛ̀ⲉϥⲫ̀ⲗⲏⲟⲩ ⲛⲉⲙ ⲛⲉϥⲭⲣⲏⲙⲁ ⲉⲑⲛⲁⲥⲓⲛⲓ.

Ⲱⲟⲩⲛⲓⲁⲧⲕ ϧⲉⲛ ⲟⲩⲙⲉⲑⲙⲏⲓ : ϫⲉ ⲁⲕⲓ̀ⲣⲓ ⲛ̀ϩⲁⲛϣ̀ⲫⲏⲣⲓ ϧⲉⲛ ⲡⲉⲕⲙⲟⲛⲁⲥⲧⲏⲣⲓⲟⲛ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ.

Ⲙⲁⲣⲉⲛϣⲉⲛⲁⲛ ϧⲉⲛ ⲟⲩ̀ⲥⲡⲟⲩⲇⲏ ⲉ̀ϧⲟⲩⲛ ⲉ̀ⲡⲉⲕⲙⲟⲛⲁⲥⲧⲏⲣⲓⲟⲛ :

أمراضنا، ونجد رحمةً عند الرب.

❖ اطلب من الرب عنا يا أبانـــا الطاهر، ليغفر لنـــا خطايانـــا، وليكن نصيب اثنين من روحك الطاهرة على رهبان ديرك، وعلى كل رهبان برية شيهيت المقدسة، وعلى كل أولادك وما أكثـــرهم في كل مكان.

❖ اذكرنا ولا تنسانا. ذكـــراك العطرة في قلوبنا إلى أن نلقاك.

❖ سلامٌ لروحـــك الطـــاهرة، وسلامٌ لديرك العامر، وســـلامٌ للرهبنة التي تفتخر بك كأحـــد روّادها العظام، وسلامٌ للكنيسة التي أنجبتك.

نُشرت في مجلة مرقس، أكتوبر ٢٠٠٦، ص ٧

ϩⲓⲛⲁ ⲛ̀ⲧⲉⲛϭⲓ ⲛ̀ⲟⲩⲧⲁⲗϭⲟ ⲛ̀ⲛⲉⲛϣⲱⲛⲓ ⲟⲩⲟϩ ⲛ̀ⲧⲉⲛϫⲓⲙⲓ ⲛ̀ⲟⲩⲛⲁⲓ ϧⲁⲧⲉⲛ Ⲡϭⲟⲓⲥ.

Ⲧⲱⲃϩ ⲙ̀Ⲡ⳪ ⲉ̀ϩⲣⲏⲓ ⲉ̀ϫⲱⲛ: ⲱ ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ: ⲛ̀ⲧⲉϥⲭⲁ ⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓ ⲛⲁⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗ: ⲟⲩⲟϩ ⲙⲁⲣⲟⲩϣⲱⲡⲓ ⲛ̀ϫⲉ ⲙⲉⲣⲟⲥ ⲥ̀ⲛⲁⲩ ⲉ̀ⲃⲟⲗϧⲉⲛ ⲡⲉⲕⲡ̀ⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉⲧⲧⲟⲩⲃⲏⲟⲩⲧ ϩⲓϫⲉⲛ ⲛⲓⲙⲟⲛⲁⲭⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲉⲕⲙⲟⲛⲁⲥⲧⲏⲣⲓⲟⲛ: ⲛⲉⲙ ϩⲓϫⲉⲛ ⲛⲓⲙⲟⲛⲁⲭⲟⲥ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓϣⲁϥⲉ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲛ̀ⲧⲉ Ϣⲓϩⲏⲧ: ⲛⲉⲙ ϩⲓϫⲉⲛ ⲛⲉⲕϣⲏⲣⲓ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲉⲧⲟϣ ϧⲉⲛ ⲙⲁⲓ ⲛⲓⲃⲉⲛ.

Ⲉⲕⲉ̀ⲉⲣⲡⲉⲛⲙⲉⲩⲓ̀ ⲟⲩⲟϩ ⲛ̀ⲛⲉⲕⲉⲣⲡⲉⲛⲱⲃ: ⲡⲉⲕⲙⲉⲩⲓ̀ ⲉⲧⲥⲁⲧⲏⲟⲩⲧ ϥ̀ⲙⲏⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϧⲉⲛ ⲛⲉⲛϩⲏⲧ ϣⲁⲛ̀ⲧⲉⲛⲧⲁϩⲟⲕ.

Ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲉⲕⲡ̀ⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉⲧⲧⲟⲩⲃⲏⲟⲩ: ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲉⲕⲙⲟⲛⲁⲥⲧⲏⲣⲓⲟⲛ ⲉⲑⲙⲉϩ ⲛ̀ⲱⲛϧ: ⲭⲉⲣⲉ ϯⲙⲉⲧⲙⲟⲛⲁⲭⲟⲥ ⲉⲧϣⲟⲩϣⲟⲩ ⲙ̀ⲙⲟⲕ ϩⲱⲥ ⲟⲩⲁⲓ ⲉ̀ⲃⲟⲗϧⲉⲛ ⲛⲉⲥⲛⲓϣϯ ⲛ̀ⲓⲟϯ: ⲭⲉⲣⲉ ϯⲉⲕⲕⲗⲏⲥⲓⲁ ⲉⲧⲁⲥϫ̀ⲫⲟⲕ.

المُحب لكم دوماً

ابنك / شنودة الأنبا بيشوي

نيو جيرسي - أمريكا

من انطباعات واختبارات قارئ لكتابات الأب متى المسكين

الأب متى المسكين أبٌ لي

لستُ ممَّن يتشيَّعون لفئة مسيحية ضد فئة أخرى لأني أرى في هذا تقييداً لحريتي. و لم أقصد أن أَتعرف بالأب متى المسكين كمعلِّم لي من باب الخروج عمَّا يألفه عوام الناس. فلقد ذهبتُ ذات مرة لزيارة المرحوم حلمي صديقي، وبعد أن أكلنا وجبة شهية وأودعني سلامة الله، ترك معي مجموعة من الكتب الصغيرة وشريطاً كان هو بداية تعرُّفي على هذا الصوت المُميَّز، والذي لم أعرفه من قبل. أخذتُ الشريط واستمعتُ إليه. وكثيراً ما تَـرِد إليَّ الشرائط من هنا ومن هناك ممَّن يرغبون في دعمي في إيماني المسيحي، وقد كانـت نقلتي هذه نقلة كبيرة من خارج المسيحية إلى المسيحية برحابها المتسعة ومسيحها الرأس.

– وأنت عندما تسمع عظة للأب متى المسكين (وهو لا يحب أن يرى نفسه واعظاً، بل إنساناً له عِشرة بالمسيح، ويأخذك خطوة خطوة إلى أن يصل بك للمسيح وجهاً لوجه)؛ تجد أن تعليمه مختلف. إنه لا يُقدِّم لك نصائح وإرشادات، لأنه مـا أكثـر الواجبـات والفرائض التي يُلقِّنها المعلِّمون لمُريديهم، بل هو يأخذك ويقف بك بهدوء أمام وجه المسيح وحبه المتدفِّق، وكأنه يُميط حجاباً من نوعٍ ما جانباً فتنكشف لك هذه الأمور المحجوبة، فترى ما لا عينَ رأت ولا أُذن سمعت ولا خَطَر على قلب بشر (١كو ٢: ٩)، بل ترى ما قاله الرب لمرثا: «إن آمنتِ ترين مجد الله» (يو ١١: ٤٠).

– عندما تسمع الأب متى المسكين، تشعر (وقد انتقلتُ أنا نقلة جذرية من دين الآباء والأجداد الذي فُطِرتُ أنا عليه) بحب شديد يغمرك ويأخذ بمجامع قلبك تجاه هذا المسيح الذي يُحدِّثك عنه الأب متى وتقول: أريد هذا المسيح، أريده الآن. وتـذهب خارجـاً كطفل يجري هنا وهناك، أو كمثل هذا الابن الضال الذي يهرول للقاء أبيه فتخرَّ أمـام المسيح ساجداً صارخاً: ربي وإلهي. كل هذا والأب متى المسكين يقف جانبـاً في بـراءة الطفل ويُشاهد حب الله يتدفق وكأنه المحيط، يتدفق دفقاً في قلب المؤمن: «لأن محبـة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطَى لنا» (رو ٥: ٥).

- كنتُ أهَيَّب الأرثوذكسية وأخشى أن تكون رِدَّة من دين تركته إلى دين جديد أستبدله بها. ولكن بقراءة كتابات الأب متى المسكين وسماع عظاته، عرفتُ أن الأرثوذكسية ليست ديناً، ولكن هي دعوة لمعرفة الإله المتجسِّد حتى ما نصير نحن أبناءَ وبنات الله. وهذا هو امتياز "التأليه" كشركاء الطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٣،٤).

- أمام الأب متى المسكين الكاهن الأرثوذكسي لن نخشى أن يتهمنا أحد بتهمة الجمود، لأن الطقس هنا يصبح مكشوفاً بكل رموزه العميقة المكتنزة بالمعاني، ونعرف أن إيماننا ليس مسائل حسابية، ولكنه مليء بالإشارات والدلائل ذات المعاني العميقة. وفي كل ممارسة طقسية نجد سرَّ المسيح مُخبَّأً. وعلينا أن نسعى مبتهجين لكشفه أو هو بالأحرى يكشف لنا عن نفسه بنفسه في السرِّ.

- والمسيحية هنا هي مسيحية سرائرية حيث الجملة الواحدة في بساطتها التي يفهمها أي طفل، هي أيضاً مُركَّبة وذات أكثر من بُعد واحد. عندها نعرف أن إيماننا المسيحي ليس مجرد "عقائد" و"أركان إيمان"، بل هو "إيمان سرائري"، كله أسرار يهمس فيها صوت المسيح بقوله: «الذي يحبُّني يحبه أبي وأنا أُحبه وأُظهر له ذاتي» (يو ١٤: ٢١). هنا المعرفة قائمة على وجود الحب أولاً، وبدون الحب لن نعرف أسرار الإيمان. فالإيمان المسيحي هنا ليس فرائضَ إيمان بل هو "سر الرب" الذي هو لخائفيه.

- أيضاً أبهرني الأب متى المسكين في حبِّه الصادق والواثق للمسلمين، وشتَّان بين الحب عن ثقة وصدق النفس، والحب عن مبدأ "مُجَبرٌ أخاك لا بطل"؛ لا تملك أمامه أن ترى الناس بتقسيمات عقائدية هذا إلى الجنة وذاك إلى النار، بل ترى الخليقة كلها مشمولة في حب الله الأزلي الأبدي وجميعهم «ذريته» (أع ١٧: ٢٩). هنا يُستعلن خلاص المسيح للجميع، بأن يُعلِن النور عن ذاته. والنور هنا يقوم بعمله دون حاجة إلى أبواق وصراخ الوعَّاظ وحسب، بل على المؤمن عندئذ أن يثبت في اتحاده بالمسيح والمسيح يجذب الناس إليه.

- تعلَّمتُ منه أن المسيحي الحقيقي يُطبِّق حرفياً وصايا المسيح، فهي ليست لزمن غابر تحتمل المجاز، بل هي وصايا حرفية. فعندما يُطلَب منا أن نصفح، فحتى وإن لم نشعر بالصفح، فهذا إلزام لنا وعلينا وإلاَّ بقينا في الظلمة الخارجية حيث البكاء وصرير الأسنان. عندها نفهم جيداً معنى انتصار الصليب، وأن نغلب ذواتنا، كما يؤكِّد في تعليمه، وإلاَّ

فكلامنا عن قيامة المسيح وغَلَبته يصبح مجرد شعارات فارغة.

– عند الأب متى المسكين، النسك ليس جهاداً فردياً، بل هو جهاد النعمة، كما علَّم القديس مار إسحق السرياني. فكما أن الخلاص بالنعمة، فالجهاد يكون أيضاً بالنعمة. وعندها علينا أن نذكر ما قاله لي ذاك القبطي العجوز: ''يا بُنيَّ اجمد فيه، وهو هايجمِّدك فيه''. لا نتكل في جهادنا على مفهوميتنا أو محاولاتنا الفردية، بل الرب نفسه يعمل فينا، والرب نفسه يُصلِّي فينا بروحه، والرب نفسه يُجدِّد إنساننا الباطن العتيق.

– مع الأب متى المسكين أحببتُ الإنجيل وأردتُ أن آكله أكلاً، وأقرأه مراراً وتكراراً، فأجد أني أمام ''غَمْرٌ يُنادي غَمْراً''، وأمام كلامٍ أبعاده عميقة بلا حدود، وفيه صوت الرب لبطرس: «(يا بطرس) ابعد إلى العمق» (لو ٥: ٤).

– مع الأب متى المسكين لن نقرأ الآية ونقف عند المعنى الظاهر لنا، بل سنجد المسيح أيقونة الآب يكشف لنا وجه الله الجميل فيها، فنريد من خلال الآية أن ندخل قلب المسيح ونُقيم هناك. كم أنا شاكرٌ أَنْ تكرَّم صديقي ''روماني'' وأكرمني في إعطائه لي مجموعة ''أقراص مُدمجة'' (C.D) لجميع عظات الأب متى المسكين. ويا للعار فإن هذا الكنز عندي بينما لا أغترف منه من يومٍ إلى يوم، أو من أسبوع لأسبوع. ولا عجب أن يتبع ذلك قحط روحي وسلوك جسداني.

– نحن بحاجة إلى معلِّمين ومرشدين مثل الأب متى، حتى ما يأخذوا بيدنا إلى المسيح مباشرة، فنتعلَّم أن ننتصر على غضبنا، وأن لا نثأر لذواتنا، بل ليكن شعارنا دوماً كما قال الأب متى في تفسيره لرسالة أفسس مقتبساً آية إشعياء النبي: «حقِّي عند الرب» (إش ٤٩: ٤). وحَسْبُنا إله كهذا، وهو نفسه كفاية جميع حقوقنا وما نريد.

– هذا الرجل (الأب متى المسكين)، على مثال المسيح، لا يُفكِّر مجرد تفكير أن ينشق بل يخضع خضوع المسيح الكامل لِمَن اضطهدوه وأحرقوا كتبه وازدروا بها، متحدِّثاً بكل احترام وحب ووقار لِمَن يرأسوه، ولآبائه في الرهبنة.

فعرفنا أن المسيح حقاً هو خضوع التواضع، لا غطرسة الاعتداد بالذات وردِّ الصاع بمثله، مما يؤدِّي للشقاق والانقسام. والمسيح يضم كنيسته إلى وحدته السرِّية مع أبيه.

نُشرت في مجلة مرقس، أكتوبر ٢٠٠٦، ص ١٣

تيموثاوس إبراهيم

timothyabraham@hotmail.com

من انطباعات واختبارات قارئ لكتابات أبينا الروحي القمص متى المسكين

ظل يتمخض طوال حياته لكي يتصوَّر المسيح فينا

مقتطف من رسالة وصلتنا في البريد الإلكتروني، ننشر مقتطفاً مناسباً منها مع بعض التعديلات الطفيفة.

... أما عن تعاليم الأب متى المسكين، فسأُخبركم عن خبرتي الشخصية من قراءتي لكتابات قدسه، التي من الواضح أنه كان يُصلِّي كثيراً لكي تُصاحبها قوة الروح القدس. فأريد أن أُعلِمَكم أنني بفضل هذه الكتابات:

١ - بعد أن كنتُ أُمارس الطقس بطريقة آلية، ولا أرى فيه أية فاعلية، بل مجرد فروض موضوعة؛ فإذا بي بعد قراءتي لكتابات الأب المتنيح متى المسكين أرى الطقس وكل ممارسات الكنيسة قوة حيَّة فاعلة مُغيِّرة. لقد استطاع بكلماته أن يُريني أن جسد المسيح ودمه اللذين كنتُ آخذهما في التناول بـ "الإيمان المفروض"، أصبحت آخذهما بإيمان حي، فأرى المسيح له المجد متجسِّداً بجروحه وآلامه ودمه المسفوك من أجلي. أصبحت أتعامل مع سرِّ التناول بحب واحترام حقيقي، ليس خوفاً ولا رعباً، ولكن حباً وتقديراً لجروح المُحب الذي مات من أجلي.

وهكذا صارت كل أسرار الكنيسة قُوى مُغيِّرة، وليست طقوساً صمَّاء، كما كنتُ أرى قبل ذلك. بدأت أشعر بعمل الروح القدس في كل صلاة أُصلِّيها من صلوات الكنيسة التي كنتُ أُردِّدها من قبل دون وعي، أشعر بقوتها وفاعليتها وإلهام الروح القدس فيها. لقد استطاع الأب متى المسكين أن يُخرِج الطقس من الجمود ليصبح مكشوفاً برموزه العميقة المليئة بالمعاني الحيَّة المتحرِّكة لتُعطي لنا سرَّ المسيح، فعرفتُ كيف تكون علاقتي بالمسيح سرائرياً أي من خلال الأسرار.

٢ - باتِّباعي منهَجَه المُلهَم بالروح القدس في التعرُّف على أصول العقيدة الأرثوذكسية

الأصيلة الخالية مِمَّا هو دخيلٌ عليها في إطار الحب والاحترام للآخرين؛ أصبح إيماني بأرثوذكسيتي راسخاً هادئاً، وأصبحتُ قادراً على الدفاع عنها أمام الآخرين في ثقة ومحبة وبدون تعصُّب، مما يجعل الآخرين أكثر احتراماً واقتناعاً وقبولاً لها.

٣ - كان من تأثير تعاليمه أنه زرع القدرة في داخلي على الفصل بين الطقس وبين القائمين عليه، وقد لا نرى أهمية لذلك، ولكن هذا الأمر جعلني أكثر ثباتاً في ممارساتي الكنسية وفي علاقتي بالرب، فأصبحتُ لا أرفض الطقس بالرغم من عثرات بعض القائمين عليه، وأصبحتُ بنعمة الرب أكثر قدرة على الاستمرار في شركتي مع الرب بالرغم من عثرات بعض الذين يخدمون بالكنيسة. والدليل على ذلك أنه بالرغم مِمَّا يظهر من تعاليم البعض وسلوكهم من عثرات، إلاَّ أنني سأظل أرثوذكسياً مُحِبّاً لكنيستي، مُسبِّحاً عابداً وشاكراً لمسيحي، ومُحبّاً للجميع ملتمساً لهم الأعذار.

٤ - على عكس ما يدَّعي البعض، فإن إعلانات الأب متى المسكين في كتاباته عن محبة الرب وعن فدائه الكامل وكفاية كفَّارته، وعن يقينية واستمرارية شفاعة المسيح الكفَّارية عن خطايانا؛ أقول إن هذه التعاليم - بما زرعته في قلوبنا عن مقدار محبة الرب يسوع له المجد - جعلتني أكره الخطية أكثر ألف مرة من التخويف بإله العصا. بل إن تعاليمه جعلتني أحس بمقدار شناعة الخطية وأرتعب من التفكير فيها؛ بل وأحس بوطأة أثرها، ليس في فقدان خلاصي فقط، ولكن أيضاً في انطفاء الروح القدس فيَّ، وهذا أقسى ألف مرة من الموت نفسه.

لقد استطاع الأب متى المسكين بالنعمة المعطاة له أن يُرسِّخ فينا المسيحية، ليس كدين أو عقيدة أو مِلّة أو هويَّة، ولكن كشركة وعلاقة شخصية مع الرب له المجد. وهذه هي معجزة المسيحية التي لم تستطع كل الديانات والفلسفات أن تصل إليها. هذه هي معجزة المسيحية المُغيِّرة للحياة والسلوك بدون فرمانات أو فرائض أو حرمانات أو قرارات قطع.

لقد استطاع بالنعمة المعطاة له من الرب أن يجعل ما قاله بولس الرسول: «لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلاَّ يسوع المسيح وإيَّاه مصلوباً» (١كو ٢: ٢)، واقعاً مُحقَّقاً في حياتي وحياة كل مَن قرأوا له. فأصبح الجميع يسعى لكي يكون المسيح هو الكل في الكل، فلا

ينبهروا لِمَن لهم صورة التقوى مهما كان منصبهم وسلطانهم، ولا يُعثروا بسبب تعصُّبهم وعلو ذواتهم. نعم، فالرجل ظل يتمخَّض طوال حياته لكي يتصوَّر المسيح فينا. وقد كافأه الرب بما طلب وتصوَّر المسيح في مئات بل آلاف مِمَّن تعلَّموا على يديه، والذين هم الآن في عيني الرب الأمل والرجاء في أن تخرج الكنيسة مَن كَبْوَتها التي تسبَّب فيها المتعصِّبون المتشنجون الذين أخذوا كرسي الدينونة من الرب له المجد.

٥ - لقد أعطاه الرب نعمة تكلَّم بها عن الجهاد في الحياة المسيحية، بأن يجعل هذا الجهاد واجباً ممكناً سهلاً، لأنه ليس جهاد مَن يتكل على إمكانياته أو تدريباته النسكية، ولكنه جهاد مسنود بنعمة الله، جهاد النعمة. فكما زرع في قلبي - ومن كلمة الرب - أن الخلاص هو بالنعمة، كذلك زرع في قلبي أن تتميم الخلاص هو بالجهاد، وهذا الجهاد هو بالنعمة. فأصبحتُ أُجاهد جهاد الواثق في النصرة، المطمئن على الأبدية. ولهذا بدَأَتْ إخفاقاتي تنزوي، لأنه: «إن كان يتكلَّم أحد فكأقوال الله. وإن كان يخدم (يجاهد) أحد فكأنه من قوة يمنحها الله» (١بط ٤: ١١)، «كي يكون الله الكل في الكل» (١كو ١٥: ٢٨).

لقد استطاع الأب متى المسكين بنعمة الله - وعلى عكس ما يدَّعي البعض - استطاع في تفسيره لكلمة الله أن يجعل الإنجيل أرثوذكسياً، أي أن يُلبِس الإنجيل ثياب الأرثوذكسية، حتى أني تصوَّرتُ في وقت ما أن المسيح له المجد كان أرثوذكسياً، أرثوذكسياً حقيقياً مُحِبّاً للعالم كله، مُحِبّاً للأعداء والخطاة والساقطين والمختلفين معه.

بفضل تعاليم الأب متى المسكين، تصوَّرتُ المسيح أرثوذكسياً لا يزدري بأحد، ولا يدين أحداً، لا يتفاخر ولا ينتفخ ولا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي. لقد استطاع الرجل في تفسيره للإنجيل أن يُعيد للأرثوذكسية ما فقدته من حب واحترام وريادة أمام الآخرين، الآخرين الذين بسبب ما رأوه في واجهة الكنيسة تصوَّروها جامدة منغلقة متعصِّبة؛ فإذا بها - بفضل كتابات الأب متى المسكين - ديناميكية حيَّة فعَّالة، تستمد حياتها من حياة مسيحها، المسيح الذي وصفه الأب متى المسكين بأنه راعي الكنيسة وأُسقفها (كما ورد في رسالة بطرس الرسول الأولى: «رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها» - ١بط ٢: ٢٥)، مما أثار عليه حفيظة مَن يعرفون أو لا يعرفون الكتب.

مدحت عياد

القديس متى المسكين وصولجان الحكمة

✥

الفلسفة والحكمة:

نعرف أن كلمة ''فلسفة'' في أصلها اليوناني تعني ''محبة الحكمة''، وهذه الحكمة هي أعظم ما في هذا العالم كله! ففي القرآن الكريم: ''ومَن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً''.

والآن اسمح لي، يا صديقي القارئ، أن أسألك: كم عدد الحكماء الذين سبق لك أن رأيتهم طوال حياتك؟ وربما من الأفضل لنا أن نتواضع ونسأل: هل سبق لك خلال رحلة حياتك أن التقيت إنساناً حكيماً؟

الحقيقة أن تجربتي الشخصية تُثبت لي صحة وصدق مقولة الفيلسوف الألماني شوبنهور، إذ يقول: ''قلّما يوجد في الدنيا غير الحمقى''. فالعثور على حكيم في هذا الزمان، أو غيره، أمرٌ في غاية الصعوبة! لكننا يمكن أن نستعيض عن عدم وجود الحكماء بالنظر في كتبهم وكلماتهم.

وفي أثناء بحثي وراء الحكمة، قررت بعد أن أنهيت دراستي في الجامعة، أن أعود إليها مرة أخرى لكي أدرس أُم العلوم دراسة منهجية أكاديمية.

ومن خلال سنوات طويلة من الدراسة والبحث عثرت على عدد قليل من الفلاسفة الحكماء! فليس كل الفلاسفة حكماء، ولا كل الحكماء فلاسفة! فالفلسفة نَسَق فكري متماسك يرتبط كل جزء منه بالآخر بلا تناقُض ولا تعارُض، أما الحكمة فهي نظرة ثاقبة مباشرة تصل إلى جوهر الحقيقة! بالإضافة إلى أن مباحث الفلسفة ومشكلاتها كلها أمور نظرية، في حين أن الحكمة عملية وليست نظرية، فهي التطبيق الصحيح للنظرة السليمة. ومن هنا كانت الإشارة القرآنية إلى السيرة النبوية باعتبارها ''الحكمة''.

وقد قادتني دراسة الفلسفة، أو البحث عن الحكمة، إلى الدراسات الصوفية، إذ تذوَّقت بشغف كلمات المتصوِّفين المدهشة، تلك التي تُعبِّر تعبيراً فذّاً عن خبرة الحياة الإنسانية، وحكمة الوجود البشري.

والتصوُّف يمكن أن تنظر إليه باعتباره الجانب الأعمق من الدين، أو الجانب غير الطقسي! فالدين شريعة وحقيقة، والتصوُّف هو هذه الحقيقة التي تدور حولها البحوث الفلسفية.

وفي كل دين من الأديان ترى هذا الجانب المتجاوز للطقوس والعبادات، وهذا لا يعني رفضها، ولكنه يعني عدم الاكتفاء بها.

وإذا نظرنا إلى تاريخ الرهبنة القبطية كمصدر مهم للتصوُّف المسيحي، سنرى عدداً كبيراً من الرهبان الحكماء والقديسين الأبرار في تاريخ الكنيسة المصرية. وفي عصرنا الحديث يبرز أمامنا الراهب العظيم متى المسكين بقامته الروحية العالية ونتاجه العلمي الغزير.

فلنتأمل معاً بعضاً من كتابات عالم روحاني واسع الثقافة، بعيد العمق، غزير المعرفة، شديد التسامح، ثاقب الرؤية، خبير في حياة الرهبنة. فإلى كلمات القديس متى المسكين ودراساته العميقة.

الكنيسة القبطية:

تُعدُّ الكنيسة المصرية سبَّاقة على كل الكنائس في عالم الروحيات. فإنجيل القديس مرقس - كاروز الديار المصرية - أول إنجيل دُوِّن على الورق، وفي عاصمتها الإسكندرية قامت أول مدرسة لاهوتية تعليمية في العالم، قادها أعظم اللاهوتيين على مدى خمسة قرون، فأغنت الدنيا بمؤلفاتها القيِّمة.

وفي أول مجمع مسكوني جمع أساقفة العالم الثلاثمائة والثمانية عشرة، ليُحدِّد نصّاً حرفياً مُلزِماً لقانون الإيمان الرسولي، ترأَّس المجمع أسقف الإسكندرية البابا ألكسندروس وعن يمينه شماسه أثناسيوس وبقية أساقفة مصر العلماء، ليقودوا الجلسات ويُحْكِموا الخناق على

المرتدِّين عن الإيمان. وهكذا أملت الإسكندرية نص أول قانون للإيمان على كل كنائس الدنيا، لا يزال إلى الآن يتلوه كل مسيحي مهما كانت عقيدته: "نؤمن بإله واحد".

فمصر بمزاجها الروحاني حفظت التقليد الرسولي من جهة الإيمان بالمسيح منذ القرون الأولى بصورة عملية وبإيمان حي ملتهب، ومارَس شعب مصر، من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، جوهر الإيمان المسيحي بسرِّ الفداء والحب بصورة تفوق كافة أرجاء العالم.

مصر مهد الرهبنة:

يُعرِّف الأب متى المسكين الرهبنة بقوله: "إنها الحياة السرِّية مع المسيح"، إذ أن المعرفة وحدها لا تُخلِّص، ولا الفهم الجيد ينفع شيئاً إذا لم يكن للإنسان سيرة مقدسة عملية داخلية.

ويقول: "لم يُعطِ المسيح تعاليمَ نسكية مُفصَّلة أو محدَّدة، لكنه مارس العمل النسكي بصورة نموذجية، لكي يرتفع بالنسك إلى مستوى صميم الحياة الجديدة للإنسان الجديد".

والراهب كما يصفه القديس متى: صدر مفتوح يتقبَّل كل أخطاء الناس. يوحِّد ولا يُفرِّق، يعيش شهيداً كل يوم، فدائي الإيمان المسيحي كإيمان النبي إبراهيم الذي خرج من أور الكلدانيين وهو لا يعلم إلى أين يذهب! فلقد خرج ليذهب مع الله إلى الله في المكان الذي يختاره الله!

وهذا الخروج للنبي إبراهيم يُعَدُّ نموذجاً لاستجابة مُبكِّرة في الإنسانية لغريزة العودة إلى الله، حين يترك الإنسان العالم بهمومه، ويتفرَّغ للحياة الأبدية! والراهب لا يخرج من العالم، وإن بدا له ذلك، بل هو في الحقيقة خرج بالعالم إلى الله!

فالإنسان - كما يرى القديس متى - خُلِقَ وحيداً في الأصل ليعيش مع الله! والدير ما هو إلاَّ موضع للصلاة الدائمة واكتساب الحكمة. فالراهب لم يَدْعُهُ أحد إلى الرهبنة، بل الله! فينجذب الراهب وهو في حال عجيب من الدهش الإلهي المستمر، ويتوغل في سفره إلى الله، فتحلُّ به قوة سرِّية بدلاً من حياته الجسدية، فيكتشف وحده كل أسرار الطريق!

وفي صحراء مصر الممتدة شرقاً وغرباً تكوَّنت منذ القرن الثالث جماعات رهبانية مُنظَّمة ذات قوانين أخذت عنها جميع أقطار الدنيا. فمصر أَمْلَتْ على العالم مبادئ النسك والعبادة بحسب الخبرة الإنجيلية. وقد انتشر نظام الرهبنة القبطية في بلاد العالم شرقاً وغرباً.

المعرفة الإلهية:

يرى الأب متى المسكين أن الإنسان مخلوقٌ إلهي، وقد استودعه الله قسطاً وافراً من حكمته، ولأن الله صنع الخليقة أيضاً بحكمته، لذلك فإن الإنسان يستطيع كل يوم أن يستكشف هذه الحكمة، ليس لأنه إله، ولكنه يكتشفها بالحق الذي في جوهر عقله. فالحكمة يُدركها الحكيم، أما قصور وعي الإنسان عن إدراك الإلهيات ورؤيتها، فسببه أنها قد أُخفيت عنه إلى أن ينفتح وعيه فيُدركها من نفسه. فإن أدركها صار شريكاً فيها لأنها أُرسِلَتْ له وجاءت من أجله.

وثمة حقيقة تاريخية بخصوص تأثُّر المسيحية بمنجزات الفكر اليوناني، فما وضعه كل من أفلاطون وأرسطو من اصطلاحات لاهوتية لاستيعاب الفكر البشري للصفات والأعمال الإلهية، أو الحق كما استطاعوا أن يستشفوه من وراء تصوُّر الآلهة؛ هذه الاصطلاحات والتعبيرات صارت هي القاعدة اللغوية والفكرية التي تشرح حركة الفكر في محاولته الاقتراب من الحقائق العُليا، واعتُبِرَت أنها تمثِّل قواعد اللاهوت الطبيعي، واستطاعت المسيحية أن تصبَّ فيها حقائقها وتعبيراتها اللاهوتية الدقيقة. فالفكر المسيحي اللاهوتي قد اغتنى كثيراً بنتاج الفكر الفلسفي ولغته.

وإذا نظرنا إلى علم المنطق الذي برز على ألسنة الفلاسفة والسفسطائيين من خلال خطبهم ومحاوراتهم، نرى أن هذا السلاح ذاته تم استخدامه بمهارة للدفاع عن وحدانية الله واللاهوت المسيحي.

السعادة:

إذا كان ثمة شيء يمكن للبشر جميعاً أن يتَّفقوا عليه فهو السعادة باعتبارها الهدف النهائي للإنسان في هذا العالم. ولذلك نرى أن غرض الدين والفلسفة والحكمة هو الوصول إلى السعادة القصوى والكمال الذي يمكن أن يبلغه الإنسان. في حين أن الغالبية

العظمى من البشر يسقطون صرعى في بئر الشقاء والتعاسة والحرمان! فكيف يتخلّص الإنسان من هموم هذه الدنيا ومتاعبها؟

يُجيبنا أبونا متى المسكين قائلاً: "إن السقوط في الشعور بمرارة الحرمان من مقوِّمات السعادة الوهمية والكرامة النابعة من المظاهر الخارجية، هو في الحقيقة انعكاس صادق أو رد فعل غاية في الوضوح يُعبِّر عن فداحة الخطأ والخسارة التي وقع فيها الإنسان عندما أعطى ظهره إلى مقوِّمات السعادة الداخلية بعمقها الأبدي وغناها الذي لا يُحدُّ داخل الإنسان، أي أن السقوط في مرارة الشعور بالحرمان هو في الحقيقة عقاب مباشر، يظل يُلاحق الإنسان دون أن يدري ليس بسبب حرمان زائف، بل بسبب فقدانه للرؤية الحقيقية للسعادة الحقيقية".

فالإنسان يقع عبداً للرغبة في الارتفاع فوق الآخرين ويسعى لجمع المزيد والمزيد من ماديات الحياة، دون أن يُدرك أن هذه "الرغبة في المزيد" لا يمكن أن تقف عند حدٍّ لتُحقِّق له القناعة أو الرضا بالواقع! إذ أن هذه الرغبة الملتهبة في المزيد هي في جذورها هبة كيانية غُرست في طبيعة الإنسان لتُناسب نموه في اللانهائيات، لا لتنحصر في المحدود من الزائلات. فهذه الرغبة التي لا تنتهي ولا تشبع ولا تقف عن حدٍّ، جديرة حقاً بما هو للإلهيات.

وهذه هي البصيرة الروحية التي تنير للإنسان طريقه، فيُدرك حقيقة أنه لن يتمكن أبداً من أن يُحقِّق سعادته وهو هارب بعيداً عن خالقه سبحانه. وهذا هو ما يؤكِّده لنا القديس متى المسكين بقوله: "سوف يتأكَّد العالم كله، في لحظةٍ ما، أنه من المستحيل أن يسعد الإنسان بدون الله".

نُشرت في مجلة مرقس، يونية ٢٠٠٧، ص ١١

د. زكي سالم
باحث في الفلسفة الإسلامية

zakisalem@myway.com

أبونا متى المسكين
كاتب وشارح إنجيلي مُبدع

****✝****

لا يَسَعْ كل مَن يطَّلع على كتابات الأب متى المسكين - بشكلٍ عام - إلاَّ أن يلمس حبه للكتاب المقدس ودرايته الواسعة بسرِّ المسيح المُعلَن فيه. أما ما كتبه عن الكتاب المقدس وحده فيُشكِّل موسوعة روحية فكرية علمية أدبية متكاملة، لم يُنتِج ما يُناظرها على مستوى التاريخ إلاَّ قليلون. ولعل واحداً من كتاباته الصغيرة في حجمها والفريدة في محتواها هو كتاب: "كيف تقرأ الكتاب المقدس". هذا الكتيب الصغير قدَّم خبرة عملية تحمل القارئ للتلامس مع عمق معرفة المسيح في الكتاب المقدس. وفيه يُجنِّب القارئ متاهة الدخول في حب المعرفة للمعرفة في حدِّ ذاتها، أو المعرفة من أجل التعليم؛ بل فيه يُقدِّم خبرة فريدة تدخل مباشرة وبشكل عملي بالقارئ إلى حضرة الله من خلال الكتاب المقدس، مما نلمس فيه ونشعر بروح وسِمَة الكتابة في رسائل القديس أنطونيوس.

إن كان هذا هو محتوى كتابه الصغير جداً، فماذا يمكن القول عن كتبه العملاقة التي يشرح فيها أسفار الكتاب المقدس؟ يكفي القول أن كتابه: "شرح إنجيل القديس يوحنا" (بمقدمته وجزئيه) كان مثار إعجاب ومنفعة الكثيرين، حتى أنه اجتذب ثلاثة من كبار الكُتَّاب المتربعين على عرش الأدب العربي في مصر، هم: الدكتور جابر عصفور، والدكتور نصر أبو زيد، والدكتورة هدى وصفي. فعند قراءتهم لجزئَي الكتاب لم يسعهم إلاَّ أن يطلبوا اللقاء مع المؤلف حتى يستزيدوا من الفكر العميق لهذا العملاق. وبعد اللقاء سجَّلوا انطباعهم هكذا:

[ومن حق الرجل علينا أن نشهد له بأنه مُحاوِر من الطراز الأول، يُجيد الاستماع والإنصات بالقدر الذي يُجيد به التعبير عن نفسه بهدوء وثقة وتواضع في الوقت نفسه. إنه تواضع العلماء وثقة الواصلين وهدوء أهل اليقين. فقد استمع إلينا وتفاعل معنا، طامحاً أن

يصل بنا إلى عالمه، ويرتفع بأرواحنا إلى ذُرَى يقينه. لقد كان سَعْيُنا للحوار مع الرجل نابعاً من احترام عميق لشخصه ومن إدراك لأهمية إنجازاته الفكرية التي توَّجها بشرحه لإنجيل يوحنا في مجلَّدين كبيرين. وكانت عودتنا بعد الحوار عودة الظافرين بحصادٍ لم نكن نحلم به، فقامة الرجل - شخصاً وإنجازاً وتواضعاً - أعلى من كل تصوُّراتنا].

بصفة عامة، تتميز كتابات الأب متى المسكين بالموسوعية، فبقدر ما فيها من الزَّخْم[1] الروحي والغِنَى الفكري، فهي أيضاً تحتوي على أحدث الاكتشافات والآراء العلمية من ناحية التاريخ والجغرافيا والجيولوجيا والأركيولوجيا والأنثروبولوجيا وعلوم المخطوطات والعلوم الاجتماعية... إلخ.

أما كتاباته الإنجيلية فتعرض لاهوتاً أرثوذكسياً، حتى لا يسع القارئ إلاَّ أن يرى الكتاب المقدس كتاباً أرثوذكسياً بالدرجة الأولى. وبقدر ما تحمل كتاباته الإنجيلية من تعاليم الآباء، بقدر ما تحوي الكثير من آراء علماء الكتاب المحدثين والقدامى على مدى التاريخ. كل هذا يُقدِّمه في قالب روحي مُبدع من خلال رؤيته الشخصية المُتيَقَّنة من حقِّ الإنجيل.

فكتاباته هي حصيلة لقراءة آلاف الكتب، وذلك مَدْعاة للتعجُّب: كيف يمكن لفرد واحد في زمن عمره المحدود قراءة واستيعاب وتحليل كل هذا الكمِّ الهائل من الكتب، ليُقدِّم هذا الإنتاج الضخم! وبسبب تمكُّنه من اللغات الأصلية للكتاب المقدس والمعاني الدقيقة للكلمات اليونانية والعبرية القديمة، استطاع أن ينقل فكر الكتاب المقدس باللغة العربية بحسب النصوص الأصلية، وبالمعنى الذي قصده الكاتب. ولاستيعابه الكامل للتاريخ العام والخاص ولكل الظروف التي كُتِبَ فيها النص، صارت كتبه تُجسِّد الحقائق الإنجيلية، وتُبرزها حيَّة أمام القارئ. وبذلك مَنَحَ جيلنا السعيد فرصةً ليقرأ الكتاب المقدس باللغة العربية، وكأنه يقرأه بالمعنى واللغة الأصلية للكتاب.

(١) الزَّخْم: أي الدَّفْعُ الشديد.

كتابات الأب متى المسكين ليست مجرد مُحصِّلة لكتب قرأها. فكتاباته ليست مجرد معلومات أو كتابات علمية تُغني الفكر والمعرفة فقط، بل كتاباته تتدفق أولاً من روحه قبل فكره، وتحوي اختباره الشخصي لأسرار الكتاب المقدس الذي اغْتَرَف من ينابيعه الفيَّاضة حتى تفجَّرت في نفسه أنهار ماء حي فاضت بغِنَى في كتبه. لم يكن دافعه من قراءة آلاف الكتب إلاَّ ليُشبِع روحه العطشى جداً لمعرفة المسيح، حيث وجد هذه المعرفة في كل ما هو حق. فليس كل مَن يقرأ هذه الكتب يستطيع أن يُنتج ما أنتجه أبونا متى، إلاَّ من فيض الروح والحكمة الإلهية.

كتاباته الإنجيلية تتَّسم بالمنهجية الواضحة المعالم. فلا تخلو صفحة واحدة من كتبه إلاَّ وفيها استعلان لأسرار الخلاص التي تحقَّقت في المسيح يسوع، المُقدَّمة لكل فرد بلا شروط. وبينما يُقدِّم في كتبه حديث الخلاص لكل واحد بصفة شخصية، فسرُّ المسيح يجمع الكل في "الكنيسة الخالدة"، هيكله الملوكي، مبنيين فيه كحجارة حيَّة «لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٣٠)، وحاضرين فيه أمام الآب عن يمين العظمة.

ومن خلال التنويع في أساليب الكتابة، استطاع أبونا متى أن يُغطِّي الكتاب المقدس كله بعهديه، شرحاً وتفسيراً وتأمُّلاً ودراسةً، في فترة عمره المحدود. لذلك فبعض كتبه تحوي دراسة كتابية عامة. هذا النوع من الكتب قدَّم فيه دراسة وافية لأجزاء كبيرة من الكتاب المقدس التي لم يُسعفه الوقت لشرح كل كلمة فيها. من هذه الكتب، كتاب: "النبوَّة والأنبياء". هذا الكتاب الصغير نسبياً في حجمه، يحوي دراسة كاملة لكل أسفار العهد القديم. ولا يسع القارئ إلاَّ أن يعجب لِمَا في هذا الكتاب من معلومات وافية عن العهد القديم كله. ففيه من معلومات غير متوفرة بأي كتاب آخر باللغة العربية، ولستُ أظن أن هناك كتاباً واحداً يمكن أن يجمع هذا الكم من المعلومات في مثل هذا الحجم الصغير نسبياً. ومن عنوان الكتاب نستطيع أن نفهم أنه يحوي رؤية إنجيلية للعهد القديم، فهو "نبوة الأنبياء" عن الخلاص الذي بالمسيح يسوع، سواء في الناموس أو الأنبياء، سواء في كتبه التاريخية أم في كتبه الشعرية.

وله كتاب آخر عن العهد القديم، يُعتبَر مُكمِّلاً لكتاب "النبوَّة والأنبياء" من الناحية التاريخية، هو كتاب: "تاريخ إسرائيل". هذا الكتاب بقدر ما هو بسيط وسلس في أسلوب سرده، بقدر ما يحوي تحليلاً علمياً دقيقاً لتاريخ إسرائيل. وهو يربط ما بين الكتاب المقدس وأحداث التاريخ بدقة، مما يُظهِر واقعية أحداث العهد القديم ويضعها في موقعها من التاريخ العام. ومن أهم أبوابه تاريخ إسرائيل بعد السبي البابلي وحتى مجيء المسيح. فهذا الجزء يحمل تسلسلاً منطقياً لتاريخ إسرائيل، بكل ما فيه من خير وشر، مما يوضِّح مفهوم المسيَّا الذي كانوا يتوقعون مجيئه، وبذلك يُفسِّر أسباب رفض يهود عصره، ما عدا الأقلية التي آمنت به، للمسيح كمسيَّا إسرائيل. كما يُوضِّح كيف أعدَّت أحداث التاريخ كل البشرية لظهور المسيح يسوع مُخلِّص العالم.

أما الكتاب الوحيد من العهد القديم الذي قام بشرحه كلمة كلمة فهو كتاب: "**المزامير**" الذي صدر في أربعة أجزاء كبيرة. ومما لا شكَّ فيه أن كتاب المزامير له منزلة خاصة بين كتب العهد القديم، إذ يحوي كل مواضيع الكتاب المقدس، كما قال عنه القديس أثناسيوس (في رسالته إلى مرسيلينوس) إنه: "الكتاب المقدس داخل الكتاب". ففيه النبوَّة والتشريع والحكمة والتاريخ. وأكثر من ذلك، فهو كتاب الصلاة الفريد الذي كان موضعاً للاستخدام الليتورجي سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد، سواء في الصلاة الجماعية أو الفردية، أو في التسبيح داخل الهيكل والمجمع (في العهد القديم) وفي كنيسة العهد الجديد. لذلك وجد أبونا متى في دراسة هذا الكتاب بالتفصيل وشرح كل كلمة فيه، أهمية كبيرة. فمن خلال هذه الدراسة قدَّم رؤية متكاملة للعهد القديم، خاصة الجانب اللاهوتي النبوي والجانب الميستيكي التعبُّدي.

ونعود إلى النوعية الأولى من كتبه العامة لنستكملها بعد أن قطعنا تسلسل حديثنا عن هذا النوع من الكتب، بحديثنا عن كتاب "المزامير"، حتى نستوفي كتاباته في العهد القديم.

أبدأ بكتاب صغير نسبياً، وهو من روائع كتبه العامة عن الكتاب المقدس، وهو كتاب: "**كلمة الله: شهادة وخدمة وحياة**". هذا الكتاب يحوي ثلاثة فصول، كما هو واضح من

عنوانه. بعد مقدمة شيقة ومُشوِّقة يبدأها بعبارة جميلة، إذ يقول: ''كلمة الله مجالٌ حيٌّ يلتقي فيه الإنسان مع خالقه سرّاً وفي هدوء. لذلك فبقدر ما نقترب من الكلمة نقترب من الله، وبقدر ما نعيش فيها نعيش معه''. وبعد هذه المقدمة، هناك ثلاثة أبواب هي على التوالي: ''الشهادة للكلمة''، و''خدمة الكلمة''، ثم ''الحياة بالكلمة''. ومن خلال الأبواب الثلاثة يُقدِّم منهجاً كاملاً للحياة الروحية من خلال ''كلمة الحياة'' الحية والمحيية للنفوس.

ومن كتبه العامة عن الكتاب المقدس، كتاب: "**المسيح: حياته وأعماله**". هذا الكتاب لم يكتبه ليستعيض به عن شرح كل كلمة مثل كتاب: ''النبوَّة والأنبياء''، بل كتبه بعد أن استوفى شرحاً لكل كلمة في الأناجيل الأربعة مستوفياً للجوانب اللاهوتية والتاريخية، مع تحليل لآراء الآباء وكبار العلماء لكل إنجيل. وبعد أن استوفى الإنجيل دراسةً وشرحاً، وجد أن هناك فراغاً يلزم أن يملأه للربط ما بين الأناجيل الأربعة.

وبالرغم من أن في شرحه لآيات كل إنجيل كان يقارن بينه وبين الأناجيل الأخرى، إلاَّ أنه بعد أن أكمل العمل لَزَمَ أن يُقدِّم قصة واحدة مسلسلة متكاملة عن حياة المسيح وأعماله، حتى يُسهِّل استمرارية المتابعة لأحداث حياة المسيح. والكتاب موضوع في هيئة مقالات صغيرة متتابعة مُكمِّلة لبعضها عن حياة المسيح من الأربعة الأناجيل. وبالرغم من سهولة الكتاب، فقد استوفى الجانب اللاهوتي والجانب الروحي مع الربط بين الأناجيل ربطاً مُبدعاً. وبهذا يُوفِّر الكتاب لقارئ الأناجيل فهماً متتابعاً للأحداث الإنجيلية.

كتاب آخر من كتبه العامة عن الكتاب المقدس، يُعتبر من أعظم الكتب التي أَثْرَت المكتبة القبطية، هو كتاب: ''القديس بولس الرسول: حياته، لاهوته، أعماله''. هذا الكتاب لا يوجد له مثيل باللغة العربية، كما يندر وجود مثله بأية لغة. فقد جمع فيه كمّاً ضخماً من المعلومات والدراسات عن القديس بولس الرسول، رجع فيها إلى ١٥ مرجعاً من كتابات الآباء، حيث استشهد بأقوال متعددة لـ ٤٢ من الآباء. كما رجع إلى ٢٣ مرجعاً لأشهر كُتَّاب وعلماء الكتاب المقدس المحدثين. الكتاب يحوي دراسة شاملة وعامة لحياة القديس بولس وفكره اللاهوتي، تلك المُستخلَصة من سفر أعمال الرسل ومن رسائله

الأربع عشرة. وبذلك قدَّم دراسة عامة لكل رسائل القديس بولس إلى جانب دراسة تفصيلية للجزء الأخير من سفر أعمال الرسل.

يتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول منه يُقدِّم فيه حياة القديس بولس، ويحوي دراسة تحليلية عن نشأته الأولى، والمؤثرات التي أعدَّته للقيام بالمهام الكبيرة جداً التي قام بها لنشر المسيحية بين الأمم. كما يُحلِّل فيه شخصية بولس الرسول ومنهجه الحياتي حتى المتناقضات في شخصيته التي أهَّلته وساعدته في أعماله التبشيرية العملاقة.

الجزء الثاني من الكتاب، وهو أهم وأكبر الأجزاء، يحوي دراسة مستفيضة تشرح الفكر اللاهوتي للقديس بولس، مما يُبرز وحدة هذا الفكر في كل رسائله مع ترابطها وانسجامها مع الفكر اللاهوتي في الأناجيل الأربعة والرسائل الجامعة وبخاصة فكر القديس يوحنا الرسول. كما يربط الفكر اللاهوتي للقديس بولس بالعهد القديم وبخاصة كتب الأنبياء. وبهذا يُظهِر وحدة الفكر اللاهوتي للكتاب المقدس كله. كما يُبرز الفكر الأرثوذكسي كفكر كتابي بالدرجة الأولى، فيُظهر الكتاب المقدس على أنه كتاب لاهوتي أرثوذكسي.

وقد قدَّم هذه الدراسة في سبعة أبواب حوت دراسات عن: الثالوث، الخلاص والفداء، الإيمان والتبرير والتقديس، الأسرار، الكنيسة، الأخلاق المسيحية، ثم أمور آخر الزمان. ويُعتبر الباب الثاني أهم الأبواب، حيث قدَّم دراسة لاهوتية مستفيضة لمفهوم الخلاص والفداء في ثمانية فصول، ناقش فيها الآراء المختلفة التي ظهرت عَبْرَ التاريخ. وحلَّل التعليم الغربي، خاصة الفكر اللاهوتي الغربي في العصور الوسطى، وعقد مقارنات لاهوتية أظهرت استقامة وصحة المفهوم الأرثوذكسي. والكتاب يعرض علم اللاهوت مقترناً بالممارسة الروحية العملية الملموسة بحسب المنهج الآبائي. كما أنه مُقدَّم بلغة سهلة مفهومة للقارئ العادي، فهو أكثر سهولة من الكثير من الكتب اللاهوتية المعروضة.

الجزء الثالث من هذا الكتاب عن رحلات بولس الرسول وظروف كتابة الرسائل، ويحوي تفاصيل رحلات القديس بولس التبشيرية معروضة بأسلوب سلس وجذّاب. فلا

يسع القارئ لهذا الجزء إلاَّ أن يستمر في القراءة دون توقُّف إلى آخره. كما يعرض الظروف التاريخية لكتابة كل رسالة من رسائل القديس بولس. هذا الجزء مع ما قدَّمه من دراسات لاهوتية في الجزء الثاني، يتضمن دراسة متكاملة لكل رسائل القديس بولس. فإن كان أبونا متى لم يسعفه الوقت لتقديم تفسير كامل إلاَّ لرسائل القديس بولس الرئيسية، إلاَّ أنه في هذا الكتاب قدَّم دراسة شاملة وافية لجميع رسائله مما يساعد كل مَن يريد الدراسة.

وبعد أن أكمل أبونا متى المسكين دراسته للكتاب المقدس، وجد نفسه ما زالت عطشى للامتلاء من كلمات الكتاب: «طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبَعون» (مت ٥: ٦). فمَن شرب من ينابيع الروح، تتسع نفسه أكثر لاستيعاب كلمة الحياة ثم تفيض بأنهار ماء حي: «ومَن يسمع فلْيقُل: تعالَ، ومَن يعطش فليأتِ، ومَن يُرِد فليأخذ ماء حياة مجاناً» (رؤ ٢٢: ١٧). ولذلك بدأ أبونا متى يتأمل في آيات اختارها من الكتاب ليُشبع روحه من نبعه الفيَّاض، وظل ينهل منه إلى النَّفَس الأخير. فظل يكتب تأملاته إلى أن أرهقه المرض ثم فاضت روحه المباركة إلى بارئها. ومن هذا الفيض ترك لنا كتاباً في أربعة أجزاء كبيرة، هو كتاب: "مع المسيح".

آخر كتاب من كتب الأب متى المسكين العامة عن الكتاب المقدس أريد أن أُقدِّمه في هذا المقال، هو: "الكتاب المقدس رسالة شخصية لك". فكما بدأنا حديثنا بكتيب صغير ورائع، نختم الحديث بكتيب آخر أصغر منه لكنه يحوي كنوزاً روحية ثمينة للغاية تهم كل قارئ ودارس للكتاب المقدس. الكتيب الصغير يحوي ثلاثة فصول: الأول يشرح كيف أن كلمة الله في الكتاب المقدس تُقدِّس القارئ، معتمداً على الآية: «قدِّسهم في حقك، كلامك هو حقٌّ» (يو ١٧:١٧). هذا الحديث البديع يمسك بيد القارئ ويقوده إلى تقديس النفس من خلال دراسة الكتاب المقدس. والفصل الثاني، يشرح الفرق بين الكتاب المقدس وبين أي كتاب آخر، فالكتاب يخصُّك أنت بصفة شخصية. أما الفصل الثالث، فهو سؤال من أحد الرهبان عن الطرق التي اتَّبعها في دراسة الكتاب، وكلها طرق روحية عجيبة، ثم ردّ الأب متى المسكين وتعليقه عليها.

نُشرت في مجلة مرقس، ديسمبر ٢٠٠٧، ص ٦ **مهندس فؤاد نجيب يوسف**

تجديد الحياة الروحية للرهبنة المصرية
في القرن العشرين
نموذج الأب متى المسكين
(١٩١٩-١٩٩٩م)

مقدمة:

ونحن نحتفل بمرور ١٠٠ عام على الفكر في مصر، رأت الجمعية الفلسفية أن تحتفي بأحد أبناء مصر البررة وخريج جامعة القاهرة العريقة: كلية الصيدلة عام ١٩٤٤م. وقد طلب الدكتور حسن حنفي مني أن أقوم بهذه المهمة، وسأحاول بقدر المستطاع.

إن الأب متى المسكين مجدِّدٌ بلا مُنازع للحياة الرهبانية الأرثوذكسية في أرض الكنانة على امتداد خمسين عاماً من القرن العشرين. وعلى مثال المفكِّرين المصريين المسلمين الذين حاولوا أن يُجدِّدوا حياتنا الفكرية والثقافية، مثل: الإمام محمد عبده، والشيخ رشيد رضا، والدكتور حسن حنفي، وغيرهم؛ فإننا نتطرَّق إلى عنصر هام من مكوِّنات الفكر المصري والعربي، وهو تجديد الحياة الروحية والرهبانية للكنيسة المصرية عموماً، أعرق الكنائس في العالم، كما أنها جزءٌ لا يتجزَّأ من المجتمع المصري، وتُشكِّل رافداً مهماً في تاريخنا المشترك سواءٌ كنا مسلمين أو مسيحيين.

لقد ساهمت كنيسة مصر منذ القرن الرابع الميلادي بقوة في تشكيل وإرساء دعائم المسيحية في العالم أجمع. ومن مصر خرجت حياة الرهبنة إلى الشرق والغرب على يد القديسَيْن أنطونيوس وباخوميوس. هذه الرهبنة التي تحدَّث عنها القرآن الكريم في صورة المائدة بقوله: "... ولتجدنَّ أقربهم مودَّة للذين آمنوا الذين قالوا إنَّا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً، وإنهم لا يستكبرون".

وإذا كنَّا نحتفل بالفكر الفلسفي عام ١٩٩٩، فإن علاقة الفلسفة بالروحانية ليست ببعيدة. وإن كنا قد تحدَّثنا في العام الماضي عن الفيلسوف ابن رشد الذي استطاع المصالحة بين العقل والشرع الإسلامي، وعرَّف الفلسفة بأنها البحث عن الحق، وأثبت أن العقل لا

ينتقض الشرع، فكلاهما يبحث عن الْحق لأن مصدرهما واحد وهو الله؛ فإننا نجزم بأن الأب متى المسكين: اختار طريق الشرع، وغلَّبه على العقل، لا بل سخَّر قلبه وعقله وجسده لعبادة الله الواحد؛ واختار طريق التصوُّف والزهد على خُطَى أنطونيوس أبي الرهبان، ليصل الحاضر بالماضي، ويُجدِّد ما وَهن في الحياة الرهبانية المصرية.

ما هي الإنجازات العملية التي قام بها الأب متى المسكين منذ ١٩٤٨-١٩٩٩ (٥٠ سنة) لتجديد الحياة المسيحية الأرثوذكسية بعد طول ركود؟

- عُرف الأب متى المسكين في الأوساط الأرثوذكسية بإنجازاته المتميِّزة. فعلى سبيل المثال أسَّس إكليريكية مسائية بالإسكندرية أثناء الفترة الوجيزة التي قضاها وكيلاً للبطريركية هناك (١٩٥٤ - مايو ١٩٥٥)، بالإضافة إلى ضبط الخدمة الدينية (مدارس الأحد). كما شرع في إحصاء عام للأقباط في الإسكندرية، وأنشأ المدرسة الصناعية، كما قام بتنظيم الإدارة البطريركية وضبط الخدمة الاجتماعية... إلخ (راجع د. وليم سليمان، مجلة مدارس الأحد، يونية ١٩٥٥، من صفحة ٣-١٥).

- كذلك أقام بيت التكريس في حلوان عام ١٩٥٩، وهو أول بيت من نوعه مخصَّص للخدَّام المكرَّسين من العلمانيين للارتقاء بخدمتهم.

- كما عُرف بإنجازاته التنْمَوية بدير الأنبا صموئيل بالقرب من مغاغة.

- وأعظم إنجازاته العملية هي إعادة بناء دير الأنبا مقار على أحدث الطُّرُز المعمارية، حيث جعل من القلاية الحديثة مكاناً متكاملاً لاعتكاف الراهب والقدرة على البحث والقراءة لإحياء التراث الفكري القبطي. هذا إلى جانب الاستراحة التي أقامها بالساحل الشمالي لمساعدة الرهبان على القدرة على العطاء والاختلاء في مكان مناسب للعطاء الفكري والروحي للراغبين في التزوُّد بالروحانية الرهبانية من الرهبان.

- وفي مجال التنمية، جعل دير أنبا مقار مركزاً للتجارب الزراعية وتهجين السلالات الحيوانية للمساهمة في حل المشكلة الغذائية في مصر. ففي مزرعة دير أنبا مقار تمَّت أول تجربة لزراعة البنجر لاستخدامه كعلف للماشية كما يمكن استخدامه في صناعة السكر،

بالتعاون مع وزارة الزراعة المصرية. وتعضيداً لهذه التجارب الرائدة في مصر أعطت الدولة للدير - ممثّلة في رئيسها الراحل أنور السادات - ألف فدان لتشجيعه على مواصلة هذه الإنجازات.

هذا من الناحية العملية.

الريادة الفكرية وتجديد الفكر الأرثوذكسي في مصر وفي بلاد المهجر في القرن العشرين:

إن العديد من العاملين النشطاء بالأوساط الأرثوذكسية وغيرها من الطوائف يشهدون للأب متى المسكين بالريادة الفكرية في مجال الكتابات اللاهوتية وفي تناول مختلف أمور الكنيسة، حيث بلغ مجموع مؤلَّفات الأب متى المسكين في مايو ١٩٩٧ (حوالي ٩٩ مؤلَّفاً، تغطِّي معظم المواضيع الكنسية من: شرح الأناجيل، إلى الصلاة، والخدمة، والعمل الاجتماعي السياسي واللاهوتي، هذا بالإضافة إلى مقالاته بمجلة مرقس).

فالأب متى المسكين قدَّم مكتبة شاملة للكنيسة في وقت كانت تفتقر فيه إلى تراث فكري عصري، إذ يعتبره البعض القائد الفكري لكثير من الشباب الأرثوذكسي المصري. ويعتبر البعض كتابه "حياة الصلاة الأرثوذكسية" (الذي ظهر عام ١٩٥٢)، والذي كان قد كتب مقدمته نظير جيد (البابا شنودة الحالي)، هو المرشد الروحي الأساسي للكنيسة، الذي قدَّم أعماقاً وآفاقاً روحية جديدة للصلاة.

والأب متى المسكين ينتمي إلى جيل المجدِّدين العظام للحياة الرهبانية والروحية والكنسية في القرن العشرين. فهو من أوائل المتعلِّمين تعليماً عالياً، الذين اختاروا حياة الرهبنة، سواء كان ذلك بحثاً عن أعماق جديدة في العلاقة مع الله؛ أو - كما يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل - إنه الجيل الذي رأى بعد الحرب العالمية الثانية أن الكنيسة هي العنصر الرئيسي في حياهم، فانخرطوا في الرهبنة بحثاً عن القوة التي تكمن في الأديرة وما لها من

تأثير على معظم حياة الكنيسة(٢).

ويمكن تقسيم الإنتاج الفكري للأب متى المسكين إلى ٤ مراحل:

المرحلة الأولى: تمتد من ١٩٥١–١٩٥٨م

أهم ما يميِّزها صدور كتاب "**حياة الصلاة الأرثوذكسية**"، الذي أصبح دليلاً ومنهاجاً لغالبية الأقباط فيما بعد، إلى جانب بعض مقالات في مجلة مدارس الأحد حول **التربية الدينية** (عدد يناير عام ١٩٥٨). وقد حذَّر فيه المسيحي الأرثوذكسي من اتِّباع المناهج العقلية الغربية، والتركيز بدلاً من ذلك على المنهج القلبي الشرقي.

في هذه الفترة أيضاً كان الأب متى المسكين أول مَن دعا إلى ترجمة تعاليم الآباء الأوَّلين لوصل التراث الماضي بحاضر الكنيسة. وقد أثمرت هذه الدعوة كثيراً من الترجمات لآباء الكنيسة العظام من العصور الأولى للمسيحية (من اليونانية والقبطية، ودراسات الفكر الغربي عن هذه المرحلة).

المرحلة الثانية: تمتد من ١٩٥٩–١٩٦٨م

وهي أخصب فترات إنتاجه الفكري. وقد واكبت تأسيسه لبيت التكريس لخدمة الكرازة بحلوان، والذي يضم الذين تتلمذوا عليه من خَيْرة الخدَّام في مدارس الأحد والذين رغبوا في التكريس والتبتُّل للخدمة وليس للرهبنة.

– أهم كتاب في هذه الحقبة هو "**العنصرة**"، وهو أول كتاب لاهوتي عصري عن الروح القدس في القرن العشرين في الكنيسة الأرثوذكسية، وقد حفل باقتباسات من آباء الكنيسة، وأظهر أهمية عيد العنصرة في الكنيسة.

– أيضاً في هذه الفترة التي واكبت حرب ١٩٦٧، كتب الأب متى المسكين كتابين يُظهران مدى انتمائه لمصر ومواكبته لِمَا يحدث للوطن: **الأول** اسمه "**ما وراء خط النار**"،

---

(٢) إرجع إلى: "تقرير الحالة الدينية" – جريدة الأهرام – فصل: الأب متى المسكين – صفحة ٢٧٥.

والثاني **"ميناء إيلات وصحراء النقب"**، مشاركاً بذلك الوطن همومه وآلامه. وهذه أول مرة في العصر الحديث تُشارك فيها الكنيسة في الأحداث الوطنية.

- كما صدرت ١٩٦٨ طبعة جديدة مزيدة من كتاب: **"حياة الصلاة الأرثوذكسية"** نظراً لكثرة الطلب عليه.

- كما صدرت كتب له عن الاشتراكية من وجهة نظر مسيحية، والمسيحي في المجتمع ١٩٦٥ **"الكنيسة والدولة"** - ١٩٦٣. واعتُبِر هذا الكتاب مرجعاً مهماً لتحديد العلاقة بين الكنيسة والدولة.

المرحلة الثالثة: من ١٩٦٩-١٩٨٩م (٢٠ سنة)

وهي فترة استقرار الأب متى المسكين في دير القديس أنبا مقار في وادي النطرون وإعادة بنائه وتجديده.

- فيها بدأت مرحلة المجلَّدات الضخمة بدءاً من كتاب **"الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار"**.

- ثم كتاب **"الإفخارستيا والقداس** - الجزء الأول"، عرض عرضاً منهجياً للأُسس الآبائية والتاريخية للطقوس القبطية.

- كذلك سلسلة مقالات لخدَّام مدارس الأحد ومناهجها وأخلاقياتها، والأصوام ومعناها، والأعياد ومعناها.

- **القديس أثناسيوس الرسولي.**

المرحلة الرابعة: من ١٩٩٠-١٩٩٩م

بَدَأت شروحات الإنجيل لأول مرة بشكل منظَّم ومنهجي في العصر الحديث، مُستعيناً بأحدث الأبحاث اللغوية والتاريخية والأركيولوجية:

- مثل: **شرح إنجيل يوحنا** (جزءان) - **شرح إنجيل مرقس - القديس بولس الرسول.**

- المقالات اللاهوتية عن ألقاب المسيح (راجع: أكرم رفعت "من الاشتياقات الأولى حتى العطاء المستمر" - مجلة مدارس الأحد: أغسطس ١٩٩٨).

الإشكاليات التي يثيرها فكر الأب متى المسكين:

إلاَّ أن وجود الأب متى المسكين في الصحراء لم يمنع فكره - كما رأينا - من الوصول إلى المجتمع والعاملين في هذا المجتمع، مما يثير وما زال إشكاليات.

أ - الكنيسة والعمل الاجتماعي:

رغم الإنجازات التي قام بها الأب متى المسكين على المستويين الاجتماعي والتنموي - كما بيَّنَّا سالفاً - إلاَّ أنه على المستوى النظري يقول رأياً مختلفاً حول اهتمام الكنيسة[٣] بالأمور الدنيوية. فهو يرى أن المبادئ المسيحية اللاهوتية تركِّز على الإنسان من حيث إنه خاطئ: "وعلى الكنيسة أن تنتشله من ألم هذه الخطية". فتعاسة الإنسان مصدرها هذه الخطية، لذلك فعلى الكنيسة ترتيب أولوياتها بحيث يكون الخلاص الروحي شغلها الشاغل، "فالكرازة بالتوبة لتجديد الإنسان وخلاصه" هو عمل الكنيسة الأساسي (راجع: "الكنيسة والدولة"). ثم يضيف أن انشغال الكنيسة بحياة الإنسان الاجتماعية هي مقاومة وخروج من جانب الكنيسة عن دورها.

- ولكن حينما يُسأل الأب متى المسكين عن دور المسيحي في المجتمع من وجهة نظره؟

يجيب: قد تكون صفات المثابرة والتحمُّل والرجاء هي أهم الصفات التي يتحلَّى بها المسيحي في المجتمع، فهو مجاهد روحي ضد قوى الشر ويجب أن يتبع المجتمع ويتلاحم معه، وسلاحه ليس الإنجيل الاجتماعي[٤]، بل الإنجيل كخبرة إيمانية (راجع: "المسيحي والمجتمع" - ص ١٥، ١٦).

---

(٣)ملحوظة: لم ينتبه كاتب المقال إلى أن الأب متى المسكين يقصد هنا رجال الإكليروس في المدن المنوط بهم خدمة الصلاة وخدمة كلمة الله فقط. أما ما يقوم به الأب متى المسكين والرهبان في الدير فإن العمل المصاحب للصلاة والعبادة هى كلازمة ضرورية لتكميل ونمو وصحة الحياة الرهبانية. (المحرِّر).

(٤) تعبير "الإنجيل الاجتماعي" يُطلق على حركة سياسية اجتماعية نشأت في أمريكا اللاتينية أصلاً للنظر إلى الإنجيل باعتباره فلسفة إصلاحية اجتماعية للمجتمع.

– والإشكالية هنا هي أن الأب متى المسكين يجمع بين روح وصفات الراهب الموجود في الصحراء، والعلماني المنخرط في المجتمع في آنٍ واحد.

ب – دور الكنيسة تجاه السلطة الزمنية:

فمن ناحية، يخشى الأب متى المسكين أن تُشوَّه رسالة المسيحية من خلال البحث عن القوة الزمنية، وهو الخطأ الذي وقعت فيه الكنيسة في الغرب في مراحل معينة من تاريخها. فهو يرفض أن تنحدر الكنيسة من منـــزلة العمل الروحي إلى العمل السياسي، والذي هو في منـــزلة أدنى من الخلاص الروحي.

كذلك، من ناحية أخرى، يخشى الأب متى المسكين أن تنـــزلق الكنيسة إلى الصراع السياسي ملتجئة إلى السلطة لفرض عقيدة ما، وبذلك تقع في مأزق روحـــي (الكنيـــسة والدولة)، وهو ما يُعرف تاريخياً بالفكر القسطنطيني. وهو في هذا الإطار شديد الغـــيرة على نقاء الكنيسة إلى درجة الحث على تفادي العمل بالسياسة، إذ أن رسالة المحبة والفداء أَقْيَم بكثير من أي عطاء آخر.

– في النهاية سواء اتفقنا أو اختلفنا مع الأب متى المسكين، يبقى أنه اجتهـــد طـــوال خمسين عاماً، ولكل مجتهدٍ نصيب، وشكراً.

نُشرت في مجلة مرقس، نوفمبر ٢٠٠٦، ص ٩

الأب وليم سيدهم اليسوعي

عن كتاب: "كلام في الدين والسياسة"

(الجزء الثالث – الفصل الثاني)

صدر عام ٢٠٠٣ – دار مصر المحروسة

الأب متى المسكين وســــرٌّ يُعلَن

الأب متى المسكين قصة حب ابتدأ ولن ينتهي، قُدِّرَ للكثيرين أن يسمعوا عن هذا الأب العظيم، وقُدِّرَ للكثيرين أن يتعرَّفوا على فكره والإعجاب به، ولكــن قُــدِّر للــبعض - ويا لغبطتهم - أن يحبوا هذا الرجل وهم ليسوا بقليلين.

فحينما يقترب المرء من هذا الرجل، إذا به ينجذب انجذاباً شديداً لفكره الأخَّاذ، وعذوبة كلماته، وعمق تأمُّلاته، وشمولية رؤيته، ورصانة وقوة تعبيره، إلى آخر ذلك مــن جماليــات الإنشاء. وهذا هو بداية الطريق الطويل الذي إذا ابتدأه شخص، قلَّما حاد عنه. وأما امتــداد الطريق ولانهائيته فتكمن في أن المتكلِّم هو "روح أبيكم الذي يتكلَّم فــيكم" (مــت ١٠: ٢٠).

فعذوبة صوت الأب متى المسكين، وجهاده، وصلواته، وموهبته، وعطية الروح له؛ كل هذا هو البعد الآخر الذي يمتاز به الأب متى المسكين عن أعاظم كُتَّاب العالم، ويمتاز بــه كل مَن تكلَّم بالروح والحق، وليس من حكمة عالِم، وعبقرية عقل، وطلاوة لسان.

وقد أعطى هذا الناسك الكبير المَثَلَ والبرهانَ للإنسان الروحي، أو كما أفــاض هــو في تفسيره للإنسان الجديد، فكان هو برهان قوله، بل صورة إيمانه بالخلقة الجديــدة، حــتى إذا التمس أحدهم البرهان وجده دون سؤال. وقد استلهم كل شيء من الإنجيل، وحقَّق كــل شيء بالأسرار، ونال مواعيد الأرض والسماء، فصار **هو بحقٍّ سرّاً من الأسرار**.

ولا يتعجب أحد من كلمة "السر" هذه، فأبناؤه فقط هم الذين يُدركون المعنى الجميــل لهذه الكلمة. ومَن أماط اللثام عن هذا السر الغامض هو نفسه، وذلك في الوقــت المناســب والمُعيَّن، وخصوصاً لِمَن لم يعرفوه إلاَّ من خلال كتاباته وعظاته، وأحبوه جداً مــع أنهــم لم يعرفوا صورته لسنوات، وكانت بينهم وبينه قصة حب على المستويين الإلهي والمسيحي.

وقد كان الأب متى المسكين نفسه عظة وكلمة شهادة للمسيح له المجد، إذ ســعى أن يكون آخر الكل وآخر مدى للاتضاع، جالساً باختياره - حسب تعــبيره مــن جهــة

الكنيسة - في المتّكأ الذي يلي المتكأ الأخير.

ومن مظاهر هذا الاتضاع أنه أوصى أن لا تُعرف سيرته إلاّ بعد انتقاله، وأن يُشيِّعه فقط خاصَّته القليلون، مُسلِّماً نفسه إلى يدي الله الذي أطاع وصيته إلى النهاية، فنال باتضاعه ومَسْكَنَته مجداً فوق مجد. وبهذا أدرك سرّاً آخر، هو أن الذي يتبع وصية حمل الصليب من كل قلبه، لابد أن يُمجَّد بمجد القيامة. إن كل مظاهر البساطة التي انتقل بها هذا الناسك الكبير، هي صورة من صور اتضاع ووداعة المسيح الذي أوصى أن نتعلَّم منه.

- لقد سار الأب متى المسكين في حياته باتضاع إلى أن عَبَرَ من خلال المقبرة البسيطة التي حفرها لنفسه بشجاعة ابن المسيح، إلى جوار إخوته الذين من اتضاعهم لم نعرف عنهم شيئاً، ولكن أسماءهم مكتوبة في سِفْر الحياة، بدون تمييز ولا سياج ولا شاهد قبر، لكي لا ننتبه أبداً إلى الجسد البالي، بل إلى الروح الأبدية التي تحيا مع المسيح. فكانت المقبرة هي بوَّابة خروج أخرى أو ميلاد جديد. وبعيداً عن مجد العالم وتيجانه وزينته، هكذا عَبَرَ من بوَّابة الاتضاع عينها من الأرض إلى السماء، في طريق عكسي من هوانٍ إلى مجد، بدلاً من مجدٍ إلى هوان.

إنَّ مَن يتتبَّع كتابات هذا الأب الجليل ويُعايشها، أو بالأحرى مَن يُعايش هذا الرجل في كتاباته؛ فإنه يسمعه حين يقرأه، ويحسُّه وهو مُمسك بكتاباته، كاسراً **حدود القراءة إلى الحضرة**. أو ربما ينطبق هذا الإحساس على مَن يتخذ أسلوبه، أو مَن وصل إلى مستواه في التأمُّل العالي الذي ورد في شرحه لمحاوريه ذات مرةٍ عن كيفية الوصول إلى الرؤية العقلية، والوصول إلى صاحب النص!! فهو لم يَختَرِ الطريق السهل فيما قدَّمه من أبحاث وشروحات كلها تأملية بدرجة عميقة جداً، باحثاً عن البعد الثالث أو البعد السماوي للُّغة. وهو في اجتهاده في القراءة والبحث والطلبة للوصول إلى الحقيقة الكاملة، قد انفتحت بصيرته كهبة من المسيح والروح القدس؛ إذ بهذه الروح الشفَّافة ينقل الأب متى المسكين لغة الإنجيل والبشارة للجميع بلا كيل. ونلمح هذه الخبرات في حديثه عن

معايشته لرجال الكتاب المقدس، الذين كان يستغرق تأمُّله في كل واحد منهم من أسبوع إلى ثلاثة أشهر.

– انظره وهو يتتبَّع العذراء القديسة وسعيها النشيط في خدمة أليصابات، وهنا كان انطلاق الرؤية والبصيرة، وكانت منحة السماء للذي أحب من كل قلبه.

"طوبى لِمَن يجلس إليَّ ساهراً ومتعلِّماً":

لقد ردَّد الأب متى المسكين هذه الآية، وحكى عن جهاده النسكي، وقدَّم الحياة المسيحية على أنها الخلقة الجديدة، وذلك كنموذج استلهمه من المسيح له المجد، والتقط أول علامة من علامات الدرب الضيِّق، وسار وراء المسيح حاملاً صليبه، وتتبَّع قطرات الدم قطرة قطرة وجمعها في قلبه، وقاوم بها الطبيعة العتيقة، وحارب باسم المسيح؛ فنال النجاح وعَبَرَ إلى ملكوت السموات رافعاً رايات الانتصار.

ومن سر أسرار هذا الرجل هو أنه لم يَقُل كلمة لم يُنفِّذها. فلم يكن واعظاً، بل كان يسير وراء المسيح يتحسَّس خطواته. فعَمِلَ أولاً ثم علَّم، قاسى وعانى، ودفع الضريبة كاملة. عاش في ظلام البراري والقفار، ولكن إلهه أنار له طريقه، وفتح له أبواباً في السماء عندما أُغلِقَت أمامه مرات ومرات أبواب العالم والكنائس بل والأديرة. لم ينزوِ قط ولا خارت قواه، بل تلقَّى السهام وهو في جنب المسيح، والشوك على رأسه، والمرارة في حَلْقه. حمل عار المسيح، فحمل الله عنه كل سوء. أمات نفسه وأضاعها من أجل المسيح ومن أجل الإنجيل، ومات حقاً مع المسيح؛ فكانت له القيامة بأمجادها.

– اسمعه يقول في كتابه الفريد "مع المسيح في آلامه حتى الصليب" – في مقالة **"لأعرفه وقوة قيامته":**

[لذلك فالإنسان الذي يُمارس موته اليومي عن العالم، ومرارة الموت في حلقه، وهو يتألم ويُضرب ويُهان من أجل إيمانه بالمسيح؛ تكون عينه مُسلَّطة على قوة القيامة العتيدة أن يذوقها هنا ليعيشها هناك. فهو يتذوَّق الموت راضياً لكي يبلغ إلى ذَوْق سر القيامة من بين الأموات. من أجل هذا نلاحِظ أن كل الذين واجهوا الاضطهاد الشديد

هنا، **كانت نفوسهم مرتفعة بسرِّ القيامة**].

إن مَن قال هذه العبارة، لاشكَّ أنه أفاضها من فيض تجربته الخاصة. ولنتخيل أن آلام هذا الرجل، التي سمعنا عنها في سيرته؛ هذه الآلام هي التي أفرزت هذا المجد.

كل هذه الميتات كانت له روح قيامة، جعلته جسداً قام من بين الأموات بروح قيامة. وبقوة المسيح أنار وأقام الآلاف بل الملايين على مدى حياته، وأشرق من خلاله نور المسيح.

الأب متى المسكين، روح قيامة، روح هادئة بعيدا عن الضجيج:

لقد عاش الأب متى المسكين في البراري في أقسى الظروف وأحلك الليالي ظلمة ورِعدة وأزيز رياحٍ عاتية، وسط الصمت المريع في مسرح الشيطان ومَرْتَعه، في هدوءٍ عاش بلا ضجيج. وعندما هاجت عليه الدنيا واقتلعته الأيادي الحاسدة من كل مكان، كان يرحل بلا ضجيج، وكان نوراً وسط الظلمة، يرعى تلاميذه ويُكمِل رسالته أيضاً.

كان **مسيحاً**، ككل المختارين الذين قبلوا مسحة الروح القدس، وحملوا سمات الخروف.

روح قيامة، ووقودها حياة الألم:

- فلنقرأ عن أيامه التي عاشها في وادي الريان، والتي من خلالها أفرز كتاب "مع المسيح في آلامه وموته وقيامته"، وهو كتاب عظيم الشأن. فانظر هذا الكتاب من بداية غلافه وتأمل ماذا يقول فيه، فلن تجد في المسيح جُرحاً على جرح إلاَّ وقد لامسته كلمات بل أصابع الأب متى المسكين. هذا الأب الرؤيوي، الذي فاق علماء عصره، هو بمثابة بولس الرسول لأيامنا، أو الذي جاء بروح بولس الرسول الذي أوضح لنا غوامض رسالة الخلاص. فانظر إلى ما يقوله:

[إن سرَّ الصليب بالنسبة للمسيح هو سر مجده. فالآلام الساحقة التي عاناها الرب تحت وطأة التمزيق النفسي بسبب الظلم والالتواء الذي شاهده أثناء المحاكمة، مع هروب التلاميذ، وتسليم يهوذا، وإحساسه أنَّ حياته ثُمِّنها رؤساء الكهنة باتفاق مع أحد التلاميذ بثلاثين من الفضة؛ هذه كلها كانت مَعْبراً من عالم التفاهة المتناهية إلى مجد الآب. **وعلى المعبر عينه** يلزم أن تمر أقدام الإنسان في كل زمان ومكان].

[المسيح سكب فينا قوتين: قوة الحب، وقوة الصليب "الألم". وبقبولنا هاتين القوتين يعمل المسيح فينا سرّاً لنتحرَّك به ومعه، ونصل إلى الآب ويتم بهما (أي بالقوتين) وفيه السر الأعظم، **سر الاتحاد بالله**].

انظر إلى ما انتهى إليه الأب متى المسكين في هذه الكلمات القليلة التي تفوق اللآلئ، إلى أن ينتهي إلى سر "**الاتحاد بالله**".

وهكذا من سرٍّ إلى سر:

- كان الأب متى المسكين ينتقل في حياته من سرٍّ إلى سر. تنقَّل هذا الروح الهادئ كالفراشة، مثلما ذُكِرَ عن القديس أنطونيوس، فكان كالنحلة النشيطة التي تنتقل من زهرة إلى زهرة، ليجمع الرحيق على مهلٍ، يمضغه في جوفه، ويُخرجه لنا عسلاً. إن مَن يفهم هذه الأسرار ويعيش على مستواها، فهو ذو عين وإحساس وقلب يحيا على نفس مستوى السر، ويكتشف غوامضه.

- اقرأ كتيب "**الراعي الصالح**" ضمن سلسلة: "**ألقاب المسيح**"، وتأمَّل هذا الدعاء الجميل الشديد العذوبة والرقة، والذي يتناسب مع رقَّة المسيح الذي بعظمة اتضاعه قدَّم لنا عِظَم حبِّه:

[يا رب يسوع، يا راعي المجد،
يا صاحب سرِّ الحَمَل، كيف ذَبحتَ ذاتك لكي تُطعِم غنماتك بسرِّ لاهوتك،
فرفعتَ خرافك من مرابض الأرض إلى مراقي المجد.
مُحيَّرٌ أنا مُحَير بين سر الراعي وسر الحَمَل.

كيف خلعتَ على الصليب رداء الراعي،
ولَبستَ شكل الحَمَل؟!!
ما سمعنا قطُّ أن راعياً يأخذ شكل حَمَل،
ليقود قطيعه مذبوحاً عَبْرَ وادي الموت،
ويصعد به إلى شاطئ الحياة.
يا راعي النفوس الأمين، نفسي تتبعك].

كل هذه الرقة الكامنة في الرب يسوع، لابد من نفسٍ رقيقة وروح شفَّافة أن تسعى وراءها، لتستلهم منها هذه الكلمات، بل الصور، بل الحقائق التي تُحيِّر العقل بالحق.

ليس جزافاً وليست بالمجان أُعطيَت أسرار الملكوت، وليست بالمجان أُخِذَت. ليس بالمجان يُعطيها الرب لكل أحد، فالرب أنعم على الخاطئة الباكية والمستغيثة بدموع وأطياب ووعد بالحياة الأبدية بحمل الصليب. لذلك لن يرى روعته إلاَّ الذي كرَّس القلب والعقل والجهد والرجاء والحياة والليالي كلها تحت قدمي المسيح، فيبلِّل قدميه بالدموع، ويمسحهما برموش العيون. والأب متى المسكين كرَّس كل هذا للمسيح، وأحسَّ بأن الله يأتي إلينا على مستوى السر، ولم يَرَه إلاَّ فيه. ولذلك وجده في السر في كل المناسبات وكل المواضع، الخفيفة والثقيلة.

فلم نسمع أبداً عن سرِّ الحَمَل أو عن سرِّ الراعي، وكان من الممكن أن تمرَّ حياتنا دون أن نتعمَّق سر الحمل هذا أو سر الراعي ذاك؛ لولا هذا الرؤيوي الذي تكلَّم من القلب عن المسيح، ورآه راعياً وحملاً في آن واحد، كما كان يراه الأنبياء قديماً ويُخبروا عنه بالألغاز. ولكن في عصر النعمة هذا، فإن كُل مَن يريد أن يعرف المسيح بحق، ومن قلب يريده عن إخلاص؛ فالرب يأتي إليه ويصنع في قلبه منزلاً، ويكشف له عن ذاته.

– وتمتد بنا فكرة الحديث عن السر الذاتي الذي هو من صميم كيان هذا الأب، وهي عبقرية الإحساس التي نمت في نفسه منذ الصغر، إذ يقول عن نفسه إنه ابتدأ يعي ويُدرك وهو في سن أربع سنوات. وكان صامتاً يرى ما يدور حوله ثم يفكِّر ويُحلِّل ويُعلِّق، محاولاً أن يجد

حلولاً تُرضيه في تفسير ظواهر الحياة، كل الحياة المحيطة به. ومنها علاقته بوالدته التي أدخلت إلى عمق نفسه عشقه للصلاة والعبادة التي لا تتوقف حتى في أحلك الظروف، في الفقر والمعاناة والمرض، بل وتزداد وتلتهب في أجواء الألم. وبحث في نفسه مُبكِّراً جداً وأدرك أنه يوجد سرٌّ دفين، وهو الذي يسوس حياته، وبأنَّ عليه رسالة سوف يقوم بها!

وهنا بداية السر في حديثه عن نفسه إثر رؤيته - وهو طفل - بعض الآباء السوَّاح في زيارة لمنزله المتواضع سائلاً نفسه: "هل أنا أختلف عن بقية إخوتي؟! وهل مطلوب مني شيءٌ ما"؟! وهنا في هذه السن المبكرة تبدأ الإعلانات عن هذا السر القادم، ميلاد فتى سوف يتفتق عن عبقرية روحية نادرة الحدوث والمثال، وليضرب لنا مثلاً فذّاً وعبقرياً في كل شيء.

- وحتى في كتابته لسيرته الذاتية، كان مثلاً رائعاً قلما تجده عند مَن يكتبون عن أنفسهم. فقد جاءت هذه السيرة الذاتية بإيجاز في الكلام وتركيز في المعاني.

عجباً، فهذا السيل المتدفق في الكلام الذي لا ينضب في حديثه عن المسيح له المجد، نجده مُقلاً جداً في الكلام عن نفسه ورحلتها. فلا يفعل هذا إلاَّ الذي تحقَّق أن العمل عمل المسيح في الأساس، وما نفسه إلاَّ إناء مختار يحفظ عطية الله ويُظهِر عظمة محبة المسيح الملك.

فالكلمات التي جاءت في سيرته الذاتية كانت بإيجاز شديد بغرض إماطة اللثام عن جوانب سيرته؛ وليست استعراضاً لإمكانيات، أو تعريضاً بأشخاص، أو استجداءً لتعاطُف الناس، أو إقلالاً للاختبارات الإلهية؛ ولكن لدرء القيل والقال.

هذا هو تاج السر الإلهي الكامن فيه، والذي جاوز حدود الأرض إلى السماء، وضيق الحاضر إلى الخلود. فجاء الحديث عن سيرته الذاتية موجزاً في القول، لكي تبقى أعماق سر حياته المجيدة محفوظة أمام الله العارف القلوب. وجاءت الشهادة عن نفسه في اتضاع، إنما في وريقات قليلة؛ أما شهاداته عن المسيح فقد جاءت بآلاف الصفحات: شهادة حيَّة، روح نابضة، وإيمان ثابت، وتبشير بوعد الحياة الأبدية!

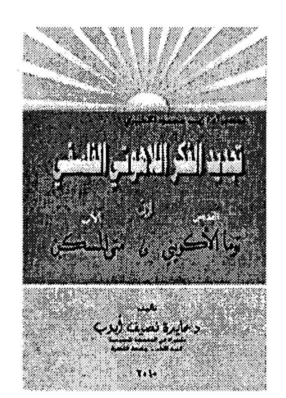
مينا فتح الله
٢٠٠٨/٣/٩

نُشرت في مجلة مرقس، ديسمبر ٢٠٠٨، ص ١٠

رسالة دكتوراه

(مقارنة بين توما الأكويني والأب متى المسكين)

بين العقل والإيمان



- في شهر يونية عام ٢٠٠٩م، وهو نفس الشهر الذي يحتفل فيه محبُّو الأب متى المسكين بالتذكار السنوي لنياحته، قُدِّمت أول رسالة دكتوراه في جامعة القاهرة (قسم الفلسفة بكلية الآداب – جامعة القاهرة)؛ تعقد المقارنة بين القديس (الكاثوليكي) توما الأكويني في القرن الثالث عشر في الغرب، وبين الأب متى المسكين في مصر، باعتبارهما قادا – كلٌّ منهما في عصره – حركة تجديدية للفكر اللاهوتي الفلسفي في كنيسته.
- وقد نالت (الباحثة) الدكتورة عايدة نصيف أيوب، عن هذه الرسالة، درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى (وهي أعلى درجة أكاديمية)، على أن تقوم الجامعة بطباعة الرسالة وتبادُلها مع الجامعات الأخرى. ونعرض في هذا العدد لبعض المعالم الرئيسية للرسالة.

الظروف التي نشأ فيها كلٌّ من توما الأكويني والأب متى المسكين:

❖ لقد نشأ القديس توما الأكويني في إيطاليا في كنف الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في وقت كانت تنظر فيه إلى الفكر الفلسفي الأفلاطوني والأرسطالي على كونه مجرد خرافات. ولكن كان هناك آباء في كنيسة روما مَن حاول القضاء على هذا الاتجاه المنتشر في الكنيسة آنذاك، ولا سيما توما الأكويني الذي قاد حركة لنشر الفلسفة الأرسطوطالية، ليشرح ويُثبت بها عقائد الكنيسة الكاثوليكية.

❖ بينما نشأ الأب متى المسكين في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وقضى شبابه في

خدمة الكنيسة، ثم تكرَّس راهباً، وتمرَّس في الحياة الرهبانية بدراسته العميقة المُركَّزة لكلمة الله، مُطيعاً لكل متطلباتها، وبالتالي مُستقبلاً لكل المعونات والتعزيات الإلهية، ونائلاً الاستعلانات الروحية لِمَا يقرأه من كلمة الله طوال حياته الرهبانية. ومن هذه الحياة الزاخرة تكوَّن لديه الحَسُّ الروحي في الحياة المقدسة أولاً، ثم المنطق الإلهي في التعبير عن هذه الحياة.

❖ وهكذا تمثَّلت قضية التجديد عند الأب متى المسكين في تأصيل الفكر اللاهوتي الأرثوذكسي، انطلاقاً من نصوص الكتاب المقدس أولاً، مع تأكيد السمة التاريخية للعقيدة المسيحية. ونتج عن ذلك لاهوت وفكر مسيحيان يجمعان بين التقليد الكنسي، والتجديد في لغة الفكر المُعبَّر عن هذا التقليد، وهو ما يمكن اعتباره بعثاً للتجديد الفكري اللاهوتي القائم على القديم، والمُعبِّر عنه بآليات الفكر في القرن العشرين.

❖ وقد قام مشروع التجديد والإصلاح عند الأب متى المسكين على ركيزتين: **أولاهما**: ركيزة عامة وتخصُّ التراث، وتتمثَّل في وضع منهجية جديدة لتفسير الكتاب المقدس، ولتأصيل الفكر الآبائي (القائم على تراث كتابات آباء الكنيسة القديسين)؛ **وثانيتهما**: تقوم على الركيزة الأولى وتتكون من عدة خطوات.

✞ **الركيزة الأولى** وتتكون من:

١. منهج جديد لتفسير الكتاب المقدس، ويقوم على:

أ – معرفة دقيقة باللغة اليونانية؛

ب – معرفة دقيقة بكاتب كل إنجيل والتوحُّد معه بروحه وفكره.

وهذا – حسب رأي الباحثة – ما برع فيهما الأب متى المسكين.

وهكذا بدأ الأب متى المسكين يُقدِّم شرحاً وتفسيراً للأناجيل الأربعة، بالإضافة إلى بعض رسائل الرسل، موظِّفاً إيمانه وعقله الثري في شرح العهد الجديد وتفسيره، بما فيه من لاهوت وعقيدة، وتاريخ الأحداث، وشخصية المسيح الإله.

❖ كل هذا، بالإضافة إلى قدرة الأب متى المسكين الفائقة على إقامة علاقة قوية بين العهد القديم والعهد الجديد، والربط بين مفاهيمهما وأحداثهما، الأمر الذي يعجز عن تحقيقه كثير من اللاهوتيين، حسب تعبير الدكتورة الباحثة. فقضية الوحدة بين العهدَيْن القديم والجديد قضية أساسية عند الأب متى المسكين في دراسة الكتاب المقدس.

❖ وتشرح الباحثة مسألة التأويل أو التفسير عند الأب متى المسكين، حيث يقول هو صراحةً: "أنا لا أؤوِّل، أنا آخذ التأويل من صاحب النص (أي كاتب الإنجيل أو الرسالة)".

أما شرح الإنجيل الذي يُقدِّمه الأب متى المسكين، فيستخدم فيه التقليد التفسيري لآباء الكنيسة، وهو منهج التفسير الرمزي لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية القديمة.

❖ ومضمون التعليم اللاهوتي لهؤلاء الآباء، أنَّ علم اللاهوت المسيحي ليس هو المعرفة عن الله كمطلق، ولكن معرفة الله من جهة علاقته بنا نحن البشر. فاللاهوت المسيحي هو إعلان "محبة الله" للعالم أجمع؛ ليس "المحبة" كصفة من صفاته، بل بالتأكيد على أنها طبيعة جوهره. فـ «الله محبة»، وقد أفاض بمحبته على العالم، وأدخل النور والحب إلى الحياة. فاللاهوت المسيحي، ليس نظرية تُدرَّس، بل حياة تُعاش.

٢. تأصيل الفكر الآبائي:

❖ وهو مُكمِّل لمنهجية تفسير الكتاب المقدس. ويرى الأب متى المسكين أن آباء الكنيسة القدامى هم أكثر معاصرة لنا من كثير من التعاليم والآراء والأفكار الروحية واللاهوتية السائدة، والتي لا تتفق مع بشارة المسيح وكرازة الرسل. فمواجهة الكنيسة اليوم للتحديات، لا يكون بالاجتهاد الفكري الشخصي، بل استناداً إلى تقليد آباء الكنيسة الملتزم بكلمة الإنجيل واستعلان الروح القدس. وفي رأي الأب متى المسكين، أنَّ أي خروج عن اتجاه آباء الكنيسة العام، يُخرجنا عن مفهوم الأرثوذكسية وعن حياة

الكنيسة بوجهٍ عام.

❖ والروح القدس له سلطان في الكنيسة من حيث هي جسد المسيح، وقد سلَّمها المسيح الروح القدس لنموِّها وتكميلها، ولكن يظل الرب يُدبِّرها بنفسه كرأس لها بواسطة عمل الروح القدس، ليكون الكل واحداً بمواهب متعدِّدة في المسيح.

❖ ويرى الأب متى المسكين أن خضوع الكنيسة لأية سلطة كهنوتية إنسانية، يعني بالأساس أن الكنيسة ورجال الدين عليهم الخضوع للقوة الإلهية اعتماداً على التقليد الكنسي وعلى نصوص الكتاب المقدَّس؛ حيث إن الإنسان مادي وعقله محدود، ومن ثمَّ يجب عليه أن يخضع للقوة الإلهية اللامتناهية المتمثِّلة في الروح القدس المُفاض على الخدَّام، وذلك من خلال الكتاب المقدس ومن خلال الشرح والتفسير الصحيحَيْن لآباء الكنيسة.

✠ وتشرح الرسالة الركيزة الثانية التي تقوم على الركيزة السابقة، والتي تتكوَّن من عدة خطوات هي:

- وضع تصوُّر جديد للعلاقة بين العقل والنقل (الوحي)،
- وثنائية علاقة النفس بالجسد،
- ومعالجة الانقسام العقائدي بهدف تحقيق الوحدة المسيحية،
- وأخيراً، وضع صيغة جديدة لعلاقة الدين بالسياسة.

وسنقتصر في هذا المقال – لضيق المقام – على عرض الخطوة الأولى من هذه الركيزة الثانية:

تصوُّر جديد للعلاقة بين العقل والنقل (الوحي الإلهي):

نرى الأب متى المسكين – من واقع كتاباته وتفاسيره وشروحه – يستخدم العقل لتأييد ''النقل'' (أي الوحي)، وهو يرى أن أحدهما لا يُعارض الآخر. فعند تناوله لأية قضية لاهوتية وعقائدية، يُقدِّم النقل (أي الوحي) على العقل. فيبدأ بنصوص الكتاب المقدس كمفتاح لأية قضية، ثم يُدلِّل على صِدْق هذه القضية بالاستدلال العقلي الذي لا يتعارض مع العقيدة.

❖ ولكنه عندما يتناول القضايا المعاصرة، فهو يُناقش القضية أولاً، ومصدرها عنده الواقع والعقل؛ أما الخطوة الثانية فهي الرجوع إلى النصوص الدينية، ويتضح ذلك بصورة جلية عند تناول مفهومَي الاشتراكية والديموقراطية.

الفرق بين رؤية توما الأكويني، ورؤية الأب متى المسكين في استخدام العقل:

❖ فالقديس توما الأكويني وظّف الفلسفة الأرسطوطالية في العصور الوسطى للبرهنة على العقائد الإيمانية وإثباتها، وكانت هذه هي البداية الحقيقية لِمَا يُسمَّى "الفلسفة المدرسية **scholastic**". وهكذا أصبح شرح الإيمان كما يُعلِّم به توما الأكويني ذا صبغة أرسطوطالية.

❖ أما بالنسبة للأب متى المسكين، فقد تمثَّلت قضية التجديد عنده في تأصيل الفكر اللاهوتي الأرثوذكسي. وقد اعتمد في ذلك على نصوص الكتاب المقدس أولاً. وقد نتج عن ذلك لاهوت وفكر مسيحيان يجمعان بين التقليد والتجديد، مُعتمداً على تفسير الآباء الكنسيين القدامى، ولكن باستخدام آليات وأدوات الفكر الحديث.

❖ والقديس توما الأكويني، ذهب إلى أنه لكي يردَّ على المُخالفين للإيمان المسيحي، لا يستطيع أن يُدافع عن المسيحية بواسطة نصوص الكتاب المقدس، لأن كل مَن لا يؤمن بالمسيحية لا يعترف بالنص الإنجيلي؛ ولذلك لابد من الرجوع إلى العقل للنظر في الأمور الإلهية.

ويرجع السبب في هذا الاتجاه إلى غزو الفلسفة الأرسطوطالية للعالم الغربي من خلال الترجمات إلى اللاتينية لكتاب هذا الفيلسوف الإغريقي القديم "أرسطو" التي انتشرت في الغرب في هذه الفترة.

❖ **أما الأب متى المسكين**، فهو يقوم بشرح وتفسير القضايا اللاهوتية (مثل التوحيد، التثليث، صفات الله)، مرتكزاً أولاً على الكتاب المقدس، ثم يأتي دور العقل بعد ذلك.

فـــالإيمان أولاً ثم العقل، متأثِّراً بـــالمبدأ الأوغسطيني: "**أومن كي أتعقَّل**".

❖ **ويقول الأب متى المسكين** في كتاب: ''المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا'':

[فلما دخل الإيمان المسيحي في الصراع مع منطق الفلاسفة، كان الإيمان هـــو القـــوة الفعَّالة، تستمدها الكنيسة من حياة المسيح. فإزاء آلهة الفلاسفة، ظهرت الحاجة أشد مـــا تكون إلى ''اللوغوس'' أي ''كلمة الله'' النازل من السماء باسم الآب، والصاعد إليهـــا بمجد الله.

ففي محنة الصراع الفلسفي، كان يعوز الكنيسة التعبير عن الحق، لا بالمنطق الفلـــسفي الأرضي؛ بل بالمنطق والإقناع الإلهي بحسب فكر المسيح].

وكما قيل عن الآباء القديسين إنهم كانوا يكرزون بالمسيح ''لـــيس بحـــسب منطـــق أرسطو، بل بحسب كرازة الرسل''.

✞ ✞ ✞

وهذا جزء قليل من الرسالة التي قضت الباحثة في إعدادها أربع ســـنوات ونـــصف، كرَّست السنة الأولى منها لقراءة كل كتابات الأب متى المسكين قبل أن تبدأ في إعـــداد الرسالة.

لذلك أتت الرسالة شاملة لمعظم فكر الأب متى المسكين، بتحليلات وربط بين المفاهيم والمعاني الواردة، منسَّقة بحسب الأنماط العلمية الأكاديمية الواجبة والمُتَّبعـــة في الرســـائل الجامعية الأكاديمية، ما شهد به أعضاء اللجنة التي ناقشت الرسالة، ومن بينهم الأســـتاذة الدكتورة زينب محمود الخضيري المُشرفة على الرسالة.

نُشرت في مجلة مرقس، أكتوبر ٢٠١٠، ص ١٦

THE TIMES

اكتشاف قديس
من داخل نسك وروحانية الصحراء

☙*✝*❧

عن جريدة التايمز البريطانية The Times – يوم ١٤ أكتوبر ٢٠٠٦

للأسقف البريطاني جيفري راويل

أسقف جبل طارق، وممثّل الكنيسة الإنجليزية أمام الاتحاد الأوروبي

إننا نجد رافداً من روافد الحياة الروحانية المسيحية في السعي المبكِّر نحو حياة الرهبنة في الصحراء. ففي القرنين الثالث والرابع في مصر، تحوَّلت خشونة الصحراء وسكونها إلى ساحة للتجرُّد والتلاقي مع الله. ولهذه الحياة جذورها في الكتاب المقدس في رحلة خروج شعب إسرائيل القديم خلال برية سيناء، وفي تلاقي موسى مع الله في البرية من داخل العلّيقة المشتعلة بالنار دون أن تحترق، فصار هذا المكان أرضاً مقدسة.

والقصص عن آباء البرية وأقوالهم القصيرة المأثورة والمُلهِمة جُمِعَت وصارت مرجعاً للأجيال اللاحقة. والقديس أنطونيوس أول الرهبان، الذي انطلق إلى الصحراء ليُمارس حياة التوحُّد، علَّم الذين أتوا إليه بأن حياتنا وموتنا البشريَّين إنما هما في يد قريبنا: "إن ربحنا أخانا، ربحنا الله؛ وإن أحزنَّا أخانا، فإننا نُخطئ إلى المسيح".

وهناك راهب آخر هو الأبَّا يوحنا القصير يقول لتلاميذه بأنه: "من المستحيل أن نبني البيت من فوق إلى أسفل؛ بل فقط من الأساس إلى فوق". وحينما سُئل عمَّا يقصد بهذا، أجاب: "الأساس هو قريبك الذي عليك أن تربحه، هذا هو أول مطلب، لأن عليه تقوم

وصية المسيح".

والقديس بنديكت، الذي صاغ الرهبنة الغربية بقوانينه الرهبانية، علّم بأن كل مَن يأتي إلى الدير فإن المسيح نفسه يستقبله.

آباء البرية في كل سعيهم نحو التوحُّد، يعرفون بأن البشر كائنات تتبادل العلاقــات. الشخص ليس فرداً منفرداً. ونحن، كما يُعلِّمنا التقليد المسيحي، مخلوقون على صورة الله الذي يُعتبر كيانه شركة فعَّالة للمحبة. وهذه المحبة تنــزل إلى أدنى جزء من احتياجنــا، كما يقول المرنِّم بالمزامير: «إن فرشتُ في الهاوية فها أنت» (مز ١٣٩: ٨). والله الــذي نتعامل معه على أرضية وجودنا، والذي يتقابل معنا في قريبنا، هو الله الذي لا يقف بعيداً عنا، ولا هو بمعزلٍ عنا، بل هو الله الذي جلاله كمثل رحمته.

ونُسك الصحراء هو مواجهة التجربة والاختبار. إنه المكان حيث الحرب والمــصارعة الروحية، ومواجهة مع الشياطين، مع المخاوف التي تطفر من خداعات العقل! من هــذا المضمون، نفهم كيف أنه على سندان الروح تُطرق موهبة التمييز الحقيقي، تلك الموهبــة التي تتطلّب الاتضاع. كما قال الرب يسوع في التطويبات: «طوبى للمساكين بــالروح، لأن لهم ملكوت السموات» (مت ٥: ٣).

✝ ✝ ✝

وروحانية الصحراء ما زالت حقيقة حيَّة في الأديرة القبطية في مصر، التي ظهرت فيها نهضة ملحوظة في العقود الأخيرة.

وفي شهر يونية الماضي، انتقل عن عالمنا واحدٌ من الشخــصيات الرئيــسية في هــذه النهضة، هو الأب متى المسكين، الذي كان الأب الروحي لدير القــديس مقــاريوس في وادي النطرون، الذي يسميه الأقباط "موضع ميزان القلوب". و"القلب" في الإنجيل وفي تقليد الصحراء ليس مكان الإحساسات، بل المشيئة والاختيار.

والأب متى المسكين، وقد درس الصيدلة، توجَّه إلى الدير الفقير، دير الأنبا صموئيل في الصعيد عام ١٩٤٨. ثم عاش ٩ سنوات مع ١٢ من تلاميذه في مغائر وادي الريــان في

عمق الصحراء، إلى أن دُعِيَ ليكون الأب الروحي لدير القديس أنبا مقار عام ١٩٦٩، الدير الذي يضمُّ الآن جماعة من ١٣٠ راهباً.

أما كتاباه: The Communion of Love أي "شركة المحبة"، و The Orthodox Life of Prayer أي "حياة الصلاة الأرثوذكسية"؛ فقد أثَّرا في الكثيرين.

لقد قضيتُ شهرين في دير القديس مقاريوس عام ١٩٧٩، وسألتُ الأب متى المسكين آنذاك عن اختباره عن الله. فأجاب عن إخلاص للتقليد الرهباني: "إنَّ اختباري عن الله كان من خلال الآخرين أكثر من كونه اختباراً لنفسي مباشرة. إني دائماً أتغذَّى على الفتات الساقط من المائدة التي أعدَّها الله للآخرين بواسطتي". وهذا بالتأكيد كل الحق لنا نحن أيضاً.

مرة سأل الأب متى المسكين اللاهوتيين الذين اجتمعوا (في مصر) ليُناقشوا الوحدة المسيحية: "من منكم مستعدٌّ أن يموت من أجل الوحدة المسيحية؟ لأنكم إن لم تكونوا مستعدين أن تموتوا من أجلها، فليس من داعٍ للمجيء إلى ههنا لتتكلَّموا عنها". وكما كتب هو: "إن الله خالقنا هو الذي يدعونا أن نصلِّي، أن نبدأ صلاتنا دائماً بالشكر المتواصل، مُعطين المجد لله، معترفين بخطايانا وبتوبتنا. لأنه على قدر ما تكون قلوبنا نقية، بقدر ما يجد الله راحته فينا".

القديسون هم الذين تلامست قلوبهم مع الله. وهذا كان حقاً بالتأكيد ما يمكن أن يُقال عن الأب متى المسكين أب البرية في أيامنا الحاضرة، الذي نشكر الله من أجله، أنا والكثيرون معي.

نُشرت في مجلة مرقس، يناير ٢٠٠٧، ص ١٤

The Right Rev. Dr. Geoffrey Rowell
is Bishop of Gibraltar in Europe

بعض رسائل التعزية والمشاركة من المحبين لأبينا القمص متى المسكين:

لقد وردت للدير تلغرافات تعزية من العديد من أصحاب النيافة أساقفة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، والكهنة. كما أقام كثيرون من الآباء الكهنة صلوات ترحيم على نفس أبينا الروحي القمص متى المسكين في كنائسهم، والبعض ألقوا كلمات تأبين، وذلك في كثير من كنائس مصر وبلاد المهجر. الرب يعوِّضهم خيراً ويقبل سؤالاتهم وطلباتهم.

كما ورد تلغراف تعزية من الدكتور أحمد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب (الذي نشر أيضاً مشاركة في جريدة الأهرام يوم الأربعاء ٢٠٠٦/٦/١٤ هذا نصه):

> الدكتور أحمد فتحي سرور
>
> رئيس مجلس الشعب
>
> ينعي ببالغ الحزن والأسى فقيد الوطن
>
> الراهب العالِم الكنسي
>
> الأب متى المسكين
>
> وهو من باعثي النهضة في حياة الرهبنة القبطية. تميز بروح المحبة الصادقة بما كان له أعظم الأثر في تميُّز العلاقات الأخوية بين المسلمين والأقباط، كما كان عطاؤه الكبير مثالاً يُحتذى لكل الإصلاحيين الاجتماعيين والدينيين.
>
> رحم الله الفقيد العظيم رحمة واسعة وعوَّض الله عنه خيراً

وكذلك ورد من السادة الوزراء: المهندس أحمد المغربي وزير الإسكان والمرافق والتنمية العمرانية (الذي عاد واتصل أيضاً تليفونياً بالدير وأبدى عظيم تأثره لانتقال قدس أبينا الروحي)، والدكتور

يوسف بطرس غالي وزير المالية، وكذلك السيد الدكتور محمود أبو زيد وزير الموارد المائية والري، والسيد الدكتور عبد العظيم وزير محافظ القاهرة.

كما تفضل السيد الدكتور يوسف والي نائب رئيس الوزراء السابق ونائب رئيس الحزب الوطني والدكتور ممدوح رياض وزير البيئة السابق بزيارة الدير لتقديم العزاء. واللواء إسماعيل ثابت وأسرة مؤسسة ماستر للسياحة بالطريق الصحراوي القاهرة – الإسكندرية.

كذلك ورد إلينا تلغرافات تعزية من غبطة الأنبا اسطفانوس الثاني كاردينال الكنيسة الجامعة، وسيادة المطران الدكتور منير حنا أنيس مطران الكنيسة الأسقفية، وسيادة الأنبا إبراهيم إسحق مطران الأقباط الكاثوليك بالمنيا، وسيادة السفير الأمريكي بالقاهرة مستر فرنسيس ريتشاردوني.

كما وردت تلغرافات تعزية من الكثيرين من الشعب أقباطاً ومسلمين، كما قَدِمَ إلى الدير الكثيرون ليقدِّموا العزاء شخصياً بالدير.

كما حفلت أعمدة الوفيات بجريدة الأهرام وجريدة وطني بمشاركات مؤثرة من الشعب تحمل إعزازاً وتقديراً لرسالة وفضائل الأب القمص متى المسكين.

الرب يعوِّض الجميع بركات سمائية.

رسالة تعزية من راهبات دير القديس يعقوب الفارسي المقطَّع، (كنيسة أنطاكية للأرثوذكس العرب)، طرابلس، لبنان:

"لا تجدِّف إن أبي لا يموت" قول مأثور لراهب يؤمن بأن الآباء أحياء إلى الأبد بالله.

"بعد موتي تعالوا إلى قبري وأخبروني بما يُعوزكم وأنا أُجيبكم"، هكذا أوصى القديس سيرافيم ساروفسكي راهباته قبل رقاده.

إن الآباء هم هم أمس واليوم وغداً، أحياء وإن ماتوا. والأب متى المُنتقل عنا بالجسد هو معنا وفيما بيننا يلحظنا من عليائه ويحمينا ويشفع بنا بما له من الدَّالة قرب الفادي الحبيب.

نسأل الله أن يُرتِّب خادمه الأب متى المسكين، الذي رقد على رجاء القيامة للحياة الأبديَّة في أحضان إبراهيم واسحق ويعقوب. وكما أقامه على الأرض خادماً في كنيسته، كذلك أن يجعله خادماً في مذبحه السماوي. وكما زيَّنه بين البشر بالرتبة الروحانية، كذلك أن يقبله غير مدين في مجد الملائكة وأن يُمجِّده مع محفل القديسين والصدِّيقين الذين أرضَوه منذ الدهر. ألا رَحمَنَا الله جميعاً بصلواته وشفاعاته.

الراهبة الأم سلام، رئيسة دير مار يعقوب الفارسي المقطَّع، مع جميع أخويتها بالمسيح.

رسالة تعزية وصلت من الأب عمانويل لان: من دير Chevtogne شيفتوني بلجيكا، وكان عضواً في لجنة المحادثات بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

Quelle émotion ! Le Père Matta el-Meskine est donc parti vers le Seigneur !
J'en ai fait part immédiatement à notre communauté où tous savaient qui il était, la remarquable figure spirituelle qui a tant fait non seulement pour l'Eglise copte et pour le Monastère de Saint-Macaire, mais pour tant et tant de chrétiens en Orient comme en Occident ! Ses écrits étaient lus, médités, commentés, diffusés pour le plus grand bien de tous. Son ouverture évangélique, son don d'accueil, sa générosité impressionnaient. Du point de vue d'ici bas, quelle perte pour nous tous ! Mais il est avec le Seigneur et je suis sûr qu'il continue à veiller sur les siens, sur ceux si nombreux que le Seigneur lui a confiés durant son existence terrestre.
J'arrête ici mon message, car je suis sûr que vous devez être inondés de lettres, de condoléances, de marques de sympathie. Mais vous savez qu'en ces circonstances douloureuses pour votre communauté le Monastère de Chevetogne est de cœur avec vous.
Vous savez toute mon affection fraternelle et toute ma gratitude.
Que le Seigneur vous rende au centuple ce que nous devons au Père Matta el-Meskine.
Ma prière est avec vous tous.
Votre fr. Emmanuel

الترجمة:

ما أعظم تأثري بهذا الخبر! الأب متى المسكين انطلق إلى الرب!

لقد أخبرت للتو مجمعنا بذلك، حيث الجميع يعرفون من هو: الشخصية الروحية الفذة التي عملت كثيراً جداً ليس فقط للكنيسة القبطية ولدير أنبا مقار، بل لكثيرين وكثيرين من المسيحيين سواء في الشرق أو في الغرب!

لقد كانت كتاباته موضع قراءة وتأمُّل وشرح، وكان انتشارها يحقق أعظم منفعة روحية للجميع.

وانفتاحه الإنجيلي وترحابه ومحبته كانت تترك أثراً عميقاً في الجميع.

بالنظرة الأرضية، هي خسارة عظمى لنا جميعاً. ولكنه مع الرب، وأنا واثق أنه يواصل السهر على ذويه، وعلى الكثيرين جداً الذين وضعهم الرب في عهدته أثناء حياته على الأرض.

لا أسترسل أكثر من ذلك في هذا الخطاب، لأني متأكد أنكم مغمورون بسيل من الخطابات ورسائل التعزية والمشاركة الوجدانية. لكن تعلمون أنه في مثل هذه الظروف المؤلمة لمجمعكم يكون دير شفتوني معكم بقلبه. وتعلمون مقدار محبتي الأخوية وشكري الكثير. ليعوضكم الرب مئة ضعف عن كل ما نحن مدينون به للأب متى المسكين.

صلاتي مع جميعكم، أخوكم عمانويل

رسالة تعزية من دير Bose بإيطاليا (معروف بنشاطه من أجل الوحدة المسيحية، وقد قام بترجمة ونشر بعض كتب قدس أبينا الروحي إلى اللغة الإيطالية):

Nous venons d'apprendre la nouvelle pascale du passage du bienaimé père Matta el Meskin de la mort à la Vie.
Nous sommes en communion de prière avec vous tous et nous rendons grace à notre unique Seigneur pour le grand don que le père Matta a été pour le monachisme et l'Eglise entière.
Que le Seigneur Jésus Christ nous garde fidèles dans ses Voies, si bien suivies par ce témoin de l'Evangile qui a été le père Matta.
Avec l'assurance de notre prière fraternelle,
de la part de fr. Enzo et de tous les frères et soeurs de Bose
fr. Guido

الترجمة:

لقد وصلنا خبر العبور الفصحي الذي عبره أبونا المحبوب متى المسكين من الموت إلى الحياة.
ونحن في شركة معكم جميعاً عبر الصلاة،
ونقدّم التشكرات لإلهنا الوحيد على هذه العطية العظيمة - أعني أبانا متى - المعطاة للرهبنة وللكنيسة كلها.
وليحفظنا ربنا يسوع المسيح أمناء في طرقه، تلك التي أجاد حفظها أبونا متى بمثل هذا القدر حتى صار شهادة حية للإنجيل.
ونؤكد لكم مشاركتنا الأخوية في الصلاة.

رسالة تعزية من راهبة فرنسية:

Un message du Père Christian van Nispen m'apprend le retour à Dieu du Père Matta el Meskin. Il voit maintenant la face de Dieu qu'il a si longtemps cherchée.
Ma prière vous rejoint, en ce temps de douleur, de remise entre les mains du Père, d'action de grâce. Je me souviens que vous m'aviez dit combien le Père Matta el Meskin vivait par la force de l'homme intérieur tandis que sa santé était très atteinte, que l'homme extérieur s'en allait en ruine. Je m'associe à l'immense action de grâce qui doit être la vôtre, celle de votre monastère et de toute l'Eglise Copte Orthodoxe pour ce souffle de l'Esprit qu'il a reçu, laissé vivre et se transmettre.
Les hommes de Dieu nous accompagnent même dans l'absence sensible. Que l'immense élan qu'il a pu faire naître vous soutienne maintenant et pour poursuivre l'oeuvre commencée, signe de cette grâce du Seigneur parmi nous et avec nous.
Soyez assuré, cher Frère, de ma prière émue et très fraternelle en Christ.
Sylvie ROBERT

الترجمة:

وصلني خبر انطلاق الأب متى المسكين إلى الله.

إنه يعاين الآن وجه الله الذي طلبه طول هذا الزمان.

إني أشترك معكم بالصلاة في هذا الظرف المؤلم، بل في تسليم نفوسكم بين يدي الآب، بل في تقديم الشكر له.

إن أبانا متى كان يحيا بقوة الإنسان الباطن الذي يتجدد بينما الإنسان الخارجي يفنى.

إني أشترك معكم ومع ديركم ومع كل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في تقديم الشكر الكثير لله على هذه الدفقة من الروح القدس التي قبلها أبونا متى والتي عاش بها وسلمها للآخرين.

إن رجال الله يرافقوننا حتى في غيبة من الحواس. ليت هذه الدفعة الروحية القوية التي أنشأها أبونا متى تسندكم لتواصلوا العمل الذي بدأه، والذي هو آية لوجود نعمة الله بيننا ومعنا.

ثقوا أني معكم بصلاتي الحارة والأخوية في المسيح.

– كما حفلت المواقع بالإنترنت بتعزيات الشعب القبطي والإسلامي من كل مكان بمشاركات اخترنا بعضها فقط لضيق المكان:

الراسل: Hanna Hanna

The church lost a saint at a time which sainthood is diminishing. The Coptic church lost a giant who had no opposition, because he was just, fair and in all his writing, had the church in his mind and heart. The Abo-Makar monastery is an ideal Orthodox of pure monasticism. The Orthodox faith lost a great Abba who is known in all Orthodoxy, East and West. See his monthly review of St. Mark, to know how in his writings, he wrote for the unity of Orthodox churches. He followed the news of all Orthodox churches as if he was in the meetings of all congregations. He wanted for all Orthodox churches to learn from each other. His books, and homilies are world wide Orthodox Encyclopedia. He continued to the last minute of his life giving "Life With Christ, Articles of Comfort and blessings". A series of articles exceeded four-hundred. As he wrote, they were reflections on the spiritual life, nourish the soul and mind to lead pure, sincere and upright spiritual motives. May the Lord reward him thirty, sixty, and hundred times in his Kingdom, a faithful Orthodox Saint.

الترجمة:

لقد فقدت الكنيسة قديساً في زمن اختفت فيه القداسة. الكنيسة القبطية فقدت عملاقاً لا مُنازِعَ له، لأنه كان باراً، نقياً، وفي كل كتاباته كانت الكنيسة في ذهنه وفي قلبه. إن دير أبو مقار هو نموذجٌ أرثوذكسيٌ لرهبنة نقية. لقد فقد الإيمان الأرثوذكسي أباً عظيماً معروفاً في كل الأرثوذكسية، شرقاً وغرباً. تأمل في مجلته الشهرية "مرقس"، لتعرف كيف أنه في كتاباته يكتب من أجل وحدة الكنائس الأرثوذكسية. إنه

يتتبَّع أخبار كل الكنائس الأرثوذكسية وكأنه حاضر في اجتماعات كل الكنائس. إنه يريد أن تتعلم كل الكنائس الأرثوذكسية بعضها من البعض. إن كتبه وعظاته بمثابة إنسيكلوبيديا أرثوذكسية عالمية. لقد ظل إلى آخر دقيقة من حياته وهو يُعطي "الحياة مع المسيح، مقالات للتعزية والبركة". وهي مجموعة مقالات تزيد على الأربعمائة. وكما كتب هو، فهي تأملات على الحياة الروحية، تغذي النفس والذهن لتؤدي إلى الدوافع الروحية المخلصة والصادقة. ليت الرب يكافئه ثلاثين وستين ومائة ضعف في ملكوته هذا القديس الأرثوذكسي الأمين.

الراسل: Reda Mikhail

Abouna Matta is one of those stars that will keep enlightening our understanding of the Bible, the Church, our relationship with our Lord and our relationship with our enemies. I have not heard someone talks from his heart like Abouna Matta. I can listen to the same sermon over and over for days .

His love to the church and the saints cannot be expressed. As he said about St. Athanasius, Abouna Matta was a "gift from God to Egypt." I wonder how the saints he loves would receive him in heaven. No doubt, St .Antonius, St Athanasius, St. Macarius and abouna Bishoy Kamel will be receiving his spirit..

الترجمة:

أبونا متى واحد من تلك الكواكب التي ستظل تحفظ استنارة فهمنا للكتاب المقدس، وللكنيسة، ولشركتنا بربنا، ولعلاقتنا بأعدائنا. لم أسمع قط إنساناً يتكلم من قلبه مثل أبونا متى. إني أسمع نفس العظة يوماً وراء يوم. إن محبته للكنيسة وللقديسين لايمكنني التعبير عنها. وكما قال هو عن القديس أثناسيوس، هكذا أبونا متى كان "هبة من الله لمصر". إني مندهش كيف سيستقبله القديسون الذين كان يحبهم. مما لاشك فيه أن القديس أنطونيوس والقديس أثناسيوس والقديس مقاريوس وأبونا بيشوي كامل سوف يستقبلون روحه..

الراسل: قبطي سكندرى

لن أنسى كلماتك التي عزَّيتنا بها يوم نياحة أبينا بيشوي كامل، لقد وصفته بقارورة طيب انسكبت وفاح عبق عطرها وملأ كل البيت، هل تسمح لي يا أبى أن أستعير ذات كلماتك، فهي خير ما يعبِّر عن نفسك المسكوبة عند أقدام سيدك، النفس المتضعة بغير رياء، الطاهرة بالطبيعة، العطشى دائماً إلى البر والمعرفة وقد روت الكل بمياهٍ جرت من بطنك أنهار ماء حي .. لم تشغلك سياسات الكنيسة وإن كنت تصلى من أجل سلامتها دائماً، فصلِّ يا أبانا فكم تحتاج الكنيسة إلى صلواتك وكم نحتاج إلى صلواتك مع أنطونيوس ومكاريوس وبقية رفقائك القديسين ..

الراسل جورج داود ــ كندا

عزاؤنا الوحيد هو انتقاله إلى الفردوس في أحضان القديسين ... يشفع لنا أمام عرش النعمة.. كان مثالاً للتواضع والنسك. كان يعطف على الجميع دون فرق في صيدليته بدمنهور المسلم قبل المسيحي. كما تعلم من معلمه السيد المسيح. وكان إذا استشف أن مريضه فقير لا يستطيع أن يحصل على الدواء كان يعطيه الدواء دون مقابل... ترك العالم بعد أن باع صيدليته وذهب إلى الدير دون أن يحمل في جيبه أى شيء. وذهب مشياً على الأقدام.
اذكرنا من اجل المحبة أمام عرش النعمة يا أبى القديس ابنك صيدلي / جورج داود

Today Abouna Matta El Maskin has gone...
Thinking of him.. I see:
A Legend; A Phenomena; A Doctrine; A Scholar; An Apologetic; A Faith Defender; A Philosopher; A Perpetual Student and a Teacher; A Scientist and A Researcher; A Thinker and a Debater; An In-depth Writer; A Walking Encyclopedia; A Seven Languages Speaker; A Planner and a Starter; A Developer and a Go Getter; An Achiever and ...an Accomplisher!!
He was a man who built his case on solid grounds and reasons, and nailed every thought of his to the roots.
Have I ever mentioned the word legend at the beginning of my talk?!
Well, I was wrong, on second thoughts.. He is not and never will be a legend, for one simple reason.. Everything about him and he did was so REAL!!
A man like him.."WILL NEVER DIE"!!
May God console your hearts, Amen.
-Dr. Irini El Kommos Benyamin Ayoub
Saskatoon, SK, Canada

الترجمة:

اليوم أبونا متى المسكين رحل... وإذ أفكر فيه أراه: أسطورة، ظاهرة، عقيدة، عالماً، مدافعاً عن الإيمان، فيلسوفاً، تلميذاً دائماً ومعلماً، عالماً وباحثاً، مُفكراً ومُحاوراً، كاتباً عميقاً، موسوعة متحركة، متحدثاً بسبع لغات، مُخططاً ومُنفذاً، مُطوّراً وناقلاً، مُنجزاً ومُحققاً بنجاح. كان رجلاً بنى رأيه على أرضٍ صلبة وفكر ثابت، وربط كل فكر له بالجذور. هل ذكرت كلمة 'أسطورة' في بداية حديثي؟ حسناً، كنت مخطئة! إنه لم يكن ولن يكون أبداً أسطورة، لسبب واحد بسيط: كل شيء (قيل) عنه وكل ما صنعه كان حقيقياً جداً! رجل مثله لن يموت أبداً!! الله يعزي قلوبكم. آمين.

د. إيريني القمص بنيامين أيوب
كندا

Dear Fathers,
My deepest condolences for the departure of our great Father Abona Matta, I have been in the USA for 25 years, He was the Number one source for my spiritual life, as Youth servant also as a preacher, He was my father, my companion almost everyday through his audio tapes and books.
In Him in found the truth of the Gospel, The way to orthodoxy and how to abide in Christ's life.
It is a great loss, but we have won a great intercessor in heaven. The wealth he left behind is unspeakable, but it will testify for him for ages to come. My condolences for all the Fathers of the Great St. Macarius Monastery and to all who loved Abona from all their hearts.
may God accept his prayers for all of us and for his church.
Please pray for me
Antonious Salib
175 Riva Ave.
Milltown NJ 08850
732-333-1914
Antonious Salib

الترجمة:
تعازيَّ القلبية في رحيل أبينا العظيم أبينا متى. عشت في أمريكا ٢٥ سنة، كان هو المصدر الأول لحياتي الروحية، كخادم للشباب وكواعظ، كان أبي ومرافقي تقريباً كل يوم من خلال الشرائط والكتب. فيه أجد حقيقة الإنجيل، الطريق إلى الأرثوذكسية، وكيف أثبت في الحياة في المسيح. إنها خسارة عظيمة ولكننا قد كسبنا شفيعاً عظيماً في السماء. الغنى الذي تركه لا يُعبَّر عنه، ولكن سيُشهد له لأجيال الآتية. كل تعازيَّ لكل الرهبان في دير العظيم أنبا مقار ولكل من أحبَّ أبانا من كل قلوبهم. فليقبل الله صلواته عنا كلنا ولكنيسته.
أرجوكم: صلوا من أجلي.

أنطونيوس صليب

الراسل صليبا هاكو

بسم ربنا يسوع المسيح
ببالغ الحزن والأسى نحن ابناء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية في سوريا، تلقينا نبأ نياحة العلاَّمة الأب الفاضل متى المسكين .
لقد رحل عنا نحن الذين قرأنا له العديد من المؤلفات الروحية والإيمانية العميقة وتعلمنا منها الكثير، تاركاً هذه الدنيا الى مقره الأخير بعد أن جاهد الجهاد الحسن وأكمل السعي وحفظ الإيمان، ليغادر هذه الأرض بروحه الطاهرة النقية لتنضم تلك الروح الى أرواح الأبرار والصالحين الى رعاة الكنيسة الأقدمين الذين جاهدوا وأيضاً اجتهدوا، فنالوا المكافأة لكي يمنحهم الرب على حد قول الرسول بولس في اليوم الأخير: إكليل البر لهم، وللذين ينتظرون مجيئ الرب ثانية .
تعازينا القلبية للشعب المصري ولكل الآباء رهبان دير أبو مقار الأجلاء رهبان دير السريان وللكنيسة القبطية برئاسة قداسة البابا شنودة الثالث.

William Hanna :الراسل

Dear ALL:

We are saddened by the news of the departure of Abouna Matta El-maskeen. He was the First in his generation of saintly men who served God and joined the new monastic life of the mid 1900's. This generation rejuvenated the Coptic Orthodox Church in particular and Orthodoxy around the world in general. Fr. Matta El-maskeen was the best of the best. He certainly did complete the effort on the example of Paul the Apostole, St. Athanasius the Apostolic, and Cyril the Pillar of faith. He will always be remembered for his tireless effort to educate three generations of Orthodox Christians and for his efforts to bring back the life of dedication in Beet El-takreese, and true monastic life in general and the good example of the monastics of the monastery of the three Sts. Makarius (Deir Abu-machar). He completed his effort on earth and was ready to receive the crown of righteousness that is placed on his head by our Lord and His Lord Jesus Christ in the Paradise of the Living with God, In Heavenly Jerusalem. Our Condolensces to the monks of abu machar and to all that experienced the fellowship of Abouna Matta El-maskeen and to all who benefited from his teachings all around the globe.

Glory always be to God in His Saints, the likes of Abouna Matta El- maskeen.

William Hanna and Family, and many others who knew, loved, and respected our departed Father.

St. Louis, Missouri, USA

الترجمة:

أعزائي الجميع،

لقد حزنا بسبب أخبار انطلاق أبونا متى المسكين. لقد كان الأول في جيله من الرجال القديسين الذين خدموا الله وانضموا للحياة الرهبانية الجديدة في منتصف القرن العشرين. هذا الجيل بعث الحيوية من جديد في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية على الأخص، وفي الأرثوذكسية حول العالم عموماً. والأب متى المسكين كان أفضل الفضلاء. لقد أكمل بالتأكيد الجهاد على مثال بولس الرسول، وأثناسيوس الرسولي، وكيرلس عمود الإيمان. وسوف تتذكره الأجيال دوماً بسبب مجهوده الذي لم يكلّ لتربية ثلاثة أجيال من المسيحيين الأرثوذكس، ولمجهوداته لإرجاع حياة التكريس في بيت التكريس، والحياة الرهبانية الصادقة عموماً، والقدوة الصالحة للرهبان في دير المقارات الثلاثة (دير أبو مقار). لقد أكمل جهاده على الأرض وصار مستعداً لنوال إكليل البرّ الذي كلّله به ربنا وربّه يسوع المسيح في فردوس الأحياء مع الله، في أورشليم السمائية. تعزياتنا لرهبان أبو مقار ولكل الذين كانت لهم شركة مع أبونا متى المسكين، ولكل الذين انتفعوا من تعاليمه في كل أرجاء العالم.

المجد دائماً لله في قديسيه، المثيلين لأبونا متى المسكين.

وليم حنا والعائلة، والكثيرون ممن عرفوا وأحبوا وكرّموا أبانا الراحل.

I spent two months in St Macarius monastery in 1979. I asked Father Matta then about his experience of God. Faithful to the desert tradition he replied: "I have had far more experience of God through others than directly myself. I am always eating, as it were, of crumbs that fall from the table prepared by God for others through me" — and that, surely, is true for all of us.

He once asked theologians meeting to discuss Christian unity how many of them were prepared to die for it, "for if you are not prepared to die for it there is no point in coming here to talk about it". Because, he wrote, it is our Creator who calls us to pray, "we should always begin our prayer with overflowing thanks", giving God the glory, confessing our sinfulness and repenting, "for as much as our hearts are pure, God finds his rest in us".

Saints are those whose hearts God has touched. That surely was true of Father Matta el-Meskeen, a desert father of our own day, for whom I with many others thank God.

✝ *New for the third edition (June 2011)* ✝

The Spirituality of the Desert is Still a Living Reality

Posted by catholicsensibility under Neil, spirituality

.....The Egyptian monasticism has had two golden ages. The first **began in the fourth century when, as the *Life of Macarius* recounts, Macarius the "Spiritbearer" came to Scetis to become another Abraham, the father of a people. The second, you might be surprised to hear, has occurred much more recently. This is a reminder that the desert monks' perception that God is *philanthropos*, the bearer of compassionate love towards his creation – and that we might come closer to this God and our true selves by letting go of our illusions about our nearness to God and our own virtue compared to that of others – is a contemporary message that can and should take root in our own lives.**

In this Sunday's "Credo" column in the (London) *Times*, Fr Vivian's fellow Anglican, the Rt Rev Geoffrey Rowell, the Bishop of Gibraltar and himself a scholar, writes about one of the monks who played a role in this second golden age:

The spirituality of the desert is still a living reality in the Coptic monasteries of Egypt, among which there has been a remarkable renaissance in the last decades. In June one of the main figures of this revival died. Father Matta el-Meskeen, Matthew the Poor, was the spiritual father of the monastery of St Macarius in the Wadi el-Natroun, which Copts call "the place of the weighing of the heart" — the heart being in the Bible and in the desert tradition not the place of feeling, but of willing and of choosing.

Matthew the Poor, educated as a pharmacist, went to the poor monastery of St Samuel in Upper Egypt in 1948. For nine years he lived with 12 disciples in caves in the Wadi al-Rayan deep in the desert, until he was called to be spiritual father of St Macarius in 1969, a monastery which now houses a community of 130 monks. His books, *The Communion of Love* and *The Orthodox Life of Prayer* have influenced many.

Matta in the flesh.

But we met in the spirit every time I heard a story about his high spiritual statute and every month when I read St. Mark magazine that I used to buy for 5 piaster when I was a teenager in the 1960's and now I receive by mail as a life subscriber.

I can see not only the wealth of knowledge, but the beautiful printing of valuable Christian art from many cultures, countries and Orthodox traditions on the cover front and back. This is sophistication that is rare in people with this high level of spirituality and self sacrifice.

I also was fortunate to acquire many of his books in Arabic and English: Most valuable of 180 books are: Life of Orthodox Prayer, the series "With Christ", the Holy Spirit (3 parts), Life of St. Paul the Apostle, Life of St. Athanasius the Apostolic, and his commentary on the Holy Bible. For over 50 years: 1965 - 2006 he wrote the opening article of the monthly St. Mark Magazine ('megalat morcos'). He also usually wrote one or two more articles every month. That is more than 2000 articles or one article for every year since our Lord, God and Savior Jesus Christ blessed the human race, and offered our salvation on the Cross in Jerusalem under Pontius Pilate in 33 A.D.

That is a most rich life for a man that chose poverty as a way of life on earth.

Blessed are you our departed Father Matthew the Poor, Abouna Matta El-maskeen, you are now discussing all the philosophy and theology, and the riches of Christ our Lord with the saints Paul, Athanasius, and Cyril the Great in Heaven. I also know that you did not neglect singing the praises, but explained them to us in books and on tapes some were recorded by the ministry of Information and Culture of the government of Egypt as treasures of Coptic History.

I am certain that David the Psalmist, Prophet, and Great King is in the circle of your friends that is enjoying your presence with the heavenly chorus in heaven.

What can we say, but to quote St. Paul the Apostle: "7 **I have fought the good fight, I have finished the race, I have kept the faith. 8 Finally, there is laid up for me the crown of righteousness, which the Lord, the righteous Judge, will give to me on that Day, and not to me only but also to all who have loved His appearing." (2 Timothy 4:7-9).**

Axiox, Axios, Axios (worthy, worthy, worthy) Abouna Matta pi monachos (the monk). Glory be to the Father and the Son and the Holy Spirit. One God. Amen. Glory be to God in His saints the likes of Abouna Matta El-maskeen. May His blessings be with us all. Amen.

Abouna Matta was a tireless leader of tireless fathers who benefited the whole world with his scholarly publications that are deep in Christology, Spirituality, theology, Philosophy that fits today's thinking, culture, and Christian living.

Abouna Matta was nominated for the patriarchate twice: in 1959 after the departure on Pope Eusebius II and in 1971 after the departure of Pope Kyrillos VI. [The second nomination (Abouna Matta, general bishop Samuel, and [then bishop] and now Pope Shenouda III].

Also the events of the last four years of former president Sadat (Camp David, 1977 to his assassination on 5 October 1981) created another conflict because Sadat was impressed by the success of Abouna Matta and his monastic family (deir abu-machar).

[We all know and believe that Abouna Matta told Sadat that he cannot and is not advised to remove Pope Shenouda II, because he explained to the then president of Egypt that he has not the right to remove the Pope because according to the ecclesiastical canon law he remain a Pope all over his life. Unfortunately, Abouna Matta was misquoted in a most infamous TIME (USA) article in 1981].

It was unfortunate that the administration of the Coptic Church was in conflict with abouna Matta and that the monks of St. Makarius were not considered main stream and for a long time ignored!. However when HH Pope Shenouda III visited in 1996 after HH last visit in 1978 (18 years earlier), HH talked about the importance of the life of prayer for the Church. **HH stated that the praying monk is more valuable for the well being of the Church than any other form of monastic service**. HH gave Abouna Matta and his spiritual children credit for being a good example for the life of prayer in the Church:

See: http://www.stmacariusmonastery.org/index.htm

For the honesty in reporting on the life of the Church, as a theologian, Fr. Matta El-maskeen differed with the official position of the Church represented in HH Pope Shenouda III writings on very few intricate theological details that the average Orthodox Christian will not notice or care about. And the most learned will take as a difference of opinion between two Giants in the faith that we all will know when we get to Paradise as Paul the Apostle explained: " **Now we know some, but then (with Christ in paradise) we will know everything".**

I never met Abouna Matta as he was always called, although I tried many times. I remember one time in 1965 when the Sunday Youth group I was in used to visit Kamal Habib (The departed bishop Poemen of Malawi), our then spiritual leader, in beet el-takreese in Helwan, he used to promise us to meet Abouna Matta, next time. And after many next times, we (at least I) realized that it was not ordained for me to meet abouna

desert hills to live in. However the number of those that followed his example reached 12.

In 1969, he was commended by then Pope Kyrillos VI to renew the monastic life of the Monastery of St. Macarius in the Scetes (half way between Cairo and Alexandria in the Western desert that is Wadi El-Natroon). At that time there were less than 1/2 dozen elderly monks in this monastery that lived in the ancient historic building that dates back to the time of queen Helen ('helana') the mother of the emperor Constantine, circa 330 A.D.

The building were dilapidated and in poor shape and parts of it was buried in the sand of the sahara after 1500 years of neglect. Our saint stayed in this place until he departed to heaven on June 8, 2006.

He is also responsible for the renewal of the life of dedication by starting beet el-takreese (House of the dedicated to the service of God) in Helwan in the early 1959's. The number of monks at the monastery of St. Macarius, referred to as abu-machar increased from 1/2 dozen in 1969 to 130+ today of which all are living inside the Monastery. No monks are living outside.

Abouna Matta El-maskeen lived the life of solitude (in caves) and inside it (in cell "quallaya" with limited to no contact with others in the monastery). The monks of abu-machar learned to live like their spiritual father in a commune (St. Pachomius order) and in Solitude (St. Macarius the solitary order). The monastery of abu-machar did grow six fold in land area and 100 fold in spirituality. The last time I visited was in the Advent season, 1994. And although the visits are forbidden during fasting (was the advent) seasons, they allowed people who lived outside Egypt to visit by permit anytime of the year, that is a great kindness of the fathers of our monasteries.

When we visited in 1994, we saw sugar beet agriculture at abu-machar that was implanted in Egypt by the monastery since Egypt relies on sugar-cane for sugar production. The monks manage agriculture in the desert that far exceeds the ability of the universities that advised them. In particular, a professor of agriculture in the Netherlands advised them to start this new (to Egypt) food plant and they exceeded the abilities of the university in size and nutrition value.

The monastery of abu-machar had to have a modern press because of the voluminous theological works of the departed Fr. Matta alone. He wrote more than 180 highly valued theological and spiritual books in Arabic. They print a monthly magazine (St. Mark) distributed world wide. And almost all their publications are translated and printed in many live languages, other than the native Arabic, including: English, French, German, Italian, and Spanish.

Excerpt (edited) from an article titled:

Between Pope (87) Matthew the Poor, Anba Abraam the Friend of the Poor, and the departed Father Matthew the Poor

Father Matthew the Poor

By William A. Hanna; Ph.D.EE

St. Louis, MO 63011 USA

Sat Jun 10, 2006 8:08 pm

Fr. Matthew the Poor (Abouna Matta El-Maskeen: 1919 - June 8, 2006) was a Coptic Orthodox Christian Youngman in 1944 who graduated from Cairo University, College of Pharmacy. Very bright, handsome, and industrious. He started a Pharmacy in Damanhoor Egypt, and in 4 years he prospered to own (1) pharmacy,. The normal human behavior (and nothing wrong with it) is to maintain the business, even prosper more. He was from a Christian family, he attended Church, and gave to the poor and fulfilled all the commandments.

Instead then Youssef Eskander from Benha, Egypt chose to live the life of a poor monastic (monk). He sold everything he owned and gave the proceeds to the poor and he kept only the price of a one way ticket to a forgotten monastery (He lived in the delta near the Mediterranean in the great Coptic City of Damanhour, Manssoura) in southern Egypt, the monastery of St. Samuel the confessor, in the qallamoun mountains near Menya. This is the same historic monastery that was returned to use by one of his spiritual fathers, then Fr. Mena the Solitary (who later became Pope Kyrillos VI, a contemporary saint).

He stayed in this monastery from 1948 to 1950 when he was moved to the monastery of St. Mary, known as El-syrian in the prairies of Scetes in the Western desert between Cairo and Alexandria. He was also elevated to a hegoumen and was made a deputy to the Pope (1948) for the Patriarchate of Alexandria ('waqueel patriarchate' for Alexandria). His efforts there were a nucleus for a revival of the then 40 churches in Alexandria in 1954, 1955. After less than 2 years he resigned the job and returned to the monastery of El-syrian.

In 1960, he moved to a cave 40 Km East of the edge of Fayoum in the desert known as Wadi Al-rayaan. He was followed by others who liked his example of solitude. It was very harsh living in the desert without building or shelter. They each dug a cave in the

an individual priest for the Church, or even the prayer for a part of the Community. It is the prayer of the acting, breathing community of Abu Makar that transform an ordinary human gathering of Christians into the mystical Body of Jesus Christ.

In his superb work The Communion of Love (SVS Press, New York, 1984), Abouna Matta El Meskeen has affirmed the radical God-centeredness of his monastic community, in contrast to the pervasive human arrogance and self-centeredness of the modern world. Father Matthew the Poor has always sought for God as the centre of human life. In terms of our present ecumenism he says that he wishes and prays that the churches may have a unity, 'divine both in appearance and in essence, a unity above the realm of time.'

It cannot be forgotten that Father Matta's works have appeared in many languages. The German visitors have been thrilled with Willkommen Im Makarius Kloster, just as the French have with his Bienvenue au Monastère de Saint Macaire. But the truth is that there are more than fifty publications in English and certainly half as many in German and French. The single work On Prayer in 1965 already appears in Greek, Japanese and Russian.

Abu Makar is the only monastery in Egypt that is completely ecumenical and open. But it can be no surprise to Western readers that Abouna Matta El Meskeen chose the work of one Cistercian monk as his favorite piece of writing. The Wisdom of the Desert, which is the introduction to Thomas Merton's' book of the same title, is regarded as the finest analysis of the golden age of Coptic Monasticism in the fourth century: "Let it suffice for me to say that we need to learn from these men of the fourth century how to ignore prejudice, defy compulsion and strike out fearlessly into the unknown."

In the Western churches Abouna Matta El Meskeen is reasonably regarded as our greatest Coptic Orthodox spiritual father. We have read the words of a mystic of profound spirituality, which also bear the hallmarks of simplicity and truth. After reading Abouna Bishoi Kamel, Abba Justus el Antonii, Abba Kyrillos the Sixth and Abouna Matta El Meskeen we have lived in the footsteps of at least four of the greatest Copts of the twentieth century. Father Matthew the Poor died on Thursday, 8 June 2006.

May our beloved father Abouna Matta El Meskeen rest in peace and rise in glory. Amen.

Revd. Dr. John Watson is an Anglican priest who lived in Asia, Australia and Europe and is the author of several books including Coptic Studies of Pope Kyrillos, Abouna Bishoi Kamel, Abba Justus al-Antuni, Among the Copts, Christians Observed: Narratives for Today's Church, and Listening to Islam.

John H. Watson

six very tired and elderly fathers lived near the road between Cairo and Alexandria. Matta and his twelve companions cared for the frail old desert fathers and then reformed and reconstructed the monastery.

The scale of their achievement was simply staggering. In 1971 Matta had thirty monks in the monastery and by 1981 over eighty. The administrative, agricultural and institutional revolution at the Monastery of St Macarius was very great. The spiritual revolution was much greater.

In 2003, St Vladimir's Seminary Press, Crestwood, New York, published Father Matthew the Poor's *Orthodox Prayer Life*: The Interior Way. The first edition, in Arabic, had been written in the desert in the early 60s. But most of the original band of monks in the Wadi El Rayan, when asked what directed them to the eremitical life, said that it was reading Abouna Matta's book on the life of Orthodox prayer. The book defined their spiritual course.

If asked about the direction of Coptic monasticism, the monks of St. Macarius, who joined the community from 1969 to 1989, are most likely to talk of the need to ensure that the practical works of the monastery are truly transfigured into one spiritual activity. Labour is to become an uninterrupted praise of God, a witness to the Incarnation and a means of fraternal love.

Matta is a spiritual guide well versed in the tensions and peculiarities of religious practice, but he affirms that the only condition for admission to his monastery is that the aspirants should have felt their hearts stirred by love for God, even if only on a single occasion. This emphasis upon love is the unending theme of Abouna Matta El Meskeen's life. Love of God. Love for the community. Love for all Christians; locally, nationally and ecumenically. Love for Christian Theology. It is most certainly true that the monks of Abu Makar, the Coptic Orthodox Christians of Egypt, and all ecumenists, share their love for the Spirituality of this finest of modern desert fathers. God's Love is the greatest gift of all. It is also Matta's witness.

There is integrity, a wholeness of life, within the community of the monks at St. Macarius. The pattern of daily life is such that the monks can only meet together to pray and to eat the midday meal in the Refectory. During the meal, the sayings of the Fathers are read to the monks. On Sunday evening they meet for a period of intercessory prayer, offering to God their spiritual and material needs.

In accordance with what Matta believes to be the tradition of the Desert Fathers, the monks have only one celebration of the Divine Liturgy each week. It begins at two o'clock on Sunday morning and lasts for about five or six hours. It is followed by an Agape meal, a re-enactment of the common religious meal, which was in the early Church in close relation to the Eucharist itself.

The Mass, a term which is occasionally used by some Copts, cannot be the prayer of

The Coptophile Column

Abouna Matta el Meskin

By John H. Watson

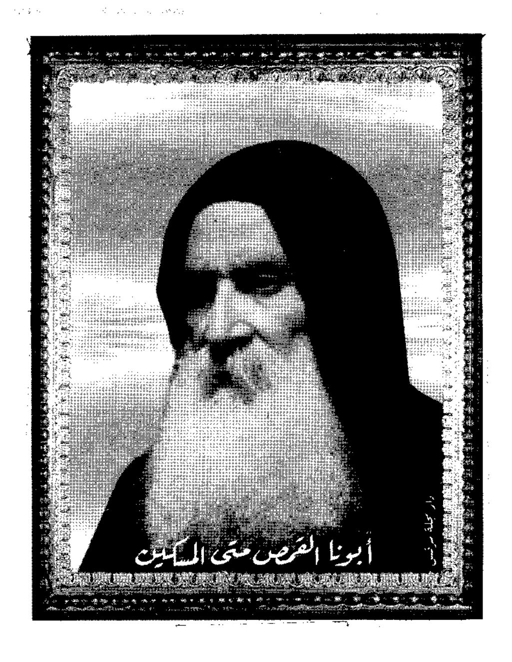
Ecumenical? Well, the Greek word oikumene certainly refers to 'the whole inhabited world', but the primary reference in the Christian tradition must refer to the movement of the Church towards the recovery of unity amongst all believers in Christ, transcending differences of creed, ritual and political affairs.

The average Anglican, and the present writer is one of them, would despair of any kind of ecumenism. There is no unity of faith, liturgy or conduct. But in 1965 an article published in Arabic as the Rissâlat Beit el Takris bi Helouan (Message from the House of Dedication at Helwan) jumped off the page. It was produced on the occasion of the Week of Prayer for Christian Unity and the author was simply described as 'a Coptic Monk'. The monk in question was probably one of the greatest Coptic Orthodox spiritual leader of the Middle East in modern times. Most English-language readers did not know who he was. His name was Abouna Matta el Meskin – 'Father Matthew the Poor Man.

In most Western churches we had no idea who he was, but we needed to find out because he most certainly seemed to be the holiest Coptic Orthodox Christian we had ever known. Out of the eleven pages of the Rissâlat just one sentence may have to be sufficient: "If Christian unity is allied to the idea of temporal force, even if it is only to safeguard the interests of the weak, or if it seems useful for bringing human pressure to bear on the wayward sheep, it immediately loses its divine value; it is then nothing but a number of unions, destined to disintegration, and then to disappearance like every temporal undertaking in the works of man." This single sentence from a modern desert father may require more attention, and carry more weight, than a thousand pages from any ecclesiastical authority in the modern world.

English-language readers will know that Yusuf Iskander was born in Benha Kaliobia in 1919. He graduated in Pharmacy from Cairo University in 1944. In 1948 he left his profession and entered the Monastery of St. Samuel, roughly half way between Beni Suef and Minya in Middle Egypt. He was named Abouna Matta El Meskeen and in the 1950s began one of the critical revolutionary monastic experiments of modern times, moving into the Wadi El Rayan, a valley of the Western desert 124 miles South West of Cairo.

For nearly a decade he had lived a solitary ascetic life, but by 1960 seven other Coptic monks joined him, and the community expanded to twelve by 1964. In response to an appeal from Patriarch Kyrillos the twelve monks of the Wadi Rayan came to the Wadi El Natroun in 1969 and developed the monastery of St Macarius the Great. Only



Dear Reader,

It is with great sorrow that we extend to you and every member of Christ's sojourning Church on Earth our condolences for the passing of our Father, the Thrice-Blessed Hegoumen, Matta El-Meskeen (Matthew the Poor), the Spiritual Father of the Monastery of St. Macarius in the Wilderness of Shiheet.

Fr. Matthew may have left us corporeally in the hope of joining the victorious choir of the celestial, but his spirit is surely among us through the virtuous life he led, and through his teachings, writings, and homilies which have illuminated the path of righteousness, sanctity, and eternal life for many. We promise you, dear reader, that we shall continue to present his rich heritage — a heritage that is full of consolation and comfort — on the pages of this magazine. This is based on the belief that Fr. Matthew's message will never cease, and his voice shall never be silenced in his call for love and reconciliation.

Our Blessed Father wrote and taught through the abundant outpouring of Grace that flowed in him until his last breath of life. This was borne out of the great love he had for Christ; a love that emanated from all of his heart, mind, and ability.

Hail to the spirit of he who departed to his Beloved; and hail to those who take his model and walk in his path.

Blessed are those who do and teach, because their reward is great in the Kingdom of Heaven.

Father Yohanna El-Makary
Editor-in-Chief

Our site on the Internet: www.stmacariusmonastery.org :موقع الدير على الإنترنت



التوبة والخلاص دعوة للجميع